الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ﷺ

٢

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

بسم الله الرحمن الرحیم

الصحيح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم

كاتب:

سید جعفرمرتضی حسینی عاملی

نشرت فی الطباعة:

سحرگاهان

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الصحيح من سیره النبی الاعظم صل الله علیه و اله المجلد۲

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع ۲ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

اشاره

ایضاحات ضروریه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

الحمد للّه رب العالمین، الرحمن الرحیم، مالک یوم الدین، إیاک نعبد و إیاک نستعین، إهدنا الصراط المستقیم.

و الصلاه و السلام علی محمد المصطفی، خاتم الأنبیاء و المرسلین، و آله الکرام البرره الطیبین الطاهرین.

و اللعنه علی أعدائهم أجمعین، من الأولین و الآخرین، إلی یوم الدین.

و بعد ..

فإننی إذ أقدم إلی القراء الکرام هذا الکتاب: (الصحیح من سیره النبی الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلم) أو (المصطفی من سیره المصطفی) أری لزاما علیّ أن أشیر- بإختصار- إلی الامور التالیه:

۱- لقد اعتمدت- بالدرجه الأولی- فیما کتبته هنا علی مؤلفات القدماء. أما مراجعتی لمؤلفات المعاصرین، فلا تکاد تذکر؛ لأن ما راجعته منها، رأیت أنه- عموما- یکرر ما کتبه أولئک، إلا فی کیفیه التنسیق و التبویب و الإخراج، ثم التبریر و التوجیه له. بزیاده: أنهم یظهرون

براعتهم و تفوقهم فی ترصیف الکلمات البراقه، و صیاغه الجمل و العبارات الرنانه فی تأییده و تأکیده. من دون أی تحقیق له، أو تـدقیق فیه، صـحه و فسادا؛ حتی لیخیل إلیک: أن تلک النصوص جزء من الوحی الإلهی، الـذی لا یتطرق إلیه الشک، و لا یرقی إلیه الریب، مهما کانت متناقضه و متنافره؛ إذ لا بـد من الجمع بینها، و تمحّل الوجوه لها، و لو کانت مما یأباه کل عقل، و لا یقره وجـدان، و لا یرضاه ضـمیر، حتی إذا لم یمکن ذلک فلا بد من السکوت عنها، و الاعتراف بالعجز عن فهم حقیقه الحال فیها، و ذلک هو أضعف الإیمان.

۲- لقـد انصبّ اهتمـامی فی هـذا الکتاب علی الناحیه التحقیقیه حول صـحه، و عـدم صـحه الکثیر مما یـدّعی أنه سـیره نبویه، أو تاریـخ إسـلامی. و لکن بالمقـدار الـذی یتناسب مع کتاب کهـذا، یریـد أن یعطی صوره متقاربه الملامـح، قدر الإمکان عن فتره زمنیه ثریه بالاحداث و المواقف الحساسه، و قد کانت و لا تزال محط النظر- بشـکل رئیسـی- لأهل المطامح و الأهواء السیاسیه، و المذهبیه، و غیرها.

بـل هی أخطر و أهم مرحله تاریخیه علی الإطلاق؛ لأنها غیّرت جـذریا، و لیس فقط أصـلحت کل الأسـس و المنطلقات الخاطئه لکل قضایا و شؤون الإنسان و الإنسانیه جمعاء.

و قد کانت المهمه فی الحقیقه شاقه و صعبه للغایه. و لکننی رضـیت بتحمل ذلک، لأننی أدرکت مدی حاجه المکتبه الإسلامیه إلی جهـد کهـذا، مهمـا کـان ناقصـا و محـدودا؛ لیکـون النواه و الخطوه الأـولی علی طریق اعتمـاد المنهـج التحقیقی العلمی فی التعرف علی قضایا التراث، بصوره شمولیه، و مستوعبه.

۳- و قد یلاحظ القاری ء لهذا الکتاب بعض الفجوات فیه، أو مدا و جزرا فی الشمولیه و الاستقصاء.

و له أن يرجع ذلك إلى أن هـذا الكتاب قد أعدّ فى فترات زمنيه متباعده، فرضـها واقع الظروف التى تمنع الإنسان من الاسـتفاده من عنصر الوقت على النحو الأفضل و الأمثل.

كمـا أنه لاـ يمكن اسـتبعاد حالاـت النشاط و الخمود الفكرى التى تعترى الانسان تبعا لتفاوت حالات الهـدوء و الاسـتقرار، الأمر الذى يؤثر بشكل واضح على طبيعه ما يكتب، و يظهر فيه شيئا من التفاوت و الاختلاف فى مستوى التعرض لبحوثه و قضاياه.

۴- حيث إن التاريـخ الاسـلامى- كمـا سـنرى- قـد تعرّض لمحاولاـت جادّه للتلاـعب فيه من قبـل أصـحاب الأهواء السياسـيه و المذهبيه و غيرها، و تسرّبت إليه بعض الترهات و الأباطيل من قبل أهل الكتاب و غيرهم، ثم حاولت الأيدى الأثيمه و الحاقده أن تعبث به تحريفـا، أو تزييفـا، فقـد أصـبح البحث، و الوصول إلى الحقائق فيه على درجه كبيره من الصـعوبه، إن لم يصل إلى حد التعذر أحيانا، فقد كان لا بد لنا من أخذ الأمور التاليه بنظر الاعتبار:

أ: إن الاعتمـاد على نوع معين من المؤلّفـات و المؤلفين ربما يتسـبب فى حرمان القارى ء من الاطلاع على نصوص تناثرت هنا و هناك، و اسـتطاعت أن تخترق الحجب، و تقفز فوق الحواجز الثقيله، و تصل الينا سـليمه- إلى حدّ ما- من التحريف، حين لم ير فيها السياسـيون المحترفون خطرا، و لا رأى فيها المتمـذهبون المتعصـبون ضـررا؛ فتركها هؤلاء و أولئك، ليتلقفها عشاق الحقيقه القليلون جدا؛ بعيدا عن غوغائيه المتعصبين، و فى مأمن و منأى من جبروت و تعنت الأشرار المحترفين.

ب: إننـا رأينـا- و الحاله هـذه- أن البحث فى الاسانيـد، و الإعتماد عليها كمقياس و معيار نهائى فى الردّ و القبول، إنما يعنى: أن علينا أن نقتنع بنصوص قليله جدا، لا تكاد تفى حتى بالتصور العام، و بالفهرسه

الإجماليه للسيره النبويه المباركه، فضلا عن تفصيل أحداث تاريخ صدر الإسلام.

و لسوف نخسر كثيرا من النصوص الصحيحه، التى لم توفق لسند تتوفر فيه أدنى شرائط القبول.

هذا بالإضافه إلى أن الباحث سوف يفقد حريه الحركه، و الربط و الاستنتاج، و لسوف لن يكون لفهمه العميق للأجواء و الظروف و للإتجاهات السياسيه و الفكريه و غيرها الذى اكتسبه من الممارسه الطويله، أيه فعاليه تذكر فى استخلاص الحقائق، التى أريد لها- لسبب أو لآخر- أن تبقى طى الكتمان، ورهن الإبهام و الغموض.

هذا عدا عن المشكلات الكبيره التى تواجه الباحث، و لا بد له من التغلب عليها، ليمكن للبحث السندى، أن يكون مقبولا و معقولا لدى أرباب الفكر، و أساطين العلم و المعرفه.

و أهم هذه المشكلات هى مشكله المعايير و المنطلقات و الضوابط للبحث السندى، و موازين القبول و الرد فيه. و التى يرتكز بعضها على أسس عقائديه أوليه، يتطلب البحث فيها وقتا طويلا، و جهدا عظيما. إن لم ينته إلى الطريق المسدود، و يعود ممجوجا و عقيما فى اكثر الأحيان؛ حيث يصّر البعض على اتخاذ منحى لا يتسم بالنزاهه و لا بالموضوعيه، خصوصا فى النواحى العقائديه. و لا نملك إزاء هذا النوع من الناس إلا أن نقول:

قاتل اللّه الأهواء، و العصبيات، و المصالح الشخصيه و الفئويه.

و على هذا الأساس نقول: إننا إذا كنا قد بحثنا- أحيانا- فى الاسانيد، فقد اعتمدنا فى ذلك الطريقه المعقوله و المقبوله، المبتنيه على قاعده: الزموهم بما الزموا به أنفسهم. ثم الطرق التى يتوافق عليها إن لم يكن كل فأكثر أهل الفرق، و تؤدى إلى نتيجه مقبوله لدى الجميع، و إن

كان منشأ هذا القبول يختلف بين هؤلاء و أولئك فى أحيان كثيره.

ج: لقد حتم علينا ذلك المنهج، بالإضافه إلى ما تقدم: أن نتخذ من المبادئ الإسلاميه، و من القرآن، و من شخصيه و خصائص، و أخلاق الرسول الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أساسا لتقييم كثير من النصوص المعروضه، و الحكم عليها بالرد أو القبول من خلال انسجامها مع ذلك كله، أو عدم انسجامها معه.

و ذلك ينسحب على كل شخصيه استطعنا الحصول على فهم عام لسيرتها، و لخصائصها و أخلاقها، و مواقفها، و اتجاهاتها.

د: هـذا بالاضـافه إلى الكثير من أدوات البحث، التى توفرهـا الممـارسه الطويله فى هـذا الاتجـاه، كتنـاقض النصوص، و الامكانيه التـاريخيه، من خلال المحاسـبات التاريخيه الـدقيقه. و غير ذلك من وسائل اسـتفدنا منها فى بحوثنا هـذه، مما سوف يقف عليه القارئ الكريم لهذا الكتاب.

۵- و بعد، فإن الكل يعلم: ان المسـلمين قد اهتموا بتدوين تاريخ الإسـلام، بشكل لا نظير له لدى أى من الأمم الأخرى، فهو بحق و برغم كل المحاولات أثرى تاريخ أمه و اغناه على الإطلاق.

و حيث إن البحث فى جميع جوانبه أمر متعسـر، بل متعذر علينا، فقد آثرنا الاكتفاء بالبحث فى جانب يسـتطيع أن يهيئ لنا تصورا عاما، و هيكليه متقاربه الملامح و السمات، عن حياه نبينا الأكرم محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

۶- لسوف يجـد القـارئ لهـذا الكتـاب أننى حاولت الإقتصار على أقل قـدر ممكن من الشواهـد و الـدلائل و مصادرها المأخوذه منها. مع علمى بأن بالامكان حشد أضعاف ذلك فى تأييد و تأكيد الحقائق التى أوردتها بشكل عام.

۷- اننی قد نسبت کل شی ء استفدته أو استشهدت به إلی قائله، أو کاتبه و ناقله، فأما الافکار التی لا مصدر لها، فهی جهد شخصی، لم أعتمد فیه علی أحد.

۸- و أخیرا، فقد کانت الفرصه تسنح أحیانا، فی فترات الاحساس بشی ء من النشاط الفکری لتسجیل بعض الملاحظات أو الإلتفاتات أو التفسیرات لبعض المواقف أو القضایا و الأحداث.

و هی و إن کانت لا تصل فی الأکثر إلی مستوی البحث الکامل و الشامل؛ لأنها جاءت علی الأکثر بصوره عفویه، و مرتجله، لم یسبقها إعداد، و لا ـ مراجعه، و لا ـ مطالعه. إلا ـ أنها تعتبر - علی الأقل - بمثابه استراحات للقارئ الکریم، کما کانت استراحات للکاتب نفسه من قبل.

و للقارئ الخیار بعد هذا فی أن یحکم لها أو علیها. و إذا کان حکمه لها فهو بالخیار أیضا فی أن یتلمس فیها شیئا من العمق، أو بعضا من الجمال.

و فی الختام، فإننی أرجو من القارئ الکریم أن یتحفنی بآرائه، و مؤاخذاته و لسوف أکون له من الشاکرین.

و الحمد للّه، و الصلاه و السلام علی عباده الذین اصطفی محمد و آله الطیبین الطاهرین.

ایران- قم المشرفه ۱۶/ ۱۲/ ۱۴۰۰ ه. ق.

جعفر مرتضی الحسینی العاملی

القسم الأول: ما قبل البعثه

اشاره

الفصل الأول: ما قبل الميلاد

اشاره

البدایه الطبیعیه:

إن من البـدیهی: أن البـدایه الطبیعیه و المعقوله لتاریـخ الإسـلام، و أعظم ما فیه و هو سـیره النبی الأکرم (صـلی اللّه علیه و آله و سلم) تحتم علینا اعطاء لمحه خاطفه عن تاریخ ما قبل البعثه، و ما اتصل بها من احداث سـبقتها، لنتعرف علی الأجواء و المناخات التی انطلقت فیها دعوه الدین الحق، و هو دین الإسلام فنقول:

الوضع الجغرافی لشبه جزیره العرب:

هی شـبه جزیره مسـتطیله یحدها شـمالاً: الفرات، و آخر قطعاتها بادیه الشام و السـماوه، و فلسـطین، و شرقا خلیج فارس، و جنوبا خلیج عدن، و المحیط الهندی، و غربا: البحر الأحمر (۱).

و لا یعنینا الوضع الجغرافی هنا إلا فی النواحی التالیه:

الأولی: إنه لم یکن فی جزیره العرب حتی نهر واحد، بالمعنی الصـحیح للکلمه (۲)، و أکثرها جبال، و أودیه، و سهول جرداء، لا تصلحا.

۱- راجع: المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام: ج ۱ ص ۱۴۰ فما بعدها.
۲- المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام: ج ۱ ص ۱۵۷ فما بعدها.

للزراعه و العمل. و من ثم فهى لا تساعد على الإستقرار، و تنظيم الحياه.

و من هنا فقد كان أكثر سكانها، بل قيل: خمسه أسداسهم من البدو الرحل، الذين يمسون فى مكان، و يصبحون فى آخر.

الثانيه: إن هذا الوضع قد جعل هذه المنطقه فى مأمن من فرض السيطره عليها، من قبل الدولتين العظميين آنئذ: الرومان، و الفرس، و غيرهما؛ فلم تتأثر المنطقه بمفاهيمهم و أديانهم كثيرا. بل لقد هرب اليهود من حكامهم الرومان إلى جزيره العرب، و احتموا فيها فى يثرب (المدينه) و غيرها.

و قد نشأت عن هذا الوضع للجزيره العربيه، ظاهره الدويلات القبليه، فلكل قبيله حاكم، و كل ذى قوه له سلطان.

الثالثه: إن هذه الحياه الصعبه، و هذا الحكم القبلى، و عدم وجود روادع دينيه، أو وجدانيه قويه، قد دفع بهذه القبائل إلى ممارسهالإغاره و السلب ضد بعضها البعض، كوسيله من وسائل العيش أحيانا، و أحيانا لفرض السيطره و السلطان، و أحيانا أخرى للثأر و إدراك الأوتار، إلى آخر ما هنالك، فتغير هذه القبيله على تلك؛ فتستولى على اموالها، و تسبى نساءها و أطفالها، و تقتل أو تأسر من تقدر عليه من رجالها. ثم تعود القبيله المنكوبه لتتربص بهذه الغالبه الفرصه لمثل ذلك، و هكذا.

و من هنا، فإن من الطبيعى أن يكون شعور أفراد كل قبيله بالنسبه لأبناء قبيلتهم قويا جدا، بدافع من شعورهم بالحاجه إلى بعضهم البعض للدفاع عن الحياه، و الكفاح من أجلها، مما كان سببا قويا لزياده حدّه التعصب القبلى، الذى لا يرثى، و لا يرحم، و لا يلين، حيث لا بد من الوقوف إلى جانب إبن القبيله، سواء أكان الحق له، أو عليه، حتى لقد قال شاعرهم يتمدحهم بذلك:

لايسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

و من الجهه الأـخرى، فـإن القبيله تتحمـل كـل جنـايه أو جريمه يرتكبها أحـد أبنائها، و تحميه من كل من أراده بسوء. بل يكون أخذ الثأر من غير الجانى إذا كان من قبيلته كافيا و شافيا للموتورين، الذين يريدون شفاء ما فى نفوسهم، و إدراك أوتارهم.

الحضر فى شبه جزيره العرب:

أما الحضر فى جزيره العرب، و هم الذين يسكنون المدن، و يستقرون فيها، فإنهم و إن كانوا فى حياتهم أرقى من العرب الرحل، إلا أن رقيهم هذا لم يكن بحيث يجعل الفارق بينهما كبيرا.

و من هنـا، فإننا نلاحظ تشابها كبيرا فيما بينهما فى العقليه، و فى المفاهيم، و فى العادات و التقاليـد، و أساليب الحياه، و بـدائيتها. هذا إن لم نقل: إن العرب الرحل كانوا أصح أبدانا، و أفصح لسانا، و أقوى جنانا، و أصفى نفسا، و فكرا و قريحه.

و لكن امتياز هؤلاء و أولئك فى بعض الأمور لم يكن إلى الحد الذى يحتم على الباحث فصل الحديث عنهما، و لا سيما بالنسبه الى أولئك الحضريين الذى يسكنون الحجاز.

و الخلاـصه: إننـا إذا كنـا لم نجـد فى تاريـخ مـا قبل الإسـلام ما يبرر نسـبه التفوق إلى أحـد الطرفين على الآخر، كما يتضـح من كلمات أمير المؤمنين الآتيه و غيرها، فليس فى فصل الحديث عنهما كبير فائده، و لا جليل أثر.

الحاله الإجتماعيه عند العرب:

و إن من يطـالع كتب التاريـخ سـيرى بوضوح إلى أى حـد كـانت الحاله الإجتماعيه مترديه فى العصـر الجاهلى. و قـد قـدمنا: ان السلب و النهب و الإغاره، و التعصب القبلى، و غير ذلك قد كان من مميزات الإنسان

العربی، حتی إنه إذا لم تجد القبیله من تغیر علیه من أعدائها أغارت علی أصدقائها، و حتی علی أبناء عمها، یقول القطامی:

و کن إذا أغرن علی قبیل و أعوزهن نهب حیث کانا

أغرن من الضباب علی حلال (۱)و ضبه إنه من حان حانا

و أحیانا علی بکر أخیناإذا ما لم نجد إلا أخانا

و لقد رأینا: أن تلک الظروف الصعبه، و الفقر و الجوع، و الخلافات التی کانوا یعانون منها، و المفاهیم الخاطئه التی کانت تعیش فی أذهانهم- و خصوصا عن المرأه-.

و کذلک ظروف الغزو و الإغاره، التی تعنی سبی النساء و الأطفال، قد دفعتهم إلی قتل أو وأد أولادهم، و لا سیما البنات. و کان ذلک فی قبائل تمیم، و قیس، و أسد، و هذیل، و بکر بن وائل (۲).

بل إننا نستطیع أن نعرف مدی شیوع الوأد بینهم من تعرض القرآن لهذه المسأله، و ردعه لهم عنها، و إدانتها، قال تعالی: وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَ إِیَّاهُمْ (۳).

و قال أیضا: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ* بِأَیِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (۴).

کما أننا نجده (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد نص علی ذلک فی بیعه العقبه و قد قال محمد بن إسماعیل التیمی، و غیره- تعلیقا علی هذا:

خص القتل بالأولاد؛ لأنه قتل و قطیعه رحم؛ فالعنایه بالنهی عنه آکد؛۹.

۱- الضباب إسم قبیله. و الحلال: المجاور.

۲- راجع شرح النهج للمعتزلی ج ۱۳ ص ۱۷۴.

۳- سوره الأنعام، الآیه: ۱۵۱.

۴- سوره التکویر، الآیات: ۸- ۹.

و لأنه كان شائعا فيهم، و هو وأد البنات و قتل البنين، خشيه الإملاق إلخ (۱)).

و يقول البعض: (كان هـذا الوأد- على رأى بعض الباحثين- فى عامه قبائل العرب) يستعمله واحد، و يتركه عشره؛ أو كان على الاقل معروفا فى بعض القبائل كربيعه، و كنده، و تميم (۲).

المرأه فى الجاهليه:

و قد كانت حياه المرأه فى الجاهليه أصعب حياه؛ حيث لم يكن لها عندهم قيمه أبدا، و قد كتب الكثير عن هذا الموضوع؛ و لذا فلا نرى حاجه كبيره للتوسع فيه، و يكفى أن نذكر هنا قوله تعالى:

وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ، يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ، أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ، أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرابِ، أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ (۳).

و سياق الآيه الكريمه يشير إلى كثره ذلك و شيوعه فيهم.

و من ذلك نعرف ان الخضرى قد حاول تكذيب القرآن، حينما ادعى: أن العربى قبل الإسلام كان يحترم المرأه و يجلها (۴).

نعوذ باللّه من الخذلان، و من وساوس الشيطان.

كما أن فيه تكذيبا للخليفه الثانى عمر بن الخطاب، الذى يقول:

(و اللّه، إن كنا فى الجاهليه ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل اللّه فيهن ما أنزل،۲۰

۱- فتح البارى ج ۱ ص ۶۱.

۲- راجع: النظم الإسلاميه ص ۴۴۲/ ۴۴۳.

۳- النحل: ۵۸- ۵۹.

۴- محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميه للخضرى ص ۱۷- ۲۰

و قسم لهن ما قسم) (۱).

شواهد عن حاله العرب فی الجاهلیه:

و عن حاله العرب فی الجاهلیه یکفی أن نذکر بعض ما قاله سید الخلق بعد الرسول علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) فمن ذلک قوله (علیه السلام) (بعثه و الناس ضلال فی حیره، و حاطبون فی فتنه، قد استهوتهم الأهواء، و استزلتهم الکبریاء، و استخفتهم الجاهلیه الجهلاء، حیاری فی زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل) (۲).

و قال (علیه السلام): (و أنتم معشر العرب علی شر دین، و فی شرّ دار، تنیخون بین حجاره خشن، و حیات صم، تشربون الکدر، و تأکلون الجشب، و تسفکون دماءکم، و تقطعون أرحامکم، الأصنام فیکم منصوبه، و الآثام فیکم معصوبه) (۳).

و قال (علیه السلام): (فالأحوال مضطربه، و الأیدی مختلفه، و الکثره متفرقه، فی بلاء أزل، و أطباق جهل، من بنات موؤوده، و أصنام معبوده، و أرحام مقطوعه، و غارات مشنونه) (۴).

و کلمات أمیر المؤمنین هنا حجه دامغه علی کل مکابر متعصب.

و هناک کلمات کثیره له (علیه السلام) فی هذا المجال؛ فمن أرادها فلیراجع نهج البلاغه و غیره.۷.

۱- صحیح البخاری ط سنه ۱۳۰۹: ج ۳ ص ۱۳۳.

۲- نهج البلاغه الذی بهامشه شرح الشیخ محمد عبده الخطبه ۹۱. و الإمامه و السیاسه: ج ۱ ص ۱۵۴.

۳- نهج البلاغه، عبده، الخطبه ۲۵.

۴- نهج البلاغه، عبده، الخطبه ۱۸۷.

و يقال: إن المغيره بن شعبه قد قال ليزد جرد: (.. و أما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالا منا، و أما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس و الجعلان، و الحيات، و نرى ذلك طعامنا. أما المنازل فإنما هى ظهر الأرض. و لا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل، و أشعار الغنم؛ ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، و أن يبغى بعضنا على بعض، و ان كان أحدنا ليدفن إبنته و هى حيه، كراهيه أن تأكل من طعامه) (١).

و لابن العاص أيضا كلام يشير إلى بعض ذلك؛ فمن أراده فليراجعه فى مصادره (٢).

علوم العرب:

لقد أوضح لنا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى كلماته المتقدمه حاله العرب، و مستواهم العلمى و الثقافى، و أنهم كانوا يعيشون فى ظلمات الجهل، و الحيره، و الضياع.

و هذا يكذب كل ما يدعيه الآخرون- كالآلوسى و غيره- من أن العرب كانوا قد تميزوا ببعض العلوم، كعلم الطب، و الأنواء، و القيافه، و العيافه، و السماء، و نحو ذلك ..

و قال بعضهم: (خصت العرب بخصال: بالكهانه، و القيافه، و العيافه و النجوم، و الحساب) (٣).

فإن ما كان عندهم من ذلك هو مجرد ملاحظات بسيطه ساذجه،٣.

١- البدايه و النهايه ج ٧ ص ٤٢ و الطبرى ج ٣ ص ١٨. و حياه الصحابه ج ١ ص ٢٢٠ و لكلامه هذا نص آخر ذكره فى الأخبار الطوال ص ١٢١.

٢- مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٣٧، عن الطبرانى و حياه الصحابه ج ٣ ص ٧٧٠ عن المجمع.

٣- الموفقيات ص ٣٦٢/ ٣٦٣.

مبنیه علی الحدس و التخمین، متوارثه عن مشایخ الحی و عجائزه.

و هذا هو رأی ابن خلدون أیضا، الذی کان یری: أن علم الطب عندهم لا یتعدی معلومات أولیه، و ملاحظات بسیطه، لا تستحق أن تسمی علما، و لا شبه علم.

و مثل هذا یقال عنهم فی علم الانواء و السماء؛ فضلا عما یسمی بالقیافه، و العیافه. هذا عدا عن أن بعض هذه الأمور، لا تستحق أن یطلق علیها إسم (علم).

و یکفی أن نذکر هنا: أنهم کانوا أمیین، لا یعرفون القراءه و الکتابه أصلا، إلا من شذ منهم، حتی لیذکرون: انه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أرسل رساله إلی قبیله بکر بن وائل؛ فلم یجدوا قارئا لها فی القبیله کلها.

و قرأها لهم رجل من بنی ضبیعه فهم یسمون: بنی الکاتب (۱).

و یروی البلاذری: أن الاسلام قد دخل، و فی قریش سبعه عشر رجلا فقط، و فی الأوس و الخزرج فی المدینه إثنا عشر رجلا یعرفون القراءه و الکتابه (۲).

و قال ابن عبد ربه: (جاء الإسلام و لیس أحد یکتب بالعربیه غیر سبعه عشر إنسانا). ثم عدهم فذکر علیا (علیه السلام) أولا (۳).۷.

۱- مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۰۵، و قال: إن رجاله رجال الصحیح، عن أحمد، و البزار، و أبی یعلی، و الطبرانی فی الصغیر، عن أنس، و مرثد بن ظبیان. و راجع: کشف الأستار، عن مسند البزار ج ۲ ص ۲۶۶. و المعجم الصغیر ج ۱ ص ۱۱۱.

۲- فتوح البلدان ط أوروبا ص ۴۷۱ فما بعدها، و ص ۸۰ فی القسم الثالث من الطبعه التی حققها صلاح الدین المنجد. و إن کنا نناقش فی بعض من عدّهم فی من یکتب أو یقرأ کعمر بن الخطاب، الذی سیأتی فی قضیه إسلامه: أنه لم یکن یعرف حتی القراءه.

۳- العقد الفرید: ج ۴ ص ۱۵۷.

و يرى إبن خلدون: أن أكثرهم كان لا يتقنها، بل كان بدائيا، و ضعيفا فيها بشكل ملحوظ.

و يلاحظ من أسمائهم: أن أكثرهم قد تعلمها بعد ظهور الإسلام، و ذكر إسم على (عليه السلام) يدل على ذلك.

بل ربما كانوا يعتبرون القراءه و الكتابه عيبا؛ فقد قال عيسى بن عمر: (قال لى ذو الرمه: إرفع هذا الحرف. فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه، أى أكتم على؛ فإنه عندنا عيب) (١).

و فى حديث أبى هريره: تعربوا يا بنى فروخ، فإن العرب قد أعرضت، أى عن العلم (٢).

هذا، مع أن قريشا كانت أعظم قبيله شأنا و خطرا، و نفوذا فى الحجاز كله.

و مع أن التجاره تتطلب مثل ذلك عاده، و كان الأوس و الخزرج أيضا فى المرتبه الثانيه بعد قريش، تحضرا و نفوذا فى الحجاز.

فإذا كان مستواهم الثقافى هو هذا، فمن الطبيعى ان يصير لليهود عموما و للنصارى- و لو بصوره أضعف- هيمنه فكريه كبيره، و أن ينظر إليهم العرب نظره التلميذ إلى معلمه، و لربما نشير إلى ذلك فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى.

هـذا، و من الأمور الجـديره بالملاحظه هنا: أن أميه العرب كانت هى السـر فى قوه الحافظه عنـدهم. و لكنها عادت إلى الضـعف التدريجى،۶.

١- الشعر و الشعراء لابن قتيبه ص ٣٣۴. و التراتيب الإداريه: ج ٢ ص ٢۴٨.

٢- مشكل الآثار: ج ٣ ص ۵۶.

حسب نسبه اعتمادهم علی الکتابه فی العصور المتأخره، إبتداء من عصر التدوین.

و لسوف نشیر إن شاء اللّه تعالی فی غزوه بدر من هذا الکتاب، الی مدی الأهمیه التی اولاها الاسلام لمحو الأمیه، حتی لقد ورد أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد جعل فداء الأسیر فی غزوه بدر تعلیم عشره من أطفال المسلمین القراءه و الکتابه کما سیأتی. و قد کانت بدر أدق مرحله یمر بها الإسلام و المسلمون فی دعوتهم الی اللّه، و حربهم مع المشرکین.

و خلاصه القول: إن جهل العرب کان هو الحاکم المطلق، و لا نلاحظ أیه ظاهره للنبوغ فیهم قبل الإسلام، بل علی العکس من ذلک یمکن ملاحظه الکثیر مما کان یزیدهم إمعانا فی الجهل و الحیره و الضیاع

میزات و خصائص:

لقد امتاز العرب قبل الإسلام ببعض الصفات التی تمدحهم الناس و أثنوا علیهم لأجلها. و هی صفات قلیله بالنسبه الی ما یقابلها من صفات و عادات ذمیمه. و لکننا إذا دققنا النظر فیها فإننا لا نجد فیها ما یوجب مدحا بل ربما کانت فی کثیر من الاحیان موجبه لعکس ذلک تماما.

لأن ما یعطی للشی ء قیمته الحقیقه من أی نوع کانت هو دوافعه و منطلقاته، و أهدافه. و نحن لا نجد فی تلک الأمور المنسوبه الی العرب ما یبرر تمدحهم من أجلها؛ لا من حیث المنطلقات و الدوافع، و لا من حیث الأهداف و الغایات، کما سنری.

ولکن حین جاء الإسلام، و تغیرت تلک الدوافع و الأهداف، أصبحت تلک الصفات ذات قیمه، و صاروا یستحقون علیها التکریم و التقدیر.

من امتیازات العرب:

لقد امتاز العرب بالصفات التالیه:

۱- بالکرم و حسن الضیافه- و هذا هو الأمر الوحید الذی احتج به أبو سفیان علی صحه دینه!! حیث قال لکعب بن الأشرف: (أدیننا أحب إلی اللّه أم دین محمد و أصحابه؟ و أینا أهدی فی رأیک، و أقرب الی الحق؟ إنا نطعم الجزور الکوماء، و نسقی اللبن علی الماء، و نطعم ما هبت الشمال.

فقال له إبن الأشرف: أنتم أهدی منهم سبیلا (!!!)) (۱).

ولکن ذلک فی الحقیقه لا یمکن أن یعد فضلیه للعرب، إلا إذا ثبت أن بذلهم للمال کان نابعا من إیمان العربی بمثل أعلی، یدفعه إلی البذل و العطاء، أو أنه کان نابعا من عاطفه إنسانیه، مصدرها رؤیا حاجه الآخرین، و التفاعل معها، بحیث یندفع إلی العطاء و البذل بنفسه، و من دون سؤال او تحریک.

مع أننا نجد أن الدافع لذلک کان فی کثیر من الاحیان لیس هو المثل العلیا، و لا العاطفه الإنسانیه، و إنما هو إبعاد العار، و التحرز من هجاء الشعراء، و حتی لا یسیر ذکرهم فی البلاد فی اللؤم و الخسه، و لا تتعرض أعراضهم و کراماتهم للهدر، أو أملا بحسن الذکر، و طیب الاحدوثه؛ أو طمعا بزعامه قبیله او منافسه قرین. و الشواهد علی ذلک فی التاریخ غیر قلیله و الإستثناء لا یلتفت إلیه.

بل نجد ان زید الخیل حین یرید ان یعطی البعض، قد وعده بالعطاء بعد أن یشن الغاره، فلما شن الغاره علی بنی نمیر بالملح و أصابه.

۱- البدایه و النهایه: ج ۴ ص ۶، و السیره النبویه لابن کثیر: ج ۳ ص ۱۱. و مصادر ذلک کثیره ستأتی فی أول غزوه الخندق إن شاء اللّه.

مائه بعیر، أعطاه إیاها (۱).

مع ان شن الغاره معناه التسبب فی قتل الرجال و حتی الاطفال و النساء و الشیوخ و سبیهم، و الإستیلاء علی أموالهم، و هدر کراماتهم.

و زید الخیل هو من رجال العرب المعروفین، و یضارع حاتم الطائی فی الشهره و السؤدد.

هذا، و لا بد من الإشاره أخیرا الی ان عجز البدوی تجاه قوی الطبیعه القاسیه، التی تستولی علی الصحراء، من شأنه أن یولد فیه الشعور بضروره الضیافه، و ضروره البذل، حیث لا یمکنه حمل قوته فی سفره الشاق الطویل، الذی یمتد عشرات الأیام. و هو مضطر الی السفر بین حین و آخر بحثا عن الماء و الکلأ، و لغیر ذلک من أمور.

۲- حمیتهم و عصبیتهم، و هذه فی الحقیقه صفه ذمیمه، إذ أنهم یرون أن النصر لا بد أن یکون لذوی قرابتهم، و لابن قبیلتهم، و أن العون لا بد أن یمحض له، ظالما کان أو مظلوما.

و قد نعی القرآن علیهم ذلک، و عبر عنها ب (حمیه الجاهلیه) (۲)، لأنها مبنیه علی الجهل، و عدم التثبت.

و قد تقدم ما یشیر إلی سر نشوء ذلک فیهم، فلا نعید.

۳- الشجاعه: و إنما یستحق صاحبها المدح و الذم بملاحظه الأهداف فی الموارد التی یستعملها فیها، فإذا استعملت فی مورد حسن؛ إستحق صاحبها مدحا، و إلا فذما. و لهذا فلیس هناک أشجع من الأسد، ولکن ذلک لا یعتبر فضیله له.

و نحن إذا دققنا النظر فإننا نجد: أن سر شجاعه العرب هو أنهم۶.

۱- الأغانی ط دار إحیاء التراث العربی (بیروت): ج ۱۷ ص ۲۵۵.

۲- سوره الفتح/ ۲۶.

بحکم بیئتهم و حیاتهم فی الصحراء، بلا حواجز و موانع طبیعیه أو غیرها.

و مواجهتهم الخطر المستمر من الحیوان، و من بنی الإنسان علی حد سواء، یشعر کل فرد منهم: أنه مسؤول عن حمایه نفسه، و الدفاع عنها بنفسه، و لا یرد عنه إلا یده و سیفه، ما دام أنه فی کل حین عرضه للغزو، و النهب، و السلب، و أخذ الثارات منه.

هذا بالإضافه إلی أنه لا یأکل فی کثیر من الاحیان إلا من سیفه و یده، و إلا فإنه هو نفسه یکون عرضه لأن یؤکل، فمن لم یکن شجاعا فاتکا أکل، أو علی الأقل لم یستطیع أن یأکل، فکأنهم یتعاملون بمنطق؛ إن لم تکن ذئبا أکلتک الذئاب، و بعد فهل یمدح الذئب علی فتکه بفریسته، و تمزیقه لها؟! إلا إذا کان هذا الفتک من منطلق الدفاع عن المثل أو القیم، أو عن الضعیف الذی یحتاج إلی الناصر، أو ما إلی ذلک.

۴- النجده و الإقدام: و لا یختلف الکلام فی ذلک عن الکلام فی الشجاعه، إلا أننا نشیر هنا إلی أن ذلک یرجع لإطمئنانه إلی أنه غیر مسؤول عما یعمل، بل هو منصور من قبل قبیلته علی کل حال، ظالما کان او مظلوما.

یضاف إلی ذلک: أن حیاه البادیه و الغزو المفاجئ، و عملیات الإغتیال ثأرا، و غیر ذلک من أخطار کانت تتهددهم باستمرار، کل ذلک یستدعی سرعه الإقدام، و مباشره العمل فورا، فإذا أضیف الی ذلک شعورهم بعدم المسؤولیه عن کل ما یحصل، فإن الإقدام بلا ترو و لا تریث؛ لا بد أن یصبح هو الصفه الممیزه لهم، و الطاغیه علی تصرفاتهم.

و لا بد ان نشیر هنا: إلی أن قدرتهم علی الانتقام فورا من شأنها أن تجعل فیهم حساسیه متناهیه؛ و لذا قل أن تجد فیهم حلیما، إلا من بعض المسنین، أو أصحاب الهمم العالیه، او الجبناء، الذین یتخذون الحلم وسیله لتغطیه إنهزامیتهم.

۵- الأنفه و العزه، و الإعتداد بالنفس، و النزوع الى الحريه، و قوه الإراده و الفصاحه، و قوه البيان؛ و الجوار.

و الكلام فيها لا يختلف كثيرا عما تقدم، فإن هذه الصفات لا تستحق مدحا أو ذما إلا بملاحظه الدوافع و الأهداف التى تكون من أجلها، أو تستعمل فيها.

و منشأ هذه الصفات فيهم بالإضافه الى ما تقدم، هو عدم تعرضهم للخضوع الى سلطه مركزيه، تحاول الهيمنه عليهم، و فرض النظام فيهم، و لو بالإذلال، و القهر، مما من شأنه أن يعطيهم حريه فى التصرف، و الحركه، و القول، و ما الى ذلك.

۶- و أخيرا، الوفاء بالعهد: و هو أمر حسن فى نفسه و لا بأس به، إلا أن يكون عهدا مضرا بالمجتمع.

و هذا الوفاء أيضا أمر قد فرضته عليهم طبيعه حياتهم التى أشرنا إليها آنفا.

و أما حلف الفضول، الذى هو أشرف حلف فى العرب، فمصدره فى الحقيقه بنو هاشم، و كذا حلف عبد المطلب مع خزاعه، فلا يعبر ذلك عن خلقيات سائر العرب.

و قد اتضح من كل ما تقدم: أن كل تلك الصفات ليست جديره بأن تعتبر فضائل أخلاقيه، و صفات إنسانيه، إلا حينما كانت تصدر عن خلق فاضل، و إنسانيه كريمه، أو عن تقوى و شعور دينى، و إلا ـ فقد تكون على العكس من ذلك، إذا عبرت عما يناقض ذلك و ينافيه.

الإسلام و تلك الصفات:

لقد حاول الإسلام أن يضع تلك الصفات فى خطها الصحيح، و أن

يجعلها تنطلق من قواعـد إنسانيه، و عواطف صافيه و حقيقه، و فضائل أخلاقيه، و بالأخص من إحساس دينى صـحيح، و ليسـتفيد منها- من ثم- فى بناء الأمه على أسس صحيحه و سليمه.

أماما كان منها لا يصلح لذلك، فقد كان يهتم بالقضاء عليه، و إستئصاله بالحكمه، و الموعظه الحسنه، كلما سنحت له الفرصه، و واتاه الظرف.

فمثلاـ نلاحظ: أنه قـد حاول أن يجعل المنطلق للكرم، و بـذل المال، هو العاطفه الإنسانيه، و الشـعور بحاجه الآخرين، كما يظهر من كثير من النصوص، هـذا بالاضـافه إلى طلب الأجر و المغفره من اللّه تعالى، و ذلك هو صـريح قوله تعالى: وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْـكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِـيراً إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيـدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُـكُوراً (۱) بل لقـد تعدى ذلك و تخطاه إلى تمدح الإيثار على النفس، حتى فى موقع الخصاصه و الحاجه الملحه، فقال تعالى: وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ، وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ (۲).

أما العصبيات القبيله، فقد حاول أن يوجهها وجهه بناءه و يقضـى على كل عناصر الشر و الإنحراف فيها، فدعا إلى بر الوالدين، و إلى صله الرحم، و جعل ذلك من الواجبات، حينما يكون سببا فى تلاحم و ربط المجتمع بعضه ببعض.

و لكنه أدان كـل تعصب لغير الحـق، و نـددبه، و عـاقب عليه، و اعتبر ذلـك من دعوات الجـاهليه المنتنه، كمـا هو صـريح بعض النصوص التى سنشير إليها فى السيره النبويه، إن شاء اللّه تعالى.۹.

۱- سوره الإنسان، الآيه ۸- ۹.

۲- الحشر ۹.

و کـذلک فإنه قـد حاول أن یوجه الشـده و القسوه إلی حیث تکون فی صالح الدین و الإنسان. و مثمره للحق و الخیر، و الحفاظ علیهما.

و النصوص الداله علی ذلک کثیره جدا، و یکفی أن نشیر إلی قوله تعالی:

أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ، رُحَماءُ بَیْنَهُمْ (۱) و قوله تعالی: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ جاهِدِ الْکُفَّارَ وَ الْمُنافِقِینَ وَ اغْلُظْ عَلَیْهِمْ (۲) و قاتِلُوا الَّذِینَ یَلُونَکُمْ مِنَ الْکُفَّارِ وَ لْیَجِدُوا فِیکُمْ غِلْظَهً (۳) و الآیات و الروایات فی هـذا المجال کثیره جـدا، فهو یریـد الشـده فی دفع الظلم و الإنحراف. و الحفاظ علی الحق، و أن لا تأخذ المؤمن فی اللّه لومه لائم. و یرید أن تتحول هذه الشده إلی رحمه و حنان و سلام فیما بین المؤمنین أنفسهم.

و هکذا یقال بالنسبه إلی سائر الصفات المتقدمه، فإن من یراجع النصوص القرآنیه، و الاحادیث الوارده عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و عن آله المعصومین (علیهم السلام)، لا یبقی لدیه أدنی شبهه فیما ذکرناه من أن الإسلام قد صب کل اهتمامه علی توجیه الصفات الحسنه، و التصرف فی دوافعها و أهدافها، و جعلها تصب فی مصلحه الدین و الأمه، و القضاء علی الصفات الذمیمه، التی تقضی علی سعاده البشر، و تهدم بناء الحق الشامخ.

و لسوف یأتی فی الفصل الثالث، حین الکلام عن العوامل التی ساعدت علی انتشار الإسلام و انتصاره، أن هـذه الممیزات و الخصائص قد أدت دورا هاما فی ذلک، فإلی هناک.۳.

۱- الفتح ۲۹.

۲- التوبه ۷۳.

۳- التوبه ۱۲۳.

متی کان بناء مکه:

اشاره

لا نستطیع أن نحدد بدقه تاریخ بناء مکه، و اتساعها حتی صارت جدیره باسم: (أم القری). و قد یقال: إن بدء بنائها کان قبل بناء ابراهیم (علیه السلام) للبیت، حسبما تشیر إلیه بعض الروایات، بل و یدل علیه قول اللّه تعالی حکایه عن إبراهیم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً (۱).

و علیه، فما یحاول البعض إثباته، من أن قصیا هو أول من بنی مکه، و کان البیت وحیدا فی الصحراء، و کان الناس یترکونه لیلا، و یعودون إلیه نهارا، بدلیل أن قصیا سمی (مجمعا)؛ لأنه جمع القبائل حول البیت:

لا یصح، بل هو لا یدل أیضا؛ لأن تاریخ مکه قبل قصی خیر شاهد علی أنها کانت آهله بالسکان، معموره، و معروفه و مشهوره. نعم ربما یکون قصی قد نظم سکن القبائل فی مکه بالشکل المناسب.

و مهما یکن من أمر، فإن تحدید ذلک لا یهمنا کثیرا الآن. و ما یهمنا هو التعرف علی المکانه الدینیه لمکه، و مدی ارتباط قبائل العرب، بل و غیرهم بها. و الحدیث عن ذلک لا ینفصل عن الحدیث عن البیت العتیق، الذی تحتضنه مکه. ثم عن قریش التی کان لها شرف خدمه ذلک البیت؛ فنقول:

ألف: بناء الکعبه:

الکعبه هی أول بیت وضع للناس ببکه، مبارکا، و هدی للعالمین، کما هو صریح القرآن (۲)، و المعروف المشهور هو: أن واضعه هو شیخ الأنبیاء إبراهیم (علیه السلام).۶.

۱- سوره ابراهیم ۳۵.

۲- راجع: آل عمران/ ۹۶.

و لكننا نجـد فى كلمات أمير المؤمنين (عليه السـلام) ما يـدل على أن البيت قـد كان من لـدن آدم أبى البشـر (عليه السـلام). أما إبراهيم فهو رافع قواعده و مشيد بنيانه و أركانه.

قال (عليه السـلام): (ألا ترون أن اللّه سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم، صلوات اللّه عليه، و إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضـر و لا تنفع، و لا تبصـر و لا تسـمع، فجعلها بيته الحرام، الذى جعله للناس قياما. ثم وضـعه بأوعر بقاع الارض حجرا، و أقل نتائق الدنيا مدرا، و أضـيق بطون الأوديه قطرا، بين جبال خشـنه، و رمال دمثه، و عيون و شـله، و قرى منقطعه، لا يزكو بها خف و لا حافر، و لا ظلف. ثم أمر آدم و ولده:

أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابه لمنتجع أسفارهم، و غايه لملقى رحالهم، تهوى إليه الأفئده من مفاوز سحيقه إلخ .. (۱))

و يدل على ذلك أيضا: روايات وردت من طرق الخاصه و غيرهم؛ فمن أرادها فليراجعها فى مظانها (۲).

و لعل ظاهر القرآن لا يأبى عن هذا أيضا؛ حيث جاء التعبير فيه عن تجديد بناء إبراهيم للبيت بقوله: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ (۳)

و هـذا لاـ ينـافى أن تكون الأسـس و القواعـد قـد وضـعت قبل ذلك، و إبراهيم هو الـذى رفع هـذه القواعـد، و شـيد على تلكم الأسس. و هذا موضوع يحتاج إلى بحث و تحقيق، نسأل اللّه يوفقنا لمعالجته فى فرصه أخرى إن شاء اللّه تعالى.۷.

۱- نهج البلاغه بشرح عبده، الخطبه المعروفه بالقاصعه رقم ۱۸۷.
۲- راجع على سبيـل المثـال: تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۱۲۶- ۱۲۹، و الطبرى، و الـدر المنثور، و شـرح النهـج، و أخبـار مكه للأزرقى: ج ۱ ص ۳- ۳۰، و تفسير البرهان: الصـحيح من السـيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲ ۳۲ ألف: بنـاء الكعبه: ..... ص : ۳۱ ج ۱ ص ۳۰۰ و غير ذلك.
۳- البقره ۱۲۷.

ب: دعاء إبراهيم:

و مهما يكن من أمر، فإن إبراهيم (عليه السلام) قد لاحظ: أن البيت الذى اختبر اللّه الناس به قد وضع فى بقعه تكون الحياه فيها صعبه و شاقه، كما يظهر من كلمات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقدمه؛ و لذلک فقد دعا ربه فقال:

رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاهَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ (۱).

و لقد استجیت دعوه إبراهیم (علیه السلام)، و أصبحت مکه قبله الآملین، و مهوى أفئده الصفوه من العالمین.

ج: تقدیس الکعبه:

لقد کانت الکعبه مقدسه و معظمه عند جمیع الأمم، فیذکر العلامه الطباطبائی قدس سره:

أن الهنود یعتقدون: أن روح سیفا، و هو الأقنوم الثالث عندهم قد حلت فی الحجر الأسود، حینما زار هو و زوجته بلاد الحجاز.

و الصابئه من الفرس و الکلدانیون یعدون الکعبه أحد البیوت السبعه المعظمه (۲)، و ربما قیل: إنها بیت زحل لقدم عهدها، و طول بقائها ..ن.

۱- ابراهیم ۳۷.

۲- البیوت السبعه هی: الکعبه، و مارس: علی رأس جبل بأصفهان. و هندوستان: ببلاد الهند. و نوبهار: بمدینه بلخ. و بیت غمدان: بمدینه صنعاء. و کاوسان: بمدینه فرغانه من خراسان، و بیت بأعالی بلاد الصین.

و الیهود أیضا کانوا یعظمونها، و یـدعون أنهم یعبدون اللّه فیها علی دین إبراهیم (علیه السـلام). و یقولون: إنه کان فیها تماثیل و صور، منها تمثال إبراهیم و إسماعیل، و بأیدیهما الأزلام، و أن فیها صورتا العذراء و المسیح، و یشهد علی ذلک تعظیم النصاری لأمرها کالیهود.

و کانت العرب أیضا تعظمها کل التعظیم، و تعدها بیتا للّه تعالی.

و کانوا یحجون إلیها من کل جهه (۱) ..

و ستأتی کلمات أبی طالب حول هذا الأمر حین الکلام عن زواج النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بخدیجه أم المؤمنین (علیها السلام) و قد حکی اللّه سبحانه هذا الأمر حینما قال: أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ یُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ (۲).

فـالکعبه إذن، کـانت مقـدسه عنـد جمیع الأـمم و الطوائف، و بالأخص عنـد العرب، و ظلت علی ذلک مـددا متطاوله فی العصـر الجاهلی، و یزید ذلک قوه و رسوخا: أن العربی کان یعتبرها مصدر عزته، و موضع أمله، و کیف لا تکون کذلک، و هو یری ان الأمم الأخری تنظر الیه- لأجلها- بعین الحسد و الشـنآن. و تعمل علی انتزاع هذا الشـرف منه، أو علی التقلیل من خطره و أهمیته، حتی لقد:

۱- أقام الغساسنه بیتا فی الحیره فی مقابلها (۳).

۲- و فی نجران أیضا: أقیمت کعبه أخری لتضاهی کعبه مکه، یقول الأعشی: یخاطب ناقته:۵.

۱- راجع المیزان ج ۳ ص ۳۶۱، ۳۶۲. و ما ذکره یحتاج إلی تحقیق، و إثبات بالأدله و الشواهد.
۲- العنکبوت/ ۶۷.
۳- حیاه محمّد لمحمّد حسین هیکل ص ۶۳. و راجع: الأصنام ص ۴۵.

و کعبه نجران حتم علیک حتی تناخی بأعتابها و کعبه نجران هـذه یقال: إنها بیعه بناها بنو عبـد المـدان بن الدیان الحارثی، علی بناء الکعبه، و عظموها مضاهاه للکعبه، و سموها: کعبه نجران (۱).

۳- و فی الشام کانت الکعبه الشامیه (۲).

۴- و فی الیمن الکعبه الیمانیه (۳).

و کـان رجـل من جهینه قـال لقومه: هلم نبنی بیتا نضاهی به الکعبه، و نعظمه، حتی نسـتمیل به کثیرا من العرب، فاعظموا ذلک و أبوا علیه) (۴)

و یکفی أن نذکر: أن أبرهه بن الأشرم أقام فی الیمن بیتا، و دعا الناس إلی تعظیمه، و الحج إلیه. و کتب إلی ملک الحبشه: (إنی قد بنیت لک کنیسه لم یبن مثلها أحد قط. و لست تارکا العرب حتی أصرف حجهم عن بیتهم الذی یحجونه إلیه) (۵).

و رغم أنه زخرفه و فرشه بأفخر ما یقدر علیه، إلا أن ذلک لم ینفع فی صـرف الناس حتی الیمنیین عن الکعبه إلیه، فضـلا عن أن یصرف غیرهم أو أهل مکه عن کعبتهم، و استمر الناس، و أهل الیمن علی الحج إلی مکه.

و بعد أن تغوط أحد بنی کنانه فی کنیسه أبرهه، غضب، و اندفع إلی۷.

۱- معجم البلدان لیاقوت الحموی ج ۵ ص ۲۶۸. و راجع: الأصنام ص ۴۴/ ۴۵.

۲- البدایه و النهایه ج ۲ ص ۱۹۲.

۳- البدایه و النهایه ج ۲ ص ۱۹۲.

۴- الأصنام: ص ۴۵.

۵- الأصنام: ص ۴۷.

مکه فی عام الفیل و قال لعبد المطلب: إنه لا یقصد إلا هدم البیت، فأجابه إن للبیت ربا سیمنعه، و جری ما جری لأبرهه و جیشه و أنزل اللّه فی ذلک:

أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِیلِ أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ وَ أَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبابِیلَ تَرْمِیهِمْ بِحِجارَهٍ مِنْ سِجِّیلٍ فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ (۱).

۵- و یقولون: إن تبع بن حسان کان قبل ذلک، قد حاول أن یهدم البیت و یحول حجارته إلی الیمن، فیبنی بها بیتا هناک تعظمه العرب، فدفع اللّه عن البیت شره و کیده (۲).

الأصنام، و الکعبه:

و یقولون: إن عمرو بن لحیّ، کبیر خزاعه، عند ما کان یتولی أمر البیت، سافر إلی الشام، و حمل معه منها الصنم المسمی ب (هبل) و وضعه علی الکعبه. و کان أول صنم وضع علیها، ثم أتبعه بغیره، و فی ذلک یقول شحنه بن خلف الجرهمی:

یا عمرو إنک قد أحدثت آلههشتی بمکه حول البیت أنصابا

و کان للبیت ربا واحدا أبدافقد جعلت له فی الناس أربابا ۱.

۱- سوره الفیل راجع فی هذه القضیه البحار: ج ۱۵ ص ۱۴۰ و ۱۳۶ و ۱۳۱ و ۷۲ و ۶۹ و ۶۶، و أمالی الطوسی: ص ۷۸/ ۷۹، و أنساب الأشراف: ج ۱ ص ۶۸، و تاریخ ابن الوردی: ج ۱ ص ۱۲۷، و السیره النبویه لابن کثیر: ج ۱ ص ۳۴، و السیره النبویه لابن هشام: ج ۱ ص ۵۱، و البدایه و النهایه: ج ۲ ص ۱۷۲، و تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۱۸۹، و السیره النبویه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبیه): ج ۱ ص ۳۱، و السیره الحلبیه: ج ۱ ص ۵۹- ۶۱.
۲- ثمرات الأوراق ص ۲۸۷ و راجع: تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۱۹۱.

قالوا: (و كان قوله- أى عمرو بن لحى- فيهم كالشرع المتبع؛ لشرفه فيهم، و محلته عندهم، و كرمه عليهم) (١).

فشاعت عباده الأصنام بين العرب، و أصبحت كل قبيله تضع لها صنما على الكعبه، تختلف إليه من جميع الأقطار، حتى صار بها أكثر من (٣٠٠) صنما، او تنصبه فى الموضع المناسب لها، فإذا أرادوا الحج وقفوا عند الصنم، و صلوا عنده، ثم يلبون حتى يصلوا إلى مكه (٢).

و اتخذ أهل كل دار صنما يعبدونه فى دارهم، فإذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب، و إذا قدم تمسح به أول ما يصل قبل أن يصل إلى أهله.

و كان ذلك هو حجه من قال: إن العرب لم تكن تعبد الأصنام قبل عمرو بن لحى (٣).

و ثمه رأى آخر يقول: إن بنى إسماعيل كانوا لا يفارقون مكه حتى كثروا، و ضاقت بهم مكه، و وقعت بينهم الحروب و العدوات، و أخرج بعضهم بعضا، فاضطروا إلى التفرق فى البلاد، و ما من أحد منهم إلا حمل معه حجرا من حجاره الحرم تعظيما للحرم؛ فحيث مانزلوا، وضعوه فطافوا به، كطوافهم بالكعبه، حتى أدى بهم ذلك إلى عباده تلك الحجاره. ثم جاء من بعدهم؛ فنسوا ما كان عليه آباؤهم من دين إسماعيل، فعبدوا الأوثان (٤) و فيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيمك.

١- البدايه و النهايه ج ص ١٨٧ و السيره الحلبيه: ج ١ ص ١٠ و ١١، و راجع: الأصنام ص ٩.

٢- تاريخ اليقعوبى ج ١ ص ٢٥٥.

٣- راجع: السيره الحلبيه: ج ١ ص ١٠ و ١١.

٤- راجع: البدايه و النهايه ج ٢ ص ١٨٨، و المستطرف ج ٢ ص ٧٥ عن ابن إسحاق، و الأصنام ص ۶ و غير ذلك.

و إسماعيل يتنسكون بها، من تعظيم البيت و الطواف به، و الحج و العمره، و الوقوف على عرفه و مزدلفه، و إهداء البدن، و الإهلال بالحج و العمره، مع إدخالهم فيه ما ليس منه (۱).

و نحن نرجح أن هذا الأخير هو سر عبادتهم للأوثان. و أما عمرو بن لحی، فالظاهر أنه أول من وضع الاصنام على الكعبه، أو حولها، و تبعه غيره. و ربما يشهد لذلک أن مجيئه بالصنم من الشام لا بد أن يسبقه- بحسب العاده- نوع قبول للأصنام، و تعظيم لها، هذا، إن لم نقل: إنه يعنی: أنه كان يعبد الأصنام قبل أن يذهب إلی الشام.

و ما يهمنا هنا هو الإشاره إلی ما كان للكعبه من مكانه لدی الإنسان العربی، فضلا عن غيره، سواء فی الوقت الذی كان يعبد فيه الأوثان و يعظمها، أو فی تلک الظروف التی بدأ يشعر فيها بعض الناس بسخافه عباده الأوثان، و عدم معقوليتها.

و بالنسبه للمراد من الصنم فإنهم يقولون: (إذا كان معمولا من خشب أو ذهب، أو من فضه صوره إنسان، فهو صنم، و إذا كان من حجاره فهو وثن) (۲).

ولايه الكعبه:

كانت ولايه الكعبه أولا فی يد ولد إسماعيل، ثم خرجت من يدهم إلی أخوالهم الجرهميين (۳) و يقال: إلی العماليق، ثم عادت إلی جرهم.ن.

۱- الأصنام: ص ۶.

۲- الأصنام: ص ۵۳.

۳- يقال: إن زوجه إسماعيل كانت جرهميه. و هم فی الأصل يمنيون قحطانيون، لا من عدنان.

ثم لما كثر ولد اسماعيل؛ و أصبحوا ذوی قوه و منعه، حاربوا الجرهميين بقياده كبير خزاعه، و انتزعوا منهم ولايه البيت، و استمرت فی الخزاعيين إلی أن أخرجها منهم قصی بن كلاب، الجد الرابع للنبی (صلی اللّه عليه و آله و سلم).

و كانت الولايه بيد حليل الخزاعی أبی زوجه قصی، فجعل الولايه بعد موته لابنته، التی كانت تحت قصی، و لكنه جعل مفتاح البيت مع رجل يقال له أبو غبشان فيقال: إن قصيا إشتراه منه بزق خمر، و بذلك يضرب المثل (أخسر من صفقه أبی غبشان)، و قال فی ذلك بعضهم:

أبو غبشان أظلم من قصی و أظلم من بنی فهر خزاعه

فلا تلحوا قصيا فی شراه و لوموا شيخكم إذ كان باعه (۱)

و من أجل ذلك فقد جرت بين قريش و خزاعه حرب كان النصر فيها لقريش، و هم أولاد فهر بن مالك (۲)، هكذا يقولون.

و لكن ذلك ليس هو الرأی النهائی هنا؛ إذ أننا نری البعض الآخر يقول:

إن قصيا قد استعاد البيت من خزاعه بعد حروب جرت بينه و بينهم، ثم تحاكموا إلی عمرو بن عوف، فحكم لقصی (۳).

و ثمه قول آخر يفيد: أن حليلا أوصی عند موته بولايه البيت لصهره قصی. و هذا ما تزعمه خزاعه (۴).ق.

۱- راجع تاريخ اليعقوبی ج ۱ ص ۲۳۹ و ۲۴۰.
۲- البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۱۰، و غيره.
۳- تاريخ اليعقوبی ج ۱ ص ۲۴۰ و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۰۷ عن ابن إسحاق.
۴- تاريخ اليعقوبی ج ۱ ص ۲۳۹ و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۰۵ عن ابن إسحاق.

و إذا كانت خزاعه تزعم ذلك فما هو المبرر لحربها، إلا الحسد له، و البغى عليه؟!. و الظاهر أن حليلا قد أوصى إليه به فحاربته خزاعه حسدا و بغيا، (۱) ثم تحاكموا إلى يعمر بن عوف، فحكم له.

و حكم يعمر بن عوف له يقرب وصيه حليل بالولايه إليه، و كان يعمر قد اطلع على هذه الوصيه، إن لم يكن لقصى حجج أخرى فى المقام جعلت الحكم يكون فى صالحه (۲).

و على كل حال فقد جدد قصى بناء البيت فى القرن الثانى قبل الهجره (۳) و بنى إلى جانب الكعبه دار الندوه، التى كانت تجتمع فيها قريش للحكومه، و القضاء، و الشورى (۴) و هذا من مآثره الجليله، الداله على درايته و حكمته، و بعد نظره.

مكانه قريش:

و واضح أن سدانه قريش للبيت العتيق، و هو الذى يعظمه الكثيرون ثم اتصال نسبها بإسماعيل و إبراهيم (عليهما السلام)، و العربى- بطبعه يحترم نسبا كهذا، إنطلاقا من اهتمامه بالأنساب، و إذعانه لها على أنها مصدر شرف و سؤدد و لا سيما بملاحظه تعرض العربى للغارات و السبى الأمر الذى يجعل لديه حساسيه خاصه تجاه هذا الأمر.

و أيضا، لأن قريشا كانت أقرب إلى الحنيفيه من غيرها، و شعائر۹.

۱- راجع السيره الحلبيه: ج ۱ ص ۸، و تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۱۵۵، و تاريخ الأمم و الملوك: ج ۲ ص ۱۶.
۲- السيره الحلبيه: ج ۱ ص ۹، و راجع: تاريخ الأمم و الملوك: ج ۲ ص ۱۷.
۳- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۹.
۴- راجع: السيره الحلبيه: ج ۱ ص ۱۲ و ۱۵، و راجع: تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۱۵۵، و تاريخ الأمم و الملوك: ح ۲ ص ۱۸/ ۱۹.

الحج إنما هى من بقاياها كما هو معلوم. و الحنيفيه هى الدين الذى يحترمه العربى و يقدسه و يعنوله- إن كل ذلك، و غيره من أمور قد أكسب قريشا شرفا، و منحها مكانه، و نفوذا و خطرا، و أصبح الناس عامه ينظرون إلى قريش نظره فيها الكثير من الإحترام و التقديس و الإكبار.

و الشواهد على هذا كثيره، و يكفى أن نذكر قول قصى لقريش: (قد حضر الحج، و قد سمعت العرب ما صنعتم، و هم لكم معظمون) (۱).

و قول أبى طالب حين تزويج خديجه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (الحمد لرب هذا البيت الذى جعلنا من زرع إبراهيم و ذريه إسماعيل و أنزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكام على الناس، و بارک لنا فى بلدنا الذى نحن فيه) (۲).

و عليه، فإنه إذا كانت قريش من نسل إسماعيل، و تحترم دين الحنيفيه.

و إذا كانت مكه تعتبر حتى من العرب، أهل الحرب و الغاره، حرما يأمن من لجأ إليه، و قد يلتقى العربى فيها بقاتل ولده، أو أبيه؛ فلا يؤذيه، و لا يستطيع أن يثأر منه.

و إذا كان تقديس مكه قد بلغ عندهم هذا الحد؛ فإن من الطبيعى أن يكون لساده مكه نصيب وافر من هذا التقديس. و أن يتميزوا على سائر الناس باحترام خاص. أضف إلى ذلک سدانتهم للبيت الذى تفد إليه العرب من جميع الأقطار و الأنحاء.

و إذا كانت قريش و خصوصا الهاشميون ترى: أن شرفها، و سؤددها، و مجدها، و حتى إقتصادها، مرتبط بالبيت و متصل به اتصالا وثيقا؛ فمنه.

۱- تاريخ اليعقوبى ج ۱ ص ۲۳۹.

۲- ستأتى بعض المصادر لذلک إن شاء اللّه تعالى حين الكلام عن زواج النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بخديجه.

الطبیعی أن تدرک أن انتهاک حرمته لیس من مصلحتها. لأن ذلک یقلل من تقدیس البیت، و من احترام سدنته و یفقدهم- من ثم- أعز و أغلی ما لدیهم.

و من هنا فإنه و إن کان فی قریش جماعات شریره، لا ترجع إلی دین، و هم أصحاب حلف الأحلاف (لعقه الدم). لکن قد کان فی مقابلهم رجال أشراف کرام لا یرضون بما یصدر من أولئک، و یحاولون إرجاع الحق إلی نصابه ما أمکنهم ذلک، و من هنا کانت المبادره إلی عقد حلف المطیبین، و بعده حلف الفضول، الذی ینص علی أن تردّ کل مظلمه إلی صاحبها، لا فرق بین قرشی و غیره، و علی التأسی بالمعاش (۱).

أنا ابن الذبیحین:

و یذکرون هنا: أنه حین لقی عبد المطلب- و هو یحفر زمزم- من قریش ما لقی: من مخاصمتها إیاه فی شأن تلک البئر، و شدتها علیه، حلف لئن ولد له عشره نفر لینحرن أحدهم. فلما ولدوا له دعاهم إلی الوفاء للّه بالنذر؛ فأجابوه، فضرب القداح فخرجت علی ولده عبد اللّه أصغر بنی أبیه، علی حد تعبیر ابن هشام.

و نقول:

الصحیح: بنی أمه، و إلا فإن الحمزه و العباس کانا أصغر منه.

إلا أن یقال: إنهما لم یکونا قد ولدا بعد.

و الظاهر: أن المقصود بالعشره: ما یشمل أولاد اولاده. و قد ذکروا:

أنه کان للحرث بن عبد المطلب ولدان؛ هما أبو سفیان و نوفل، بل ذکر بعضهم: أن أعمامه صلی الله علیه و آله وسلم کانوا إثنی عشر، بل قیل: ثلاثه عشر. و أنه.

۱- سیأتی الحدیث عن ذلک مفصّلا فی فصل: من المیلاد إلی البعثه.

عبد اللّه ثالث عشرهم. و علیه فلا إشکال، لأن الحمزه و العباس، کانا من أم أخری کما أشرنا إلیه (۱).

کما أننا نشک فی قولهم إن ضرب القداح کان عند هبل، و أراد التنفیذ عند إساف و نائله؛ لأن عبد المطلب کان علی دین الحنیفیه کما سیأتی عن قریب، و لم یکن یحترم الأصنام آنئذ.

و مهما یکن من أمر فقد أراد عبد المطلب ذبح ولده عبد اللّه، فأطاعه ولده؛ فمنعوه من ذلک؛ فضربت القداح علیه، و علی عشره من الإبل- مقدار دیه رجل- من جدید فخرجت علیه، فزادها عشره، و ضربت القداح فخرجت علیه، و هکذا إلی ان بلغت مئه؛ فخرجت علی الإبل فنحرت: و لذلک یقال: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان یقول:

أنا ابن الذبیحین، أی إسماعیل، و عبد اللّه (۲).

من هو الذبیح:

و یقول البعض: إن المراد بالذبیحین هابیل، و عبد اللّه .. علی اعتبار أن المراد بالذبیح هو إسحاق، کما جاء فی بعض الروایات (۳).یخ

۱- راجع: السیره الحلبیه: ج ۱ ص ۳۸ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۸.

۲- السیره الحلبیه: ج ۱ ص ۳۵- ۳۸ و راجع المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۷ و السیره النبویه لدحلان ط دار المعرفه ج ۱ ص ۱۶.

۳- راجع ابن إسحاق، و السهیلی و به جزم ابن سلام الجمحی فی کتاب طبقات الشعراء ص ۱۰۷، و حکاه عن: عمر، و العباس، و ابن مسعود، و مسروق، و عکرمه، و سعید بن جبیر، و مجاهد، و عطاء، و الشعبی، و مقاتل و عبید اللّه بن عمر، و أبی میسره، و زید بن أسلم، و عبد اللّه بن شقیق، و الزهری، و القاسم، و ابن أبی برده، و مکحول، و عثمان؟ و السدی، و الحسن و قتاده، من السلف و غیره قالوا بذلک کل ذلک فی البدایه و النهایه ج ۱ ص ۱۵۹. و البحار: ج ۱۲ ص ۱۳۲، و تاریخ

و لإجماع أهل الكتاب على ذلك (۱) على اعتبار أن العرب تجعل العم أبا (۲).

و هذا لا يصح؛ أما:

أولا: فإنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليس من ولد هابيل إجماعا.

إلا أن يقال: إن العم بمنزله الأب.

و يرده:

ألف: أن أبوه الذبيح الآخر فى قوله: أنا ابن الذبيحين؛ لا بد أن لا تختلف عن أبوه عبد اللّه له، لأنه ذكرهما فى كلام واحد، فإراده هذا المجاز البعيد فى أحدهما؛ و الحقيقه فى الآخر غير معقول، حتى لو جوزنا استعمال اللفظ المشترك فى أكثر من معنى، كما هو الصحيح، بدليل وجود التوريه فى كلام العرب.

ب: إن الذى بمنزله الأب- لو سلم أنه عرفا كذلك- إنما هو العم القريب، لا العم الذى يأتى بعد عشرات الآباء و الأجداد.

ثانيا: كون الذبيح هو إسحاق لا يصح. و ذلك لما يلى:

ألف: إنه قد ذكر فى سوره الصافات قضيه الذبح، ثم عقبها۷.

۱- البحار: ج ۱۲ ص ۱۳۴.
۲- المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۷.

بالبشاره باسحاق فقال: وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (۱) مما يشعر بأن اسحاق قد ولد بعد قضيه الذبح، لأن هذه بشاره بالميلاد بقرينه قوله تعالى فى آيه أخرى: (فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ) (۲) و لو كان الذبح لإسحاق لم يحسن الإتيان بإسمه، بل كان المناسب إيراد ضميره. و تكون البشاره بنبوته مكافأه على صبره على الذبح، و ليست بشاره به نفسه كما هو ظاهر الآيه.

و قد روى الإستدلال بالآيات عن الإمام الصادق (عليه السلام)، و عن محمد بن كعب القرظى أيضا (۳).

و يشير إلى هذا أيضا: الترتيب الذى جاء على لسان إبراهيم (عليه السلام) حيث قال: (الحمد للّه الذى وهب لى على الكبر إسماعيل و إسحاق).

كما أن اللّه قد ذكر إسماعيل و إسحاق فى القرآن معا فى ست آيات، و فى كلها يقدم ذكر إسماعيل على إسحاق.

و فى ذلك إشاره إلى ما ذكرناه:

۲- و لو أغمضنا النظر عن ذلك فإننا نقول: إن من غير المعقول أن يبشر اللّه تعالى نبيه بغلام سيكبر، و يكون نبيا و يتزوج، و يولد له ولد اسمه يعقوب ثم يأمره بذبح ذلك الولد الكبير و النبى نفسه، فإنه لا يرتاب حينئذ بأن الأمر بالذبح ليس حقيقيا و إنما هو صورى و هذا يفقد قضيه الذبح كل قيمتها. فلاحظ قوله تعالى: وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا و قوله: وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ.۹.

۱- الصافات ۱۱۲.

۲- هود/ ۷۱.

۳- راجع: الميزان ج ۱۷ ص ۱۵۵ و البدايه و النهايه ج ۱ ص ۱۶۱ و ۱۵۹.

إلا أن يدعى: أن النبوه و البشاره بيعقوب ليست داخله فى البشاره الأولى.

و لكن ذلك خلاف الظاهر. و الذين يصرون على ان الذبيح هو إسحاق لا يقولون بالبداء ليمكنهم التشبث به فى الإجابه هنا.

أو يدعى: أن الذبح قد يكون بعد أن ولد له يعقوب.

و يرده: أنهم يقولون: إن قضيه الذبح قد حصلت حينما كان عمره ثلاث عشره سنه (۱).

۳- و قد روى: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد أوضح أن كونه ابن الذبيحين إنما هو بنذر عبد المطلب، و بذبح إسماعيل (عليه السلام) (۲).

۴- و أخيرا .. فقد أنكر أبو عمرو بن العلاء أن يكون إسحاق هو الذبيح، على اعتبار أن الذبح كان بمكه، و إسماعيل هو الذى كان بمكه و بنى البيت مع والده. و كذا قال ابن القيّم (۳).

خلاصه و بيان:

و نستخلص مما تقدم: أنه قد كان هناك بشارتان:

إحداهما بولاده إسماعيل (عليه السلام)، فولد، ثم أمر بذبحه، و جرى ما جرى. ثم جاءت البشاره الأخرى بولاده إسحاق بملاحظه: أن أمه لم تكن ولدت، رغم أنها كان قد كبر سنها فبشرها اللّه بذلك- كما۹۵

۱- راجع: الدر المنثور للعاملى ج ۱ ص ۱۶۱.
۲- البحار ج ۱۲ ص ۱۳۲ و مفاتيح الغيب ج ۲۵ ص ۱۵۳.
۳- المصدران السابقان و مجمع البيان ج ۸ ص ۴۵۳ و الدر المنثور للعاملى ج ۱ ص ۱۶۱ و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۸ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۱۶ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۹۵

ذکرته سوره هود- فتعجبت: أن تلد و هی فی هذا السن.

و عدم ذکر إسماعیل فی سوره الصافات، و الاکتفاء بذکر إسحاق و یعقوب لعله یشیر إلی ذلک أیضا علی اعتبار أن الأمر بالنسبه لإسماعیل کان قد مضی و انقضی.

أهل الکتاب هم الداء الدوی:

و بعد هذا. فإن السؤال الذی یلح فی طلب الإجابه علیه هو: من أین جاء هذا الأمر الغریب: أن الذبیح هو إسحاق؟

و الجواب: هو ما قاله ابن کثیر و غیره: (إنما أخذوه- و اللّه أعلم- من کعب الاحبار، أو من صحف أهل الکتاب. و لیس فی ذلک حدیث صحیح عن المعصوم، حتی نترک من أجله ظاهر الکتاب) (۱) فالیهود إذن قد أرادوا ترویج عقیدتهم بین المسلمین، و تخصیص هذه الفضیله بجدهم إسحاق حسب زعمهم.

و لکن الیهود أنفسهم قد فاتهم: أن التوراه المتداوله نفسها متناقضه فی هذا الأمر؛ فإنها فی حین تقول: (خذ إبنک، وحیدک، الذی تحبه إسحاق. و اذهب إلی أرض المریا، و أصعده هناک محرقه علی الخ ..) (۲).

فقد عبرت هنا بکلمه: (وحیدک) الداله علی أن إسحاق هو أکبر ولد إبراهیم. و لکنها تعود فتکذب نفسها، و تنص علی أن إسحاق لم یکن وحیدا و إنما ولد و عمر إسماعیل أربعه عشر سنه (۳).ده

۱- البدایه و النهایه ج ۱ ص ۱۶۱ و ۱۵۹ و راجع السیره الحلبیه ج ۱ ص ۳۸ عن ابن تیمیه.

۲- سفر التکوین: الإصحاح ۲۲، الفقره ۱- ۳۳ و لتراجع سائر فقرات الإصحاح أیضا.

۳- سفر التکوین الإصحاح ۱۶ الفقره ۱۵/ ۱۶ نص علی أن عمر ابراهیم حین ولاده

بل لقد ذکر ابن کثیر: أنه لا خلاف بین أهل الملل: أن إسماعیل أول ولد إبراهیم و بکره (۱).

و قـد اعترف أحـد مسـلمه أهـل الکتاب بأن الیهود یعلمون: أن الذبیـح هو إسـماعیل، و لکنهم یصـرون علی خلافه حسـدا منهم للعرب (۲).

ملاحظات هامه:

الأولی: إننا نلاحظ: أن إبراهیم قد رزق ولده إسماعیل الوحید فی شیخوخته، کما أشار الیه القرآن. و طبیعی أن یکون تعلقه بهذا الولـد أشـد، و حبه له أعظم. و نلاحـظ أیضا: أن أمر اللّه تعالی له بـذبحه قـد کان، و ولـده فی أروع أیام حیاته، و فی السن التی یزداد تعلق والدیه به فیه، و حبهما له؛ حیث تمتزج المحبه بالعاطفه، و الرأفه بالإعجاب ..

و أیضا، لقد رزقه اللّه ولدا هو فی أعلی درجات الکمال الإنسانی، عقلا و درایه و سلوکا، و استقامه، إلی غیر ذلک من فضائل و کمالات إنسانیه فاضله. و هذا أیضا ادعی إلی التعلق به، وازدیاد المحبه له.

و بعـد ما تقـدم فإننا نجـد: أن اللّه سبحانه یکلف هـذا الأب بذبح طفل کهذا بیده. و إذا کان التخلی عن طفل کهذا فی ظروف کهذه هو من أصعب الأمور، فکیف إذا کان یجب أن یتم هذا التخلی بید نفس ذلک الأب؟! ..۸.

۱- البدایه و النهایه ج ۱ ص ۱۵۷، و راجع: البحار: ج ۱۲ ص ۱۳۴.

۲- البحار: ج ۱۲ ص ۱۳۴، و مجمع البیـان: ج ۸ ص ۴۵۳، و السیره الحلبیه: ج ۱ ص ۳۸. و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۹۵/ ۹۶ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۸.

و يلبى إبراهيم، و يستجيب إلى أمر اللّه، دون أن يسأل عن السبب، و دون أن يبرمه أمر كهـذا، و حتى دون أن يتحير فى ذلك؛ لأنه واثق بحسن ما يختاره له ربه، و بصلاح ما يأمره به.

يستجيب لهـذا الأمر، و لا يندفع إلى تنفيذه بسرعه و بدون أن يعلم ولده بهذا الأمر، ليريح أعصابه، و يستريح من هذا الكابوس، الأمر الـذى يخفى وراءه شيئا من الضعف و الوهن، بل هو يخبر ولده بالأمر، و يطلب منه أن يتخذ هو نفسه أيضا القرار الحاسم فى الإستسلام لذلك أو عدمه و ذلك يدل على ثقته بحسن اختيار ولده. و يدل على أنه كان يحترم فيه كبر عقله، و سداد رأيه، و لا يعتبره طفلا لا يمكن أن توكل إليه أيه مسؤليه.

و طبيعى أيضـا: أن يكون توجه إسماعيل لـذلك، و أن يتخـذ هو نفسه القرار فى ذلك بقوله: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء اللّه من الصابرين. مما يزيد فى الآم أبيه.

و إسماعيل .. الذى أراد أبوه أن ينيله أجر الطاعه، و يتذوق حلاوه التسليم، لم يكن منه إلا التسليم لأمر اللّه سبحانه، و الإنصياع له بثقه و رضا ولكنه لا يعتبر هـذا التسليم و الرضا شجاعه و بطوله منه، و إنما يعتبره خضوعا لمشيئه اللّه تعالى و يرى: أن صبره مستمد منه، و منته إليه؛ و لذلك عبر اللّه تعالى عن حالتهما هذه بقوله: (فلما أسلما)؛ فهما قد أسلما للّه تعالى، و ليس لغيره من الشهوات، و لا للغرائز، و لم تقيدهما القيود الماديه، و لا الدنيويه فى شى ء (۱).

و لـذلك فإن إبراهيم و ولـده هما ممن يكون اللّه أحب إليه من كل شـى ء مما نصت عليه الآيه الكريمه التى تقول: قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها، وَ تِجارَهٌ.

۱- لقد أشار فى كتاب: فى ظلال القرآن إلى بعض ما ذكرناه أيضا.

تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ جِهادٍ فِی سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (۱).

الثانيه: إن من الواضح أن ذبح إسماعيل، و إراقه دمه لم يكن هو المقصود النهائی له تعالی؛ و ذلک لقوله تعالی لإبراهيم: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا، و إنما كان المقصود هو البلاء و الإمتحان لإبراهيم و ولده؛ لقوله تعالی: إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ.

و حكمه هذا البلاء هی: أن يزيد فی تزكيه، و تصفيه نفس إسماعيل، فی مراحل إعداده لتحمل مسؤوليه النبوه، و قياده الأمه. و كذلک فإن فی ذلک تزكيه و تصفيه و امتحانا لنفس إبراهيم (عليه السلام) و لربما يكون ذلک من الكلمات اللواتی استحق إبراهيم بإتمامهن أن يجعله اللّه للناس إماما. قال تعالی: وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِی؟ قالَ لا يَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِينَ (۲).

و كانت قضيه الذبح هی البلاء المبين كما نصت عليه الآيه الكريمه.

و قد رأيت بعد أن كتبت هذا: أن العلامه الطباطبائی يذكر: أن البعض قد تنبه لذلک كالطباطبائی نفسه، و استدل له، بقوله تعالی: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِی إذ لا معنی لقوله هذا إن لم يكن له ذريه بالفعل، كما أنه لم يكن يعلم، و لا يظن: أنه سيكون له ولد قبل تبشير الملائكه له بذلک، و إبراهيم لا يتفوه بما لا علم له به، و لا يظنه، و لا يحتمله، و لا يخطر له علی بال، و هو بهذه السن المتقدمه. و لو كان ذلک قبل ولاده إسماعيل؛ لكان اللازم أن يقول: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِی إن رزقتنی ذريه (۳).۸.

۱- التوبه ۲۴.

۲- البقره ۱۲۴.

۳- راجع: الميزان ج ۱ ص ۲۶۷/ ۲۶۸.

و قد أورد البعض على الفقره الاولى بإمكان أن يكون هذا الطلب من إبراهيم قد حصل بعد تبشير الملائكه له بالذريه. فنزلها فى كلامه منزله الأمر الحاصل و المحقق.

و بعد، فإن حكم هذا البلاء، هو أن يضرب بذلك المثل الأعلى للأجيال، فى التضحيه فى سبيل المبدأ الحق، و لا يكتفى بمجرد رفع الشعارات، و الإعلان عن المواقف كلاميا فقط. فبإسماعيل و إبراهيم ينبغى أن تكون القدوه لكل مؤمن و مؤمنه.

كما أن فى إخراج فضائلهما من عالم القوه إلى عالم الفعل، و إظهارها للناس و التعريف بها تشجيع للفضائل الكامنه فى غيرهم، و تحريك لها لتقوم بمحاوله الظهور على الصعيد العملى، أى أن فى ذلك هزه عاطفيه مؤثره فى كل من يملك عاطفه جياشه؛ تستطيع أن تستثير الفضائل الكامنه فى نفس الإنسان؛ لتكون واقعا حيا و ملموسا، و لتقود عمليه التغيير الشامله فى حياه الإنسان، و مستقبله بشكل عام.

هذا و من غير البعيد: أن يكون المجتمع الذى عاش فيه إبراهيم و إسماعيل، قد طغت عليه الماديه؛ فأراد اللّه تعالى تحويل هذا الإتجاه بصوره عمليه، دون الإقتصار على إسداء النصايح، و التوجيهات.

و لعل المتأمل فى هذه القضيه يكتشف الكثير، مما لم نذكره، أو لم نشر إليه، و اللّه هو الموفق و المسدد.

الثالثه: و يبقى أن نشير هنا إلى أن من المقطوع به: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا يريد أن يفتخر بقوله هنا: أنا ابن الذبيحين، و إنما لعله يريد من قوله هذا: أن يوجه الأنظار للإستفاده من هذين الحدثين الهامين جدا. و أيضا يريد أن يفهم الآخرين: أنه شخصيا ليس غريبا عن هذا الجو، و أنه إذا كان أولئك قد بلغوا هذه المكانه فى القرب من اللّه، و التفانى فى سبيله و التسليم له، فلا يجب أن يتوقع منه موقف آخر،

يختلف عن هذا، أو يقل عنه. و إذن؛ فإن آمالهم فی أن يقف موقف المساوم- فی يوم ما إنما هی سراب فی سراب؛ فإن القضيه قضيه مبدأ و عقيده، و ليست قضيه مصالح شخصيه، كما يتخيلون.

و قد اثبتت الوقائع صحه ذلک؛ حيث كان صلی الله عليه و آله وسلم يقدم أهل بيته فی الحروب، و قد ضحی بكل غال و نفيس فی سبيل هذا الدين.

الرابعه: إن نذر عبد المطلب هذا ربما يقال فيه: إنه غير جائز؛ إذ كيف جاز له التصرف فی شخصيه غيره إلی هذا الحد؟! و هل يمكن أن يعتقد أحد بوجوب الوفاء بنذر كهذا، يكون الضحيه فيه نفس محترمه أخری، حتی و لو كانت ولدا مثل عبد اللّه بن عبد المطلب؟!.

و الجواب: إننا نلاحظ: أن عبد المطلب قد سار فی إيمانه سيرا تكامليا (۱) كما أشار إليه الحلبی حيث قال: و رفض فی آخر عمره عباده الاصنام، و وحد اللّه سبحانه (۲).

و بهذا نفسر كونه فی أول أمره يسمی أبناءه ب (عبد مناف) و مناف إسم صنم، و (عبد العزّی) و العزی كذلک. و لكنه يترقی و يتقدم حتی يبلغ به الأمر حدا من التسليم و الإيمان باللّه، أن أرعب إيمانه هذا أبرهه صاحب الفيل، كما يذكره المؤرخون.

و قد أشبه فی هذا الأمر نبی اللّه إبراهيم (عليه السلام) فإن ابراهيم علی ما يظهر كان موحدا لإحساسه الوجدانی و الفطری بوجود إله واحد قادر،۱.

۱- و هذا لا- ينافی ما سيأتی إن شاء اللّه، من أن جميع آبائه كانوا مؤمنين موحّدين؛ فإن المهم هو وصولهم جميعا إلی درجه الإيمان و لو بصوره تكامليه وتدريجيه. إلا أن يقال: إنه لم يثبت تسميه أبنائه بعبد العزی، و عبد مناف. و لعلها أسماء قد لحقتهم بعد أن كبروا و ظهر شركهم باللّه و اهتمامهم بالعزی و بغيرها من الأصنام.

۲- السيره الحلبيه: ج ۱ ص ۴، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه). ج ۱ ص ۲۱.

عالم حكيم إلـخ .. و لكنه بعـد أن بلغ سن الرشد أراد أن يدعم هذا الإيمان الوجدانى بالدليل و البرهان؛ فدخل المختبر و جرب حتى وصل إلى النتيجه فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّى، فَلَمَّا أَفَلَ قالَ: لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّى. فَلَمَّا أَفَلَ قالَ: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّى، هذا أَكْبَرُ. فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ: يا قَوْمِ إِنِّى بَرِى ءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.

هذا إن قلنا: إن كلام إبراهيم كان على سبيل الحقيقه و ليس على سبيل الإستدراج.

و كـذلك كان حال عبد المطلب، فلعله كان يعتقد باللّه الواحد القادر، الحكيم إلخ .. إستنادا إلى حكم الفطره و الوجدان. لكنه كان يحتمل اولا أن يكون لهذه الأصـنام شأن و شـفاعه (مّا) من دون أن يؤثر ذلك على توحيده. ثم ترقى فى فهمه فأدرك أنها لا شى ء.

و الفرق بينه و بين إبراهيم فى السرعه و البطء. والا فإن إبراهيم لم يعرف اللّه بالوحى، و إلا لم يمكن إثبات نبوته.

هذا بالنسبه لإيمانه أما بالنسبه لسلوكه و مواقفه فإنهم يقولون عنه:

إنه كـان يقطع يـد السـارق، و يمنع من طواف العراه، و يوفى بالنـذر، و يؤمن بالمعاد، و يحرم الزنا، و الخمر، و نكاح المحارم، و كـان يـأمر ولـده بترك الظلم و البغى، و يحثهم على مكارم الأخلاق، و ينهاهم عن دنيات الأمور، و كان مجاب الـدعوه و ترك الأصنام (۱).

و قد ذكرت كتب التاريخ: أن بعض الأصنام قد كانت تماثيل۷.

۱- راجع: السـيره الحلبيه ج ۱ ص ۴، و السـيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيه): ج ۱ ص ۲۱. و مسالـك الحنفا ص ۴۱، عن الملل و النحل للشهرستانى. و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۷.

لأشخاص من أهل الخير و الصلاح، فراجع كتاب الأصنام لابن الكلبى، و سيره ابن هشام و غير ذلك.

و عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): يا على، إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، و لا يعبد الأصنام، و لا يأكل ما ذبح على النصب؛ و يقول: أنا على دين إبراهيم (عليه السلام) (۱).

و قد بلغ الحد الإيمانى الأعلى بعد ولاده حفيده محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حيث سمع و رأى الكثير من العلامات الداله على نبوته صلى الله عليه و آله وسلم بأم عينيه. و شهد و عاين الكثير من الكرامات و الدلالات القطعيه فيه.

و بعد كل ما تقدم نقول: انه لا مانع من أن يكون اعتقاده أولا انه يرى لنفسه الحق فى تصرف كهذا، و نذر كهذا و لم يكن ذلك مستهجنا لدى العرف آنئذ.

أضف إلى ذلك: أنه لم يثبت عدم جواز نذر كهذا فى الشرايع السابقه. فقد نذرت امرأه عمران ما فى بطنها محررا لخدمه بيوت اللّه.

و أمر اللّه تعالى نبيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل.

النسخ فى قصه إبراهيم:

هذا، و قد ادعى البعض: أن قصه إبراهيم تدل على جواز النسخ قبل حضور وقت العمل.

و أجيب عن ذلك:

أولا: إن إبراهيم (عليه السلام) لم يؤمر بالذبح الذى هو فرى الأوداج، بل أمر بالمقدمات، كما يدل عليه قوله تعالى: قَدْ صَدَّقْتَ۶.

۱- البحار: ج ۷۷ ص ۵۶.

الرُّؤْيَا.

و لو كان ما فعله بعض المأمور به لكان مصدقا لبعض الرؤيا (۱) فلا يصح قوله تعالى: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا.

و ثانيا: إن وقت الفعل حاضر؛ فإن إبراهيم قد شرع فى التنفيذ فعلا. فالنسخ لو سلم، فإنما هو قبل وقوع الفعل، لا قبل حضور وقت العمل.

و نقول: إن النسخ يمكن أن يكون مع كون الأمر بداعى الإمتحان أو غيره أولا، ثم يصدر أمر عن مصلحه واقعيه ثانيا فينسخه.

البداء عند الشيعه:

و يتفرع على مسأله النسخ مسأله البداء؛ التى هى موضع خلاف بين الشيعه و غيرهم، و قد صارت مصدرا للإفتراءات الكثيره على الشيعه.

و نحن نشير إلى توضيح هذه المسأله بما يسمح به المجال، فنقول:

قال آيه اللّه الحجه السيد عبد الحسين شرف الدين (رحمه اللّه):

(حاصل ما تقوله الشيعه هنا: ان اللّه عزوجل قد ينقص من الرزق، و قد يزيد فيه، و كذا الأجل، و الصحه و المرض، و السعاده و الشقاوه، و المحن و المصائب، و الإيمان و الكفر، و سائر الأشياء، كما يقتضيه قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (۲).

و هذا مذهب عمر بن الخطاب، و أبى وائل، و قتاده. و قد رواه جابر عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و كان كثير من السلف يدعون،۹.

۱- معالم الدين: ص ۲۰۸، و راجع: البحار ج ۱۲ ص ۱۳۷، و مفاتيح الغيب، ج ۲۵ ص ۱۵۵.

۲- الرعد ۳۹.

و يتضـرعون إلى اللّه أن يجعلهم سـعداء لا أشقياء. و قد تواتر ذلك عن أئمتنا فى أدعيتهم المأثوره. و ورد فى السنن الكثيره: أن الصدقه على وجهها، و بر الوالدين، و اصطناع المعروف، يحول الشقاء سعاده، و يزيد فى العمر إلخ ...) (۱).

نعم، هذا هو البداء الذى تعتقد به الشيعه تبعا لائمتهم (عليهم السلام).

و أما البـداء بمعنى ظهور رأى جديـد له تعالى بعـد ان لم يكن يعلم به أولا، أو بمعنى ان يعمل تعالى عملا ثم ينـدم عليه، حيث ظهر له أن المصـلحه كانت فى خلاف ذلك. أما البـداء بهـذا المعنى فهو محال على اللّه، و لم يقل به الشـيعه أبدا. كيف؟! و هم أتباع أمير المؤمنين على (عليه السـلام) منشـئ نهج البلاغه المشـحون بالمعانى التى يعجز العقل البشـرى عن إدراكها؛ على الذى تعلم النـاس منه و من أبنائه المعصومين تنزيه اللّه تعالى عن كل نقص. و أخـذوا عنه أدق المعارف حول اللّه و صـفاته سبحانه و تعالى ..

و قد نقل عن الصادق (عليه السلام) قوله: من زعم أن اللّه يبدو له فى شى ء، و لم يعلمه أمس، فابرؤوا منه (۲).

و عنه (عليه السلام): من زعم أن اللّه بدا له فى شى ء بداء ندامه؛ فهو عندنا كافر باللّه العظيم (۳).۵.

۱- أجوبه موسى جار اللّه ص ۸۶/ ۸۷. و قـد ذكر مصـادر ما أشار إليه ثمه؛ فراجع. و نظير ذلك ما قاله المجلسـى أيضا، فراجع: سفينه البحار: ج ۱ ص ۶۲، و قد أوضحه أيضا بصوره جيده.

۲- البحار: ج ۴ ص ۱۱۱، و الإعتقادات للصدوق، باب الإعتقاد بالبداء، و ميزان الحكمه ج ۱ ص ۳۸۹.

۳- الإعتقادات للصدوق رحمه اللّه- باب الاعتقاد بالبداء، و راجع: هامش البحار:ج ۴ ص ۱۲۵.

التوضیح و التطبیق:

و توضیح ذلک: أن اللّه عز و جل یقدر لزید من الناس مثلا- رزقا معینا، أو عمرا معینا، بحسب ما تقتضیه طبیعته و سجیته، و استعداده الذاتی، و لکنه یعلم أنه سوف یتصدق فیکون ذلک سببا فی زیاده رزقه المقدر له أولا بقطع النظر عن هذه الصدقه. أو سوف یبر بوالدیه فیزید عمره لذلک کذلک. و اللّه یعلم بذلک کله من أول الأمر.

و قد تقتضی المصلحه أن یطلع اللّه نبیه علی المقتضی لوجود شی ء، من دون أن یطلعه علی ما سوف یجد فی المستقبل له من الموانع، أو ما سوف یفقده من شرائط. فیخبر النبی الناس عنه علی تلک الصفه.

ثم بعد ذلک یطلع تعالی النبی علی انه یوجد مانع، أو أن المقتضی یحتاج إلی توفر شرائط و مناخات معینه مفقوده فعلا. مع علم اللّه سبحانه بکل ذلک أولا و آخرا؛ فإن للّه علما اختص به، و علما یطلع علیه نبیه أو یثبته فی لوح المحو و الإثبات، و قد أشار إلی هذین العلمین، فی قوله تعالی: یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ فمثلا، لو بنینا بیتا، فإنه بحسب طبعه صالح للبقاء مئه سنه مثلا. و لکنه ربما ترد علیه عواصف، أو زلازل، أو سیول، أو نحوها؛ تمنع من بقائه هذه المده، و یتلاشی فی مده عشر سنوات مثلا.

فلو أخبرنا الناس: أن هذا البیت یبقی مئه سنه، مع علمنا بأنه سیتلاشی بسبب سیل یأتی من الناحیه الفلانیه یصل إلیه بعد عشره أیام، ثم أخبرنا ثانیا بأن البیت سیهدم بعد عشره أیام؛ فإن کلا من الخبرین یکون صحیحا .. و قد یترتب علی إخبارنا الأول مصلحه هامه لا غنی عن تحققها فی موطنها.

و قـد يكون من هـذا القبيل ما نجـده يذكر فى علامات الإمام صاحب الزمان (عليه السـلام) حيث قد نص الأئمه (عليهم السـلام) على أن بعضـها: من المحتوم، و سـكتوا عن البعض الآـخر؛ فلربمـا يتحقق الجميع، و لربما تفقـد بعض الشـرائط لبعضـها أو توجد بعض الموانع عن تحقق بعضـها، و يكون المخبر إنمـا أخبر عن السـير الطبيعى للأـمور بغض النظر عن العوارض و الطوارئ. و قد أوضحنا ذلک فى کتابنا دراسه فى علامات الظهور و الجزيره الخضراء، فراجع الفصل الثانى منه.

و يمكن أن تكون قضيه إبراهيم و إسماعيل الذبيح من هذا القبيل أيضا، حيث إنه تعالى- لمصلحه يراها، كالإمتحان و الإبتلاء، و غير ذلک مما تقدم- قد أمر نبيه إبراهيم بذبح ولده ثم فدا ذلک الذبيح بذبح عظيم.

و قد أخبر تعالى: إبراهيم بأنه قد صدق الرؤيا.

و لعل قضـيه إسـماعيل إبن الإمام جعفر الصادق عليه السـلام، كانت من هذا القبيل، فقد اقتضت المصـلحه أن تتوجه الأنظار نحو إسـماعيل هـذا، من أجـل حفـظ نفس الإمام الحق من الأخطار، ثم يموت إسـماعيل، و يظهر أن الإمام الحقيقى هو أخوه موسـى (عليه السلام).

إشكال .. و جوابه:

الإشكال: أن كلمه (بدا) معناها: ظهر (و ليس أظهر). و (بدا للّه) لا بد أن يكون معناه ظهر له الأمر و علم به بعد أن كان يجهله. و ذلک محال عليه تعالى كما قتلم. فكيف يمكن توجيه قوله (عليه السـلام): (ما بـدا للّه فى شـى ء كما بدا له فى إسـماعيل) و غير ذلک من كلمات عبرت ب (بدا له) أو (بدا للّه)؟!.

و الجواب: أن قوله تعالى: وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا. ثم اعتبار قضيه إسماعيل إبن الإمام الصادق (عليه السلام)

و صرف القتل عنه مرتین بسبب دعاء أبیه (علیه السلام) من البداء، حیث روی عن الإمام الصادق (ع) قوله: ما بدا للّه فی شی ء کما بدا له فی إسماعیل (۱)- إن ذلک- یشیر إلی أن کلمه بدا لم تستعمل فی معنی الإظهار او الظهور. و إنما استعملت بمعنی: تحقیق ما علم فی عالم الکون و الوجود، نظیر کلمه: (علم) فی قوله تعالی: ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَیُّ الْحِزْبَیْنِ أَحْصی لِما لَبِثُوا أَمَداً (۲). و قوله تعالی: وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ حَتَّی نَعْلَمَ الْمُجاهِدِینَ مِنْکُمْ وَ الصَّابِرِینَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَکُمْ (۳).

و قوله سبحانه: وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَهَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ یَنْقَلِبُ عَلی عَقِبَیْهِ (۴).

و المقصود: لیتحقق معلومنا، و یتجسد فی عالم الوجود. هذا بالنسبه للتعبیر ب (علم).

و کلمه بدا، أیضا کذلک؛ فبداله، أی تحقق ما علمه فی الخارج و علی صفحه الکون. و لعل قوله تعالی: وَ بَدا لَهُمْ سَیِّئاتُ ما کَسَبُوا (۵)، قد استعمل فی هذا المعنی أیضا: أی تحقق ذلک و تجسد فی الخارج.

و لعل هذا المعنی أقرب من حمل (بدا) علی معنی: أظهر للغیر، لأن هذا المعنی لا یناسب التعدیه باللام لنفس الذات الإلهیه. فلا یصح أن یقال: بدا للّه، و یکون المعنی: أظهر للغیر. بل هذا غلط ظاهر.٨

۱- سفینه البحار: ج ۱ ص ۶۲.

۲- الکهف: ۱۲.

۳- محمد: ۳۱.

۴- البقره: ۱۴۳.

۵- الزمر: ۴۸.

اليهود، و البداء:

و بعـد، فلو أننا لم نقل بالبـداء، لكنا مثل اليهود الـذين نعى اللّه عليهم اعتقادهـم الفاسـد، حيث أنكروا البـداء. و قالوا: إن اللّه قدر الأرزاق و الأشياء منذ الأزل، و لا تغيير و لا تبديل فيما قدر، فقد (جف القلم).

و قـد قال تعالى مقبحا قولهم هـذا: وَ قالَتِ الْيَهُودُ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَهٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ، وَ لُعِنُوا بِما قالُوا، بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ، يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ (۱).

و قال الشهرسـتانی عن اليهود: (و لم يجيزوا النسخ أصلا قالوا: فلا يكون بعده شريعه أصلا؛ لأن النسخ فی الأوامر بداء و لا يجوز البداء على اللّه تعالى) (۲).

فالإعتقاد بالبـداء ضـروره إسـلاميه و عقيديه، و من لوازم و مقتضـيات تنزيه اللّه و توحيده. و هو كذلك منسـجم مع مفاد الآيات القرآنيه، و الأحاديث الشريفه.

و عن الصادق و الباقر (عليهما السلام)، قال: ما عبد اللّه تعالى بشی ء مثل البداء (۳).

هذا و قد أورد المجلسی (رحمه اللّه) للبداء حكما جليله، و فوائد جميله: فليراجعها من أراد (۴).۲.

۱- سوره المائده: ۶۴.

۲- الملل و النحل: ج ۱ ص ۲۱۱.

۳- سفينه البحار: ج ۱ ص ۶۱.

۴- سفينه البحار ج ۱ ص ۶۲.

الفصل الثانی: عهد الطفوله

اشاره

نسب النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم»:

هو أبو القاسم محمـد (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم)، بن عبـد اللّه، بن عبـد المطلب، شـيبه الحمـد، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصی، بن کلاب بن مره، بن کعب، بن لؤی، بن غالب، بن فهر، بن مالک، بن نضر، بن کنانه، بن خزیمه، بن مدرکه، بن إلیاس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

قالوا: إن هذا هو المتفق علیه من نسبه الشریف، أما ما فوقه ففیه اختلاف کثیر، غیر أن مما لا شک فیه هو أن نسب عدنان ینتهی إلی اسماعیل (علیه السلام).

و قد روی أنه صلی الله علیه و آله وسلم قال: (إذا بلغ نسبی إلی عدنان فأمسکوا) (۱).

و نحن نمسک هنا إمتثالا لأمره صلی الله علیه و آله وسلم .

و أمه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): هی آمنه بنت سید بنی زهره، وهب بن عبد مناف، بن زهره، بن کلاب.۵.

۱- کشف الغمه للإربلی ج ۱ ص ۱۵.

مولد النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

ولد النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بمکه عام الفیل علی المشهور (۱). أی قبل البعثه بأربعین سنه.

و المشهور عند الإمامیه و بعض من غیرهم أنه ولد فی السابع عشر من شهر ربیع الأول. و المشهور عند غیرهم و وافقهم الکلینی: أنه ولد لاثنتی عشره لیله خلت منه (۲). و ثمه أقوال أخر لا مجال لذکرها.

و نصّ الطبرسی، و الکلینی علی أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد ولد فی یوم الجمعه، و عند غیر الإمامیه: أنه ولد فی یوم الاثنین. و ورد: أن أمه قد حملت به فی أیام التشریق. و هی الحادی عشر، و الثانی عشر و الثالث عشر من ذی الحجه (۳).

و لا یخلو ذلک من إشکال، لأنها إن کانت ولدته فی تلک السنه، فإن حملها به صلی الله علیه و آله وسلم یکون ثلاثه أشهر، و تزید قلیلا، و إن کانت ولدته فی السنه الثانیه، فمده حمله تکون خمسه عشر شهرا، مع أن أقل مده الحمل سته أشهر، و أقصاها سنه عند المشهور من الإمامیه.

و أجیب: بأن ذلک مبنی علی النسی ء فی الأشهر الحرم عند العرب، فإنهم کانوا یقولون مثلا: إن الأشهر الحرم توضع بعد أربعه أشهر مثلا، ثم یستحلون القتال فی نفس الأشهر التی رفع الإعتبار عنها.

ولکن إن لم نقل بأن الحمل به (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أربعه أشهر قد کان من خصوصیاته صلی الله علیه و آله وسلم فلا یمکننا قبول تلک الروایه حتی و لو صح۶.

۱- راجع: سیره مغلطای ص ۶/ ۷ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۱۹۵، و غیر ذلک و حکی الاتفاق علیه.

۲- أصول الکافی ج ۱ ص ۳۶۴ ط المکتبه الإسلامیه بطهران سنه ۱۳۸۸.

۳- أصول الکافی ج ۱ ص ۳۶۴، و لیراجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۱۹۶.

سندها، و ذلک لأن کون تلک الروایه وارده بناء علی أشـهر النسبی ء یحتاج إلی إثبات. إذ لم نعهد فی تعبیرات المعصومین بناء کلامهم علی النسی ء، الذی هو زیاده فی الکفر، کما لم نعهد ذلک فی کلمات المحدثین و المؤرخین. و لا سیما مع عدم نصب قرینه علی ذلک.

تعقیب هام و ضروری:

لقـد قـال الإربلی (رحمه اللّه)، بعـد أن أشار إلی الإختلاف فی تاریـخ ولادته صـلی الله علیه و آله وسـلم : (إن اختلافهم فی یوم ولاـدته سـهل؛ إذ لم یکونوا عـارفین به، و بمـا یکون منه، و کانوا أمیین لا یعرفون ضـبط موالیـد أبنائهم. فأما اختلافهم فی موته، فعجیب. و الأعجب من هـذا مع اختلافهم فی الأذان و الإقامه، بل اختلافهم فی موته أعجب؛ فإن الأذان ربما ادّعی کل قوم أنهم رووا فیه روایه، فأما موته فیجب أن یکون معینا معلوما) (۱).

و کلاـم الإـربلی (رحمه اللّه) ظـاهر المأخـذ؛ فهو یقول: إن اختلاـفهم فی تاریـخ ولاده النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) ربما تکون له مبرراته، و لکنّ ما یثیر الدهشه حقا هو اختلافهم فی یوم وفاته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، مع أنهم کانوا قد عرفوا فیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) المنقذ و المخرج لهم من الظلمات إلی النور، و من الموت إلی الحیاه، مع عدم وجود هوی سیاسی أو مذهبی یقتضی إبهام ذلک، أو إجماله، أو التلاعب فیه.

و أغرب من ذلـک کله، هو اختلاـفهم فی الکثیر الکثیر من الأـمور التی کانوا یمارسونها مع النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) عده مرات یومیا، طیله سـنین عدیده، حتی إنک لتجدهم یروون المتناقضات عنه (صـلی اللّه علیه و آله و سلم) فی أفعال الوضوء و الصلاه، و هم کانوا یؤدونها معه (صلی۵.

۱- کشف الغمه ج ۱ ص ۱۵.

اللّه علیه و آله و سلم) خمس مرات فی کل یوم. بل قد تجد بعضهم یقول:

إنهم إنما کانوا یعرفون أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یقرأ فی صلاه الظهر و العصر، من اضطراب لحیته (۱).

أمّا اختلافهم فی الأذان الذی کانوا یتربّون علی سماعه منذ صغرهم؛ فذلک ظاهر أیضا، کما أشار إلیه الإربلی (رحمه اللّه).

و إذن .. فما هو مدی معرفتهم بتلک الأحکام التی یقل الإبتلاء بها، و التعرض لها عاده یا تری؟!.

و أیضا .. هل یصح اعتبار أقوال هؤلاء و افعالهم سنه ماضیه، و شریعه متبعه،- کما هو عند بعض الفرق الإسلامیه- بل تجد بعضهم ربما یرد الحدیث الصحیح لقول صحابی، أو لقول حاکم. إن ذلک لعجیب! و أی عجیب!!

و إذا کانوا یختلفون حتی فی مثل هذه الامور؛ فهل یعقل بعد هذا أن یصح قول البعض: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد ترک الأمه هکذا هملا، بلا قائد و لا رائد؟ و لا معلم، و لا مرشد؟ علی اعتبار أن الأمه تکون مستغنیه عن الهدایه و الرعایه؟!.

و هذا موضوع هام جدا یحتاج إلی بحث و تمحیص بصوره مفصله.

قصه کاذبه:

و قد روی عن عبد اللّه بن عباس، أنه قال: سمعت أبی العباس۷.

۱- صحیح البخاری ط سنه ۱۳۰۹ ه ج ۱ ص ۹۰ و ۹۳، و مسند أحمد بن حنبل ج ۶ ص ۳۹۵ و ج ۵ ص ۲۰۹ و ۱۸۲ و ۱۱۲ و جواهر الأخبار و الآثار (مطبوع بهامش البحر الزخار): ج ۲ ص ۲۴۷ عن الانتصار، و أبی داود، و الترمذی، و النسائی، و البخاری و السنن الکبری للبیهقی ج ۲ ص ۳۷ و ۵۴ عن الصحیحین و البحر الزخار ج ۲ ص ۲۴۷.

يحدّث، قال: ولد لأبى عبد المطلب عبد اللّه فرأينا فى وجهه نورا يظهر كنور الشمس، فقال أبى: إن لهذا الغلام شأنا عظيما.

قال: فرأيت فى منامى أنه خرج من منخره طائر أبيض .. إلى أن قال: فلما انتبهت، سألت كاهنه من بنى مخزوم، فقالت: يا عباس، لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبه ولد يصير أهل المشرق و المغرب تبعا له.

إلى أن قال: فلما مات عبد اللّه، و ولدت آمنه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أتيته، و رأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته، و تفرست فى وجهه ..

ثم تذكر الروايه ما رأته آمنه، ثم تقول: فهذا ما رأيت يا عباس.

قال- يعنى العباس-: و أنا يومئذ أقرأ، و كشفت عن ثوبه، فإذا خاتم النبوه بين كتفيه، فلم أزل أكتم شأنه و أنسيت الحديث، فلم أذكره إلى يوم إسلامى، حتى ذكرنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (۱).

و أقول: إن هذا الحديث لا يصح، لأن العباس كان أكبر من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بسنتين (۲)، فكيف يكون قد حضر ولاده أبيه عبد اللّه، و رأى ذلك المنام ثم ذهب إلى الكاهنه، ثم حين ولاده الرسول و أخذه و حمله إلخ ..

هذا بالإضافه إلى أن نسيانه لهذا الأمر الخطير جدا هو الآخر غير معقول.

و لو سلمنا أنه نسيه، فكيف لا يذكره حين بعثه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و يبادر إلى التصديق به، و إعلان إسلامه. بل يتأخر فى۱.

۱- روضه الواعظين ص ۶۴/ ۶۵.

۲- الإصابه ج ۲ ص ۲۷۱.

ذلک هذه السنین الطویله، بل إلی عام الفتح کما یقولون.

و الحقیقه هی أنهم یریـدون من أمثال هذه الحکایات اثبات فضائل للعباس (رحمه اللّه)، مثل کونه أول من أسـلم، بل أسلم قبل ولاده النبی نفسه، و ما إلی ذلک.

مصیر الدار التی ولد فیها النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

و کانت ولادته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فی شعب بنی هاشم؛ أو شعب أبی طالب، فی الدار التی اشتراها محمّد بن یوسف، أخو الحجاج من ورثه عقیل بن أبی طالب (رحمه اللّه) تعالی بمائه ألف دینار.

ثم صیرتها الخیزران أم الرشید مسجدا، یصلی فیه الناس (۱) و یزورونـه، و یتبرکون به. و بقی علی حـالته تلـک، فلمـا: (أخذ الوهابیون مکه فی عصرنا هـذا هـدموه، و منعوا من زیارته، علی عادتهم فی المنع من التبرک بآثار الأنبیاء و الصالحین، و جعلوه مربطا للدّواب) (۲).

رضاعه «صلی اللّه علیه و آله و سلم»:

و یقولون إن أمه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد أرضعته یومین أو ثلاثه، ثم أرضعته ثویبه مولاه أبی لهب أیاما (۳).

ثم قدمت حلیمه السعدیه رحمها اللّه مکه مع رفیقات لها، بحثا عنی.

۱- أصول الکافی: ج ۱ ص ۲۶۴. و قیل: إن زبیده قد فعلت ذلک. راجع التبرک: ص ۲۴۳ و ۲۵۵، و راجع تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۱۹۸ و راجع أیضا الروض الأنف ج ۱ ص ۱۸۴ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۲۵، و تاریخ الأمم و الملوک: ج ۱ ص ۵۷۱، و الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۴۵۸ و أخبار مکه للأزرقی ج ۱ ص ۴۳۳.

۲- أعیان الشیعه ج ۲ ص ۷.

۳- قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷ ترجمه ثویبه، عن البلاذری.

ولد ترضعه؛ لتستفيد من رعايه أهله، و معوناتهم؛ فعرض (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عليها، فرفضته- فى بادى ء الامر- ليتمه. ولكنها عادت، فقبلته، حيث لم تجد غيره، فرأت فيه كل خير و بركه؛ فأرضعته سنتين.

ثم أعادته إلى أهله، و هو ابن خمس سنين و يومين- كما يقولون- ليكون فى كفاله جده عبد المطلب، ثم عمه أبى طالب.

و يقول العلامه المحقق السيد مهدى الروحانى: إن قولهم: إنها رفضته فى أول الأمر ليتمه إنما يصح بالنسبه ليتيم ضائع، لا أهميه له. و أما بالنسبه لمحمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فإن كافله عبد المطلب سيد هذا الوادى. و أمه آمنه بنت وهب، من أشراف مكه. بل ثمه من يقول: إنه لم يكن حينئذ يتيما، و إن أباه قد توفى بعد ولادته بعده أشهر، قيل: ثمانيه و عشرين شهرا. و قيل: سبعه أشهر. (۱) انتهى كلامه.

لماذا الرضاع فى الباديه؟!:

و على كل حال فقد كان إرسال الأطفال إلى الباديه للرضاع، هو عاده أشراف مكه، حيث يرون أن بذلك ينشأ أطفالهم: أصح أبدانا، و أفصح لسانا، و أقوى جنانا، و أصفى فكرا و قريحه، و هى نظره صحيحه و سليمه، و ذلك لما يلى:

أما كونهم:

۱- أصح ابدانا، فلأنهم يعيشون فى الهواء الطلق، و يواجهون مصاعب الطبيعه فتصير لديهم مناعه طبيعيه تجاه مختلف المتغيرات، فى مختلف الظروف.

۲- و كونهم أفصح لسانا، من حيث إنهم يقلّ اختلاطهم بأهل۶.

۱- صفه الصفوه ج ۱ ص ۵۱ و كشف الغمه للإربلى ج ۱ ص ۱۶.

الأقطار الأخرى، من الأمم الأخرى، على العكس من سكان المدن، و لا سيما مكه، التى كانت تقيم علاقات تجاريه بينها و بين سائر الأقطار و الأمم. و لها رحلتا الشتاء و الصيف، إلى البلاد التى تتاخم البلاد الاجنبيه، التى لا يبعد تأثرها بها- قليلا كان ذلك أو كثيرا-.

۳- و كونهم أقوى جنانا، لما قدّمناه فى مطاوى كلماتنا فى الفصل الأول.

۴- و أما أنهم أصفى فكرا و قريحه، فهو حيث يبتعد الإنسان حينئذ عن هموم المدينه، و عن علاقاتها المعقده و المرهقه، حيث لا يواجه فى الباديه إلا العيش الساذج و البسيط، و الحياه على طبيعتها. و لا يتأثر فكره و عقله، بالمفاهيم و الأفكار التى تفرضها تلك الحياه المثقله بالعلاقات المنحرفه، ثم هو يجد الفرصه للتأمل و التفكير و التعرف على أسرار الطبيعه و الكون، و لو فى حدود عالمه الناشى ء المحدود، و مداركه الناشئه أيضا.

و ليكون من ثم ذا فكر مبدع خلاق، و قريحه صافيه و غنيه.

و لكن بشرط عدم الإستمرار فى هذه الحياه طويلا؛ فإن الإستمرار فى حياه الباديه من شأنه أن يجعل الإنسان يعانى من الجمود و الإنغلاق، ثم هو يكّون لنفسه مفاهيم و أفكارا؛ يحوّلها الزمن إلى حقائق لا تقبل الجدل عنده، و يصير من الصعب عليه قبول أى رأى آخر يسير فى غير اتجاه قناعاته و أفكاره، فإن تدرّب الإنسان على أن يسمع النقد و المخالفه فى الرأى يبعده عن الإستبداد الفكرى، و يجعله يبحث عن الدليل، و المبرر لكل فكره لديه. و إلا؛ فإنه يصير على استعداد للتخلى عنها إلى غيرها مما يستطيع أن يدافع عنه و يستدل عليه. و هذا أمر طبيعى يعرفه الإنسان بالمشاهده، و يستدل عليه بالتقصّى و التجربه.

أخوا النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» من الرضاعه:

و یقال: إن أبا سلمه کان أخا للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من الرضاعه، و أخوهما منها أیضا حمزه بن عبد المطلب، أرضعتهم ثویبه، مولاه أبی لهب بلبن ولدها مسروح (۱) و قد تقدم: قولهم: إن ثوبیه قد أرضعت النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أیاما. و نحن نشک فی ذلک، و لا بدّ لنا فی مجال توضیح ذلک من التوسع فی البحث نسبیا فنقول:

رضاع ثویبه للرسول «صلی اللّه علیه و آله و سلم» لا یصح:

إننا نشک فی أن تکون ثویبه قد أرضعت هؤلاء، و لا سیما رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و شکنا فی ذلک ناشی ء عن الأمور التالیه:

أولا: تناقض الروایات، و یکفی أن نذکر:

بالنسبه للمده التی أرضعتها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)،۶.

۱- راجع: أسد الغابه ج ۳ ص ۹۵ و ج ۲ ص ۴۶ و البدء و التاریخ ج ۵ ص ۸ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۹، و بهجه المحافل ج ۱ ص ۴۱ و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و الإصابه ج ۴ ص ۲۵۸ و ج ۲ ص ۳۳۵ عن الصحیحین، و الاستیعاب بهامشها ج ۲ ص ۳۳۸ و ج ۱ ص ۱۶ و ۲۷۱ و البحار ج ۱۵ ص ۳۸۴ عن المنتقی للکازرونی، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷ و الکامل لابن الأثیر ج ۱ ص ۴۵۹ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۷۲ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۹۰ و تاریخ الإسلام للذهبی ج ۲ ص ۱۸ و ۱۹ و قسم المغازی ص ۲۰۹ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۲۲ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۱۳۱ و دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۱۱۳ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۵۶ و ۵۷ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۹ و ذخائر العقبی ص ۲۵۹ و ۱۷۲ و اعلام الوری ص ۶ و کشف الغمه ج ۱ ص ۱۵ و الأنس الجلیل ج ۱ ص ۱۷۶ و أنساب الأشراف (قسم السیره) ص ۹۴ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۶۴ و فی الروض الأنف: ج ۱ ص ۱۸۶ لکن فیه بدل أبی سلمه. عبد اللّه بن جحش و راجع: المعجم الصغیر ج ۲ ص ۸۶.

نجد: بعضها يقول: أرضعته أياما (۱) من دون تحديد، و بعضها يقول:

أربعه أشهر تقريبا (۲).

و فى حين نجد بعضها يقول: إن أمه أرضعته ثلاثه أيام (۳).

و قيل: سبعه (۴).

و قيل: تسعه (۵).

(و لعل أحدهما تصحيف للآخر، بسبب عدم النقط فى تلك العصور، و تشابه رسم الكلمتين).

و قيل: سبعه أشهر (۶).

و بعضهم لم يحدد مده إرضاعها له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (۷).

نعم، إننا فى حين نجدهم يقولون ذلك كله بالنسبه لإرضاع أمّه له، فإننا نجدهم يذكرون: أن حليمه السعديه أرضعته (صلى اللّه عليه و آله۳.

۱- الإصابه ج ۴ ص ۲۵۸ و البحار ج ۱۵ ص ۳۳۷، و فى هامشه عن المناقب ج ۱ ص ۱۱۹ و كشف الغمه ج ۱ ص ۱۵ و نور الأبصار ص ۱۰ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۴ و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و ۱۰۶ و الأنس الجليل ج ۱ ص ۱۷۶ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۵۶ و ۵۷ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۸۸ و الرصف ج ۱ ص ۲۲.
۲- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ عن شواهد النبوه.
۳- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۸۸ و نور الأبصار ص ۱۰.
۴- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲ و نور الأبصار ص ۱۰.
۵- السيره الحلبيه ج ۱ ص ۸۸.
۶- السيره الحلبيه ج ۱ ص ۸۸ عن الإمتاع.
۷- راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۹ و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ۸ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۱۳.

و سلم)؛ بعد سبعه أیام من مولده فقط (۱) من دون تحدید من أرضعه مده الأیام السبعه نفسها، مع العلم: أنه بعد إرضاع حلیمه له، لم یرتضع من غیرها، و إذا کانت أمه قد أرضعته فیها، فمتی أرضعته ثویبه یا تری؟!.

و من جهه أخری: فإن البعض یصرح بأن أول من أرضعته ثویبه (۲).

و بعضهم یصرح بأن أمه أول من أرضعته (۳).

ب- تناقض الروایات فی وقت عتق ثویبه، هل کان ذلک حینما بشرت أبا لهب بولادته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فأعتقها فأرضعته، أو کان بعد حوالی خمسین سنه، قبیل الهجره، أو بعدها. کما سیأتی إن شاء اللّه تعالی؟!.

و ثانیا: لقد ذکرت الروایه: أن ثویبه، قد أرضعت النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و أرضعت معه حمزه، و أبا سلمه بلبن ولدها مسروح.

و نقول: إن ذلک لا یکاد یصح، لأن حمزه کان أکبر من النبی (صلیل.

۱- مختصر التاریخ لابن الکازرونی ص ۳۸.

۲- راجع: الأنس الجلیل ج ۱ ص ۱۷۶ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۵۶/ ۵۷ و دلائل النبوه، لأبی نعیم ص ۱۱۳ و الکامل فی التاریخ ج ۱ ص ۴۵۹ و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و أنساب الأشراف ج ۱ (قسم حیاه النبی صلی اللّه علیه و آله) ص ۹۴ و البحار ج ۱۵ ص ۳۸۴ عن المنتقی للکازرونی، و البدء و التاریخ ج ۵ ص ۸ و الإصابه ج ۴ ص ۲۵۸ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۶ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۸۸ و ۸۵ و ذکر عن ابن المحدث: ان أوّل لبن نزل جوفه صلی اللّه علیه و آله، هو لبن ثویبه.

۳- راجع: السیره الحلبیه ج ۱ ص ۸۸ عن الامتاع، و احتمل الحلبی: أن یکون المراد: أن ثویبه أوّل من أرضعه بعد أمه، و لکن قول ابن المحدث، أول لبن نزل جوفه صلی اللّه علیه و آله هو لبن ثویبه لا یناسب هذا الاحتمال.

اللّه علیه و آله و سلم) بأربع سنین (۱) و قیل: کان أکبر منه بسنتین (۲).

و حتی علی هذا القول الثانی، فإنه یبعد أن یکونا أخوین من الرضاعه بلبن مسروح.

و أما إذا أخذنا بالقول الأول، فإن القضیه تصبح أکثر إشکالا، و أبعد منالا.

مع أبی عمر فی ترجیحه للقول الثانی:

و یلاحظ، أن أبا عمر قد رفض القول الأول، و رجح الثانی، إستنادا إلی قضیه الإرضاع، ثم استدرک علی ذلک، قائلا: (إلا أن یکون أرضعتهما فی زمانین) (۳).

و لکنه کلام لا یصح، لأن ما ذکره لیس بأولی من العکس، بحیث تکون زیاده عمره أربع سنین دلیلا علی عدم صحه إرضاع ثویبه له بلبن مسروح.

و أما استدراکه المذکور، فیبعده: أن الروایه تقول: إنهما معا قد۱.

۱- اعلام الوری ص ۷ و کشف الغمه ج ۱ ص ۱۵ و تهذیب الأسماء ج ۱ ص ۱۶۸، بلفظ، قیل: و أنساب الأشراف ج ۱ (قسم حیاه النبی صلی اللّه علیه و آله) ص ۸۴ و ۷۹ و ذخائر العقبی ص ۱۷۲ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۸۵ و الإصابه ج ۱ ص ۳۵۴ کلاهما بلفظ قیل. و الاستیعاب بهامش الإصابه ج ۱ ص ۲۷۱ و أسد الغابه ج ۲ ص ۴۶ و ۴۹، بلفظ قیل: أیضا.
۲- تهذیب الأسماء ج ۱ ص ۱۶۸ و الإصابه ج ۱ ص ۳۵۴ و الاستیعاب بهامشه ج ۱ ص ۲۷۱ عن البکائی و اختاره فی أسد الغابه ج ۲ ص ۴۶ و ۴۹ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۸۵ و ذخائر العقبی ص ۱۷۲ بلفظ: قیل.
۳- الاستیعاب بهامش الإصابه ج ۱ ص ۲۷۱.

رضعا بلبن مسروح (۱)، فلا یصح: أن یکون رضاعهما فی زمانین.

توجیه غیر وجیه:

و حاول محبّ الدین أحمد بن عبد اللّه الطبری توجیه ذلک بأنه:

یمکن أن تکون أرضعت حمزه فی آخر سنّیه، فی أول رضاع ابنها، و أرضعت النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی أول سنّیه، فی آخر رضاع ابنها؛ فیکون أکبر بأربع سنین (۲).

و نقول: إن ذلک، و إن کان ممکنا فی نفسه، ولکنه أمر بعید الوقوع عاده، کما أن ذلک لا یلائم: أن تکون قد أرضعته أربعه أشهر، حسب ما تقدم عن بعض الروایات. و یزیده بعدا: أننا نجد فی بعض النصوص ما یفید: أن حمزه کان حین قضیه وفاء أبیه عبد المطلب بنذره بذبح أحد ولده؛ کبیرا، و راشدا.

بیان ذلک:

أن عبد المطلب رضوان اللّه تعالی علیه، کان قد نذر: لئن ولد له عشره نفر، ثم بلغوا معه، حتی یمنعوه، لیذبحنّ أحدهم للّه، عند الکعبه.

فلما تکامل بنوه عشره، و عرف أنهم سیمنعونه، و هم:

الحارث، و الزبیر، و حجل، و ضرار، و المقوم، و أبولهب، و العباس، و حمزه و أبو طالب، و عبد اللّه، جمعهم، ثم أخبرهم بنذره.۲.

۱- راجع فی ذلک: ذخائر العقبی ص ۱۷۲ و ۲۵۹ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۴۱ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۹ و تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۲۳۱ و إن کان ربما یناقش فی ظهور کلامه. و راجع: طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و الاستیعاب بهامش الإصابه ج ۱ ص ۱۶ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۸۵ و ۸۶.

۲- ذخائر العقبی ص ۱۷۲.

إلی أن تذكر الروایه: أنه أقرع بینهم ف: (خرج القدح علی ابنه عبد اللّه، و كان أصغر ولده، و أحبهم إلیه، فأخذ عبد المطلب بید ابنه عبد اللّه، و أخذ الشفره الخ).

ثم تذكر الروایه: أن العباس هو الذی اجتذب عبد اللّه من تحت رجل ابیه، فراجع (۱).

مناقشه غیر موفقه:

و ناقشوا فی هذه الروایه: بأن العباس إنما كان یكبر النبی بثلاث سنوات فقط، فقد روی عن العباس نفسه، أنه قال:

أذكر مولد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم، و أنا ابن ثلاثه أعوام، أو نحوها، فجی ء به حتی نظرت إلیه، فجعلت النسوه یقلن لی:

قبّل أخاك، فقبلته (۲).

و لكن الإیراد بما ذكر، لیس بأولی من العكس؛ فإن من الممكن أن تكون روایه ابن إسحاق هی الصحیحه، و أما روایه: أن العباس كان یكبر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بثلاث سنین فقط، فلعلها هی الموضوعه لأهداف سیاسیه من قبل العباسیین فی ما بعد.۶.

۱- راجع البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۴۸ و السیره النبویه لابن كثیر ج ۱ ص ۱۷۴ و السیره النبویه لابن هشام ج ۱ ص ۱۶۰ و راجع: السیره الحلبیه ج ۱ ص ۳۶ و فی السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۱۵ و إن كان لم یذكر: أن عبد اللّه كان أصغر ولده، و لكنه ذكر حمزه و العباس فی جمله أولاد عبد المطلب حین قضیه الذبح .. و ذكر فی الكامل لابن الأثیر ج ۲ ص ۶ و تاریخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۴ ط الاستقامه: ان عبد اللّه كان أصغر ولده، و أحبهم، لكنه لم یسم أولاد عبد المطلب ..

۲- راجع: السیره الحلبیه ج ۱ ص ۳۶ و شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۳۵ و الروض الأنف ج ۱ ص ۱۷۶.

و يؤكد ذلك: أن ابن إسحاق حجه فى السيره النبويه، غير مدافع (١)، فلا يرد قوله؛ إستناد إلى روايه يحتمل فى حقها ما ذكرناه.

و إذن، فقد يكون عمر حمزه و العباس، حين قضيه الذبح حوالى ثمان إلى عشر سنين، يضاف إليها خمس سنوات كانت بين قصه الذبح، و بين ولاده رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم (٢)، و يصير المجموع حوالى ثلاثه عشر إلى خمسه عشر من السنين تقريبا.

و هذا الذى ذكرناه من الإشكال، دفع البعض إلى أن يقول: إنها أرضعت حمزه قبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و أرضعت بعده أبا سلمه (٣).

و لكن يرد عليه: أن تصريح الروايه، بأنها أرضعتهم جميعا بلبن ابنها مسروح يأبى هذا المجمع التبرعى، الذى لا يستند إلى أى دليل.

إلا أن يكون مراده ما تقدم عن محب الدين أحمد بن عبد اللّه الطبرى: بأن تكون قد أرضعت حمزه فى أواخر سنيه، فى آخر رضاع ابنها.٧.

١- و فى غير السيره أيضا؛ فراجع: تهذيب التهذيب ج ۹ ص ۳۹- ۴۶ ترجمه: ابن إسحاق.

٢- فى أنساب الأشراف ج ١ (قسم حياه النبى صلى اللّه عليه و آله) ص ۷۹: قال الواقدى: كان نحر الإبل قبل الفيل بخمس سنين.

٣- الأنس الجليل ج ١ ص ١٧۶ و راجع: صفه الصفوه ج ١ ص ۵۶/ ۵۷ و اعلام الورى ص ۶ و كشف الغمه ج ١ ص ١۵ و الكامل فى التاريخ ج ١ ص ۴۵۹ و طبقات ابن سعد ج ١ ص ۶۷ و أنساب الأشراف ج ١ ص ۹۴ قسم حياه النبى صلى اللّه عليه و آله و البحار ج ١۵ ص ۳۸۴ عن المنتقى للكازرونى و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ١١۳ و الإصابه ج ۴ ص ٢۵۸ و الاستيعاب بهامش الإصابه ج ٢ ص ۳۳۸ و أسد الغابه ج ۳ ص ١۹۵ و السيره الحلبيه ج ١ ص ۸۵ و ۸۷ و قاموس الرجال ج ١٠ ص ۴١٧.

و لكنه بناء على ما قدمناه، من أن من الممكن أن يكون حمزه كان يكبر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بحوالى عقد من الزمن، لا يصح حتى بناء على قول الطبرى هذا.

عدد أولاد عبد المطلب:

بقى علينا أن نشير إلى المناقشه، التى تقول: إن أولاد عبد المطلب، كانوا ثلاثه عشر، و أن حمزه و العباس قد ولدا فيما بعد.

فإنها مناقشه مردوده، لأن (حجلا) هو فى الحقيقه لقب للغيداق، و (المقوم) لقب لعبد الكعبه، أما قثم فلا وجود له أصلا، حسبما ذكره البعض (١).

و أخيرا، فإننا نشير إلى أن اليعقوبى ينص على أن عده أولاد عبد المطلب: عشره، ولكنه حينما يعدّ، أسماءهم، يذكر إسم أحد عشر رجلا (٢).

إلا أن يكون قد ذكر لواحد منهم كلّا من إسمه و لقبه، حتى بدا أنهما إثنان، مع أنهما لواحد.

أبو لهب و عتق ثويبه:

و يبقى أن نشير إلى أنهم يقولون- حسبما تقدم-: أنه لما ولد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، جاءت ثويبه إلى مولاها أبى لهب، فبشرته بولادته صلى اللّه عليه و آله و سلم. فأعتقها، فأرضعت النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم، بلبن ولدها مسروح.٢.

١- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١۶ و راجع، الاستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ٢٧٢.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١١ و راجع، الاستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ٢٧٢.

ثم رئی أبو لهب بعـد موته فی النوم- رآه العبـاس- حسب روایه ذکرهـا طائفه من المؤلفین، أو رآه النبی صـلی اللّه علیه و آله و سلم- حسب روایه الیعقوبی- بشّر حال، و أسوئه، فسأله عن حاله، فأخبره: أنه بشّر حال غیر أنه یخفف عنه العذاب- أو یسقی فی نقره إبهامه- کل یوم إثنین؛ لعتقه ثویبه، حینما بشرته بذلک (۱).

قـال القسـطلانی: (... قال ابن الجزری: فإن کان هـذا أبو لهب، الکافر، الـذی نزل القرآن بـذمه، جوزی فی النار بفرحه لیله مولد النبی صـلی اللّه علیه و آله و سـلم به؛ فما حال المسـلم الموحد من أمته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، الذی یسرّ بمولده، و یبذل ما تصل إلیه قدرته فی محبته؟!.

لعمری، إنما یکون جزاؤه من الکریم: أن یدخله بفضله العمیم، جنات النعیم (۲).

و رحم اللّه حافظ الشام، شمس الدین، محمد بن ناصر، حیث قال:۱.

۱- راجع: السیره لابن کثیر ج ۱ ص ۲۲۴. و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۷۳، و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۹ و فتح الباری ج ۹ ص ۱۲۴ و عمـده القـاری ج ۲۰ ص ۹۵ و السـیره الحلبیه ج ۱ ص ۸۴ و ۸۵ و السـیره النبویه لـدحلان ج ۱ ص ۲۵ و رساله حسـن المقصد للسـیوطی، المطبوعه مع: النعمه الکبری علی العالم ص ۹۰ و إرشاد الساری ج ۸ ص ۳۱ و جواهر البحار ج ۳ ص ۳۳۸/ ۳۳۹ و تاریخ الإسلام للذهبی ج ۲ ص ۱۹ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۱ ص ۱۲۰ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۴۱، و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۶۷ و ۶۸ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۲۷ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۲۲ و سیره مغلطای ص ۸ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۶۲ و نور الأبصار ص ۱۰ و إسعاف الراغبین بهامشه ص ۸ و هو ظاهر صحیح البخاری ج ۱ ص ۱۵۷ ط سنه ۱۳۰۹ ه. ق.

۲- السـیره النبویه لـدحلان ج ۱ ص ۲۷ و تاریـخ الخمیس ج ۱ ص ۲۲۲ و رساله حسن المقصـد للسـیوطی المطبوعه مع النعمه الکبری علی العالم ص ۹۰/ ۹۱.

إذا كان هذا كافر جاء ذمّه و تبت يداه فی الجحيم مخلدا

أتی أنه فی يوم الإثنين دائمايخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذی كان عمره بأحمد مسرورا و مات موحدا؟! (۱)

و نقول:

إن هـذا الكلام كله باطل، و لا يصـح، و ذلک لأنهم يقولون: إن عتق ثويبه، قـد تم بعد مولده صـلی اللّه عليه و آله و سـلم بدهر طويل، أی بعـد أزيـد من خمسـين سـنه؛ إما قبيل الهجره، أو بعدها. و كانت خديجه رضوان اللّه تعالی عليها، تحاول شـراءها من أبی لهب، لتعتقها، بسبب ما يزعم من إرضاعها له صلی اللّه عليه و آله و سلم، فرفض أبو لهب بيعها (۲).

و قـد حاول الحلبی توجيه ذلک: بأن من الممكن أن يكون أبو لهب قـد أعتقها أولا، لكنه لم يـذكر ذلک، و لم يظهره، و رفض بيعها لخديجه لكونها كانت معتوقه، ثم عاد فأظهر ذلک (۳).

و لكنه توجيه باطل. إذ من غير المعقول و لا المقبول؛ أن لا يظهر للناس، و لا يطلعوا علی عتقه لجاريته طيله ما يزيد علی ثلاث و خمسـين سـنه، و لماذا لم تخبر هی نفسـها أحـدا بـذلک، و ما هو الداعی له و لها للكتمان، و لا سـيما قبل النبوه، و ما هو الداعی للإظهار بعد ذلک، و لا سيما بعد الهجره؟!.۵.

۱- السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۵ و رساله حسن المقصد، للسيوطی، المطبوعه مع النعمه الكبری ص ۹۱.
۲- أنساب الأشراف (سيره النبی صلی اللّه عليه و آله) ج ۱ ص ۹۵- ۹۶ و الكامل فی التاريخ ج ۱ ص ۴۵۹ و طبقات ابن سعد ج ۱ ق ۱ ص ۶۷ و ۶۸ و الاصابه ج ۴ ص ۲۵۸ و الاستيعـاب بهامش الاصابه ج ۱ ص ۱۶ و إرشـاد الساری ج ۸ ص ۳۱ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۸۵ و راجع: الوفـاء ج ۱ ص ۱۰۷ و فتـح الباری ج ۹ ص ۱۲۴ و ذخـائر العقبی ص ۲۵۹ و تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۲، و سيره مغلطای ص ۸ قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷.
۳- السيره الحلبيه ج ۱ ص ۸۵.

و لماذا بقيت هذه الجاريه التى أعتقها عنده طيله هذه المده المتماديه، و هى خارجه عن ملكه.

هذا كله؛ عدا عن أنه لا حجيه فى المنامات، و لا اعتبار بها.

و عدا عن أن الروايه مرسله أيضا.

و أما بالنسبه لتخفيف العذاب عن أبى لهب، فنقول: إن فرحه إذا كان استجابه لحاجه نفسيه طبيعيه، و لم يكن للّه سبحانه و تعالى، فلماذا يثاب عليه، و لماذا يخفف عنه العذاب لأجله، و الأفعال الحسنه إنما يلقى الكفار جزاءها فى الدنيا لا فى الآخره، فإنه ليس لهم فى الآخره من خلاق، و لا لهم فيها نصيب. و قد قال تعالى: وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ، فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً (۱).

شرک أبى لهب:

إن المعلوم أن أبا لهب قد بقى على شرکه، و كان من أعدى أعداء اللّه، و الإسلام، و رسول الإسلام. فلا يعقل أن يجعل اللّه له يدا على النبى صلى اللّه عليه و آله يستحق المكافأه عليها. و لأجل ذلک لم يكن صلى اللّه عليه و آله يقبل هديه مشرک، بل كان يردها (۲).

و قد قال صلى اللّه عليه و آله: (اللهم لا تجعل لفاجر، و لا لفاسق عندى نعمه) (۳) فكيف إذا كان هذا الفاسق و الفاجر هو أبو لهب لعنه اللّه بالذات؟!.ى.

۱- الفرقان ۲۳.

۲- مستدرک الحاكم ج ۳ ص ۴۸۴ و تلخيصه للذهبى بهامشه و المصنف لعبد الرزاق ج ۱ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ و فى الهامش عن مغازى ابن عقبه، و عن الترمذى ج ۲ ص ۳۸۹ و عن أبى داود و أحمد، و كنز العمال ج ۶ ص ۵۷ و ۵۹ و ج ۳ ص ۱۷۷ عن ابن داود، و الترمذى، و صححه، و أحمد، و الطيالسى، و البيهقى و ابن عساكر، و الطبرانى و سعيد بن منصور.

۳- راجع: أبو طالب مؤمن قريش للخنزى.

هذا کله، عدا عن أن نفس ثویبه لم یعلم لها إسـلام، حتی لقد قال أبو نعیم: لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غیر ابن منده، مع أنها قد توفیت سنه سبع من الهجره (۱).

و أی نعمه أعظم من إرضاعها له صلی اللّه علیه و آله؟!.

و بعض من تأخر قـد نقل: أنها أسـلمت (۲). و لعله اسـتند فی ذلـک إلی قول ابن منـده، أو اسـتفاد ذلـک مما ینقل عن برّ النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله بها (۳).

و قال العسقلانی: (... و فی باب من أرضع النبی صلی الله علیه و آله وسلم ما یدل علی أنها لم تسلم) (۴).

و علی کل حال؛ فإن کل ما تقدم، و سواه، یجعلنا نشک کثیرا، فی أن تکون ثویبه قد أرضـعت رسول اللّه، و حمزه، و أبا سلمه، بلبن ولدها مسروح لیکونوا جمیعا أخوه من الرضاعه.

تنازع الظئر فی رضاعه:

و روی مجاهد، قال: قلت لابن عباس: و قد تنازعت الظئر فی۷.

۱- راجع: سیره مغلطای ص ۸ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۲۲ و الوفاء ج ۱ ص ۱۰۷ و ذخائر العقبی ص ۲۵۹ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۸۷، و فتح الباری ج ۹ ص ۱۲۴ و الإصابه ج ۴ ص ۲۵۷ و إرشاد الساری ج ۸ ص ۳۱ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۶۲ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۹ و شرح الأشخر الیمنی علی بهجه المحافل ج ۱ ص ۴۱ و أسد الغابه ج ۵ ص ۴۱۴ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۵ و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۱۷.
۲- راجع: اعلام الوری ص ۶ و کشـف الغمه ج ۱ ص ۱۵ و البحـار ج ۱۵ ص ۳۳۷ و بهـامشه عن: المناقب ج ۱ ص ۱۱۹ عن کتاب العروس للطبری.
۳- راجع: ذخائر العقبی ص ۲۵۹ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۶۲.
۴- الإصابه ج ۴ ص ۲۵۷.

رضاع محمد؟!.

قال: أي و اللّه، و كل نساء الجن .. إلى أن قال: فخص بذلک حليمه (۱).

و روى أبو الحسن البكرى فى كتابه الأنوار، قال: حدثنا أشياخنا، و أسلافنا الرواه: أنه كان من عاده أهل مكه، إذا تم للمولود سبعه أيام، إلتمسوا له مرضعه ترضعه .. إلى أن قال: فتطاولت النساء لرضاعته و تربيته .. ثم يذكر: أن الهاتف أخبر آمنه: بأن مرضعته فى بنى سعد، و إسمها حليمه؛ فظلت تتوقع مجيئها، حتى جاءت؛ فأعطتها إياه (۲).

و ذلک واضح الدلاله على عدم صحه ما يقال: من أن النساء المرضعات قد زهدن فيه ليتمه، و أن حليمه، إنما قبلت به؛ لأنها لم تجد سواه، و لم تحب أن ترجع رفيقاتها برضيع، و ترجع هى خاليه.

و مما يدل على عدم صحه ذلک أيضا: أن عبد المطلب قد قال لحليمه: (أنا جده، أقوم مقام أبيه، فإن أردت أن ترضعيه دفعته إليک، و أعطيتک كفايتک) (۳).

و ثمه روايه أخرى تدل على عدم صحه ذلک أيضا رواها المجلسى، عن الواقدى، فلتراجع (۴).

حديث شق الصدر:

و ما دمنا فى الحديث عن رضاعه صلى اللّه عليه و آله و سلم فى بنى سعد، فإننا لا نرى مناصا من إعطاء رأينا فى روايه وردت فى هذه المناسبه، و هى التاليه: أخرج مسلم بن الحجاج: (عن أنس بن مالک:

أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم أتاه جبرئيل، و هو يلعب مع ۲.

۱- البحار ج ۱۵ ص ۳۸۵.

۲- البحار ج ۱۵ ص ۳۷۱.

۳- البحار ج ۱۵ ص ۳۷۳.

۴- البحار ج ۱۵ ص ۳۴۱ و ص ۳۴۲.

الغلمان؛ فأخذه و صرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقه؛ فقال: هذا حظ الشيطان منک، ثم غسله فی طست من ذهب، بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده فی مکانه.

و جاء الغلمان یسعون إلی أمه- یعنی ظئره- فقالوا: إن محمدا قد قتل. فاستقبلوه، و هو منتقع اللون.

قال أنس: (و قد کنت أری أثر ذلک المخیط فی صدره) (۱).

و کان ذلک هو سبب إرجاعه صلی اللّه علیه و آله إلی أمه (۲).

و کتب الحدیث و السیره عند غیر الإمامیه لا تخلو عن هذه الروایه غالبا. بل قد ذکروا أنه قد شقّ صدره صلی اللّه علیه و آله خمس مرات، أربع منها ثابته: مره فی الثالثه من عمره، و أخری فی العاشره، و ثالثه عند مبعثه، و رابعه عند الإسراء، و الخامسه فیها خلاف.

توجیه غیر وجیه:

و یقولون: إن تکرار شق صلی اللّه علیه و آله إنما هو زیاده فی تشریفه علیه الصلاه و السلام. و قد نظم بعضهم ذلک شعرا فقال:

أیا طالبا نظم الفرائد فی عقدمواطن فیها شق صدر لذی رشد

لقد شق صدر للنبی محمدمرارا لتشریف، و ذا غایه المجد

فأولی له التشریف فیها مؤثل لتطهیره من مضغه فی بنی سعد

و ثانیه کانت له و هو یافع و ثالثه للمبعث الطب الند

و رابعه عند العروج لربه و ذا باتفاق فاستمع یا أخا الرشد

و خامسه فیها خلاف ترکتهالفقدان تصحیح لها عند ذی النقد (۳) ۷.

۱- صحیح مسلم ج ۱ ص ۱۰۱- ۱۰۲ و فیه ثمه روایات أخری عن شق صدره صلی اللّه علیه و آله فلیراجع من أراد.
۲- سیره ابن هشام ج ۱ ص ۱۷۴/ ۱۷۵، و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۰، و غیر ذلک.
۳- راجع: أضواء علی السنه المحمدیه ص ۱۸۷.

کما أننا فی نفس الوقت الذی نری فیه البعض یعتبر هذه الروایه من إرهاصات النبوه کما صرح به ناظم الأبیات السابقه و غیره (۱)، و مثار إعجاب و تقدیر.

فإننا نری: أنها عند غیر المسلمین، إما مبعث تهکم و سخریه، و إما دلیل لإثبات بعض عقائدهم الباطله، و الطعن فی بعض عقائد المسلمین.

و نری فریقا ثالثا یعتبر الروایه موضوعه، من قبل من أراد أن یضع التفسیر الحرفی لقوله تعالی: (أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ، وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ) (۲).

و اعتبرها صاحب مجمع البیان أیضا (مما لا یصح ظاهره، و لا یمکن تأویله إلا علی التعسف البعید؛ لأنه کان طاهرا مطهرا من کل سوء و عیب، و کیف یطهر القلب و ما فیه من الاعتقاد بالماء؟) (۳).

و نجد آخر (۴) یحاول أن یناقش فی سند الروایه. و نظره فقط إلی روایه ابن هشام، عن بعض أهل العلم، و لکنه لم یعلم أنها وارده فی صحیح مسلم بأربعه طرق. و لو أنه اطلع علی ذلک لرأینا له موقفا متحمسا آخر؛ لأنها تکون حینئذ کالوحی المنزل، علی النبیّ المرسل.

و لعل خیر من ناقش هذه الروایه نقاشا موضوعیا سلیما هو العلامه الشیخ محمود أبو ریه فی کتابه القیم: (أضواء علی السنه المحمدیه)؛ فلیراجعه من أراد ..

رأینا فی الروایه:

و نحن هنا نشیر إلی ما یلی:۶.

۱- فقه السیره للبوطی ص ۵۳، و راجع سیره المصطفی للحسنی ص ۴۶.

۲- راجع حیاه محمد لمحمد حسین هیکل ص ۷۳ و النبی محمد للخطیب ص ۱۹۷.

۳- المیزان ج ۱۳ ص ۳۴، عن مجمع البیان.

۴- النبی محمد لعبد الکریم الخطیب ص ۱۹۶.

۱- إن ابن هشام و غيره يذكرون: أن سبب إرجاع الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى أمه، هو أن نفرا من الحبشه نصارى، رأوه مع مرضعته، فسألوا عنه، و قلّبوه، و قالوا لها: لنأخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى ملكنا و بلدنا الخ (۱).

و بذلك تصير الروايه المتقدمه التى تذكر أن سبب إرجاعه إلى أمه هو قضيه شق الصدر محل شك و شبهه.

۲- كيف يكون شق صدره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو سبب إرجاعه إلى أمه؛ مع أنهم يذكرون: أن هذه الحادثه قد وقعت له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و عمره ثلاث سنين، أو سنتان و أشهر. مع أنه إنما أعيد إلى أمه بعد أن أتم الخمس سنين.

۳- هل صحيح أن مصدر الشر هو غده، أو علقه فى القلب، يحتاج التخلص منها إلى عمليه جراحيه؟!. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲ ۸۶ رأينا فى الروايه: ..... ص : ۸۵

و هل يعنى ذلك أن باستطاعه كل أحد- فيما لو أجريت له عمليه جراحيه لاستئصال تلك الغده- أن يصبح تقيّا و رعا، خيّرا؟!.

أم أن هذه الغده أو العلقه قد اختص اللّه بها الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و ابتلاه بها دون غيره من بنى الإنسان؟!. و لماذا دون غيره؟!.

۴- لماذا تكررت هذه العمليه أربع، أو خمس مرات، فى أوقات متباعده؟ حتى بعد بعثته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعده سنين، و حين الإسراء و المعراج بالذات؟!

فهل كانت تلك العلقه السوداء، و حظ الشيطان تستأصل، ثم تعود إلى النمو من جديد؟! و هل هى من نوع مرض السرطان الذى لا تنفع معه العمليات الجراحيه، و الذى لا يلبث أن يختفى حتى يعود إلى الظهور بقوه۵.

۱- راجع: سيره ابن هشام ج ۱ ص ۱۷۷ و تاريخ الطبرى ج ۱ ص ۵۷۵.

أشد، و أثر أبعد؟!.

و لماذا لم تعد هذه العلقه إلى الظهور بعد العمليه الرابعه أو الخامسه، بحيث يحتاج إلى السادسه، فالتى بعدها؟!.

و لماذا يعذب اللّه نبيه هذا العذاب، و يتعرض لهذه الآلام بلا ذنب جناه؟! ألم يكن بالإمكان أن يخلقه بدونها من أول الأمر؟!.

۵- و هل إذا كان اللّه يريد أن لا يكون عبده شريرا يحتاج لإعمال قدرته إلى عمليات جراحيه كهذه، على مرأى من الناس و مسمع؟!.

و تعجبنى هذه البراعه النادره لجبرئيل فى إجراء العمليات الجراحيه لخصوص نبينا الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و ألا تعنى هذه الروايه: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان مجبرا على عمل الخير، و ليس لإرادته فيه أى أثر أو فعاليه، أو دور؟:!، لأن حظ الشيطان قد أبعد عنه بشكل قطعى و قهرى، و بعمليه جراحيه، كان أنس بن مالك يرى أثر المخيط فى صدره الشريف!!.

۶- لماذا اختص نبينا بعمليه كهذه و لم تحصل لأىّ من الأنبياء السابقين عليهم الصلاه و السلام (۱)؟ أم محمدا (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، أفضل الأنبياء و أكملهم، كان فقط بحاجه إلى هذه العمليه؟! الجراحيه؟! و إذن، فكيف يكون أفضل و أكمل منهم؟ أم أنه قد كان فيهم أيضا للشيطان حظ و نصيب لم يخرج منهم بعمليه جراحيه؛ لأن الملائكه لم يكونوا قد تعلموا الجراحه بعد؟!.

۷- و أخيرا، أفلا ينافى ذلك ما ورد فى الآيات القرآنيه، مما يدل على أن الشيطان لا سبيل له على عباد اللّه المخلصين: (قال: رب بما اغويتنى لأزينن لهم فى الأرض، و لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم۸.

۱- السيره الحلبيه ج ۱ ص ۳۶۸.

المخلصين (۱)).

و قال تعالى: (إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ (۲)) و قال: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا، وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۳)).

و من الواضح: أن الأنبياء هم خير عباد اللّه المخلصين، و المؤمنين، و المتوكلين. فكيف استمر سلطان الشيطان على الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى حين الإسراء و المعراج؟!.

هذا كله، عدا عن تناقض الروايات الشديد. و قد أشار إليه الحسنى باختصار. فراجع، (۴) و قارون.

المسيحيون و حديث شق الصدر:

و قد روى عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قوله: (ما من أحد من الناس إلا و قد أخطأ، أو همّ بخطيئه، ليس يحيى بن زكريا) (۵).

و يذكر أبو ريه (رحمه اللّه): أن حديث شق الصدر يأتى مؤيدا للحديث الآخر، الذى ورد فى البخارى، و مسلم و فتح البارى و غيرها، و هو- و النص للبخارى-: (كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن، فطعن فى الحجاب (۶)):

و فى روايه: ما من بنى آدم مولود إلا يسمه الشيطان حين يولد؛ فيستهل۳.

۱- سوره الحجر ۳۹- ۴۱.

۲- الإسراء ۶۵.

۳- النحل ۹۹.

۴- سيره المصطفى ص ۴۶.

۵- مسند أحمد: ج ۱ ص ۳۰۱، و راجع: المنصف ج ۱۱ ص ۱۸۴.

۶- البخارى ط سنه ۱۳۰۹ ج ۲ ص ۱۴۳.

صارخا من مس الشيطان غير مريم و ابنها (۱) .. و لهذا الحديث ألفاظ أخرى لا مجال لذكرها.

و قد استدل المسيحيون بهذا الحديث على أن البشر كلهم، حتى النبى مجردون عن العصمه، معرضون للخطايا إلا عيسى بن مريم، فإنه مصون عن مس الشيطان، مما يؤيد ارتفاع المسيح عن طبقه البشر، و بالتالى يؤكد لا هوته الممجد (۲).

و أضاف أبو ريه إلى ذلك قوله:

(و لئن قال المسلمون لإخوانهم المسيحيين، و لم لا يغفر اللّه لآدم خطيئته بغير هذه الوسيله القاسيه، التى أزهقت فيها روح طاهره بريئه، هى روح عيسى (عليه السلام) بغير ذنب؟!.

قيل لهم: و لم لم يخلق اللّه قلب رسوله الذى اصطفاه، كما خلق قلوب إخوانه من الأنبياء و المرسلين- و اللّه أعلم حيث يجعل رسالته- نقيا من العلقه السوداء و حظ الشيطان، بغير هذه العمليه الجراحيه، التى تمزق فيها قلبه و صدره مرارا عديده ...!) (۳).

أصل الروايه جاهلى:

و الحقيقه هى أن هذه الروايه مأخوذه عن أهل الجاهليه، فقد جاء فى الأغانى أسطوره مفادها: أن أميه بن أبى الصلت كان نائما؛ فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت؛ و دخل الآخر فشق عن قلب أميه ثم رده الطائر، فقال له الطائر الآخر: أوعى؟؟ قال: نعم. قال: زكا؟ قال:۷.

۱- مسند أحمد ج ۲ ص ۲۷۴/ ۲۷۵.

۲- أضواء على السنه المحمديه ص ۱۸۶، عن: المسيحيه فى الإسلام طبعه ثالثه ص ۱۲۷ تأليف ابراهيم لوقا.

۳- أضواء على السنه المحمديه ۱۸۷.

أبی.

و علی حسب روایه أخری: أنه دخل علی أخته، فنام علی سریر فی ناحیه البیت، قال: فانشق جانب من السقف فی البیت، و إذا بطائرین قد وقع أحدهما علی صدره، و وقف الآخر مکانه، فشق الواقع علی صدره، فأخرج قلبه، فقال الطائر الواقف للطائر الذی علی صدره: أوعی؟ قال:

وعی. قال: أقبل؟ قال: أبی. قال: فردّ قلبه فی موضعه الخ .. ثم تذکر الروایه تکرر الشق له أربع مرات (۱).

و هکذا یتضح أن هذه الروایه مفتعله و مختلقه، و أن سر اختلاقها لیس إلا تأیید بعض العقائد الفاسده، و الطعن بصدق القرآن، و عصمه النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و لنعد الآن إلی متابعه الحدیث عن السیره العطره؛ فنقول:

فقد النبی صلی الله علیه و آله وسلم لأبویه:

لقد شاءت الإراده الإلهیه: أن یفقد النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أباه و هو لا یزال جنینا، أو طفلا صغیرا. و ربما یقال: إن الأصح هو الأول؛ لأن یتمه هذا کان هو الموجب لتردّد حلیمه السعدیه فی قبوله رضیعا (۲). و لکن قد تقدم بعض المناقشه فی ذلک.

ثم فقد أمه بعد عودته من بنی سعد، و هو فی الرابعه من عمره، أو۳.

۱- راجع الأغانی ج ۳ ص ۱۸۸/ ۱۸۹/ ۱۹۰.

۲- و بذلک یعلم: أن ما ورد فی کشف الغمه ج ۱ ص ۱۶ من أنه عاش صلی الله علیه و آله وسلم مع أبیه سنتین و أربعه أشهر لا یمکن المساعده علیه .. رغم أن الأربلی رحمه اللّه قد نص بعد ذلک بصفحات أی فی ص ۲۲ علی أن أباه قد توفی و أمه حبلی به صلی اللّه علیه و آله و سلم .. فراجع .. و لیراجع تاریخ الخمیس ص ۲۵۸ ج ۱ و تاریخ الطبری ج ۲ ص ۳۳، و سیره ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۳.

فی السادسه، أو أکثر حسب الروایات.

و لعل ما تقدم من إرجاع حلیمه له إلی أمه، و هو فی الخامسه من عمره، یؤید أن أمه قد توفیت و هو فی السادسه، إلا أن یقال: إنه یمکن أن یکون المراد: أنه قد أرجع إلی أهله، و لکنه احتمال بعید عن مساق الکلام.

هذا .. و قد استأذن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ربه فی زیاره قبر أمه، فأذن له. فقد روی مسلم فی صحیحه، أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قال: (إستأذنت ربی فی زیاره أمی، فأذن لی، فزوروا القبور تذکّرکم الموت) (۱).

و هذا الحدیث حجه دامغه علی من یمنع من زیاره القبور. و له مؤیدات کثیره؛ کزیاره فاطمه (علیها السلام) لقبر حمزه (علیه السلام)، و غیر ذلک.

و قد ألف العلامه المتتبع البحاثه الشیخ علی الأحمدی کتابا فی التبرک بآثار الأنبیاء و الصالحین، و تعرض فیه إلی هذا الموضوع، و بحثه أیضا العلامه الأمینی فی الغدیر، و السبکی فی کتابه: شفاء السقام فی زیاره خیر الأنام، و غیرهم کثیر.

کفیل النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

و لقد عاش (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی کنف جده عبد المطلب، الذی کان یرعاه خیر رعایه، و لا یأکل طعاما إلا إذا حضر، و کان عارفا بنبوته حتی لقد روی: أنه قال عنه لمن أراد أن ینحیه عنه، و هو طفل..

۱- کشف الغمه ج ۱ ص ۱۶ عن مسلم، و صحیح مسلم ط سنه ۱۳۳۴ ج ۳ ص ۶۵، و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۳۳۵ و الحدیث موجود فی مصادر عدیده کما یظهر من مراجعه کتاب الجنائز فی کتب الحدیث ..

یدرج: دع إبنی فإن الملک قد أتاه (۱). و الروایه معتبره علی الظاهر.

أضف إلی ذلک ما رووه من إخبار سیف بن ذی یزن لعبد المطلب بذلک، عند ما زاره فی الیمن، إلی غیر ذلک من دلائل و إشارات، رسخت هذا الإعتقاد فی نفس عبد المطلب (رحمه اللّه)، و جعلت له (صلی اللّه علیه و آله و سلم) مکانه خاصه عنده (۲).

و فی السنه الثامنه من عمره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) توفی جده عبد المطلب، بعد أن اختار له أبا طالب (رحمه اللّه) لیکفله، و یقوم بشؤونه، و یحرص علی حیاته، رغم أن أبا طالب لم یکن أکبر ولد عبد المطلب سنا، و لا أکثرهم مالا؛ لأن الأسنّ فیهم کان هو الحارث، و الأکثر مالا هو العباس. و لکن عذر العباس هو أنه کان حینئذ صغیرا أیضا، لأنه کان أسن من النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بسنتین فقط، کما یقولون (۳) و ان کنا قد قلنا: إنه کان یکبره بأکثر من ذلک. کما أن أبا طالب قد کان شقیق عبد اللّه والد النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لأبیه و أمه، فإن أمهما هی فاطمه المخزومیه، و طبیعی أن یکون لأجل ذلک أکثر حنانا و عطفا علیه و حبا له.

ثم إن أبا طالب الذی کان هو و زوجته أم أمیر المؤمنین (علیه السلام) یحملان نور الولایه، قد کانا یحملان من المکارم و الفضائل النفسیه و المعنویه و من الطهاره ما یؤهلهما لأن یکونا کفیلین لرسول اللّه..

۱- أصول الکافی ط سنه ۱۳۸۸ ه ج ۱ ص ۳۷۲.
۲- راجع: البدایه و النهایه: ج ۲ ص ۳۲۹/ ۳۳۰.
۳- و إن کنا نعتقد أنه حتی و لو کان سنه إلی الحد الذی یتمکن فیه من کفالته صلی الله علیه و آله وسلم فإن عبد المطلب لا یعهد به إلیه؛ فإنه هو الذی احتفظ بالسقایه، دون الرفاده، بسبب حرصه علی المال، وضنه به، و هو الذی کان یحاول أن یحصل علی فضله من المال من عمر بأسلوب عاطفی، و بطریقه لا یتبعها إلا من یهتم بالمال و بجمعه بشکل ظاهر ..

(صلی اللّه علیه و آله و سلم) و أبوین لوصیه، و للأئمه من ذریته ..

و علی کل حال، فقد عهد عبد المطلب إلی أبی طالب (علیه السلام) بمهمه کفالته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؛ لأنه کان بالإضافه إلی ما تقدم أنبل اخوته، و أکرمهم، و أعظمهم مکانه فی قریش، و أجلهم قدرا.

و لقد قام أبو طالب (علیه السلام) برعایته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) خیر قیام، و لم یزل یکرمه و یحبه غایه الحب، و ینصره بیده و لسانه طول حیاته، کما سنشیر إلیه إن شاء اللّه تعالی فی فصل خاص به رضوان اللّه تعالی علیه.

الرحله الأولی إلی الشام، و بحیرا:

و یقولون: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد سافر إلی الشام بصحبه عمه أبی طالب، و رآه بحیرا راهب بصری، و أخبر عمه أنه نبی هذه الأمه، و أصرّ علیه بأن یرجعه إلی مکه، حتی لا یغتاله الیهود. الذین یرون العلامات التی فی کتبهم متحققه فیه. فخرج به عمه أبو طالب حتی أقدمه مکه.

روایه مکذوبه:

و لکن جاء فی روایه لأبی موسی الأشعری: أن بحیرا (لم یزل یناشده حتی ردّه، و بعث معه أبو بکر بلالا، و زوّده الراهب من الکعک و الزیت (۱)).ل.

۱- الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۴۴، و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۸۵، و تاریخ الطبری ج ۲ ص ۳۴ ط الاستقامه، و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۲۵۸، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۰ و مستدرک الحاکم، و البیهقی، و ابن عساکر، و الترمذی، و قال: حسن غریب. و فی سیره دحلان ج ۱ ص ۴۹ أنه رجع إلی مکه، و معه أبو بکر و بلال.

و فی روایه: أن سبعه کانوا قد عزموا علی قتله صلی الله علیه و آله وسلم ، فمنعهم بحیرا، و بایعوا الرسول، و أقاموا معه.

و لکن ذلک لا یمکن أن یصح:

أولا: لأن عمر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان حینئذ إثنتی عشره سنه، بل قیل: إن عمره کان حینئذ تسع سنین (١).

و أبو بکر کان أصغر من النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بأکثر من سنتین، و بلال کان أصغر من أبی بکر بعده سنین، تتراوح ما بین خمس إلی عشر (٢)، حسب اختلاف الأقوال.

فهل یمکن لأبی بکر، و هو بهذه السن أن یسافر إلی الشام، ثم یصدر الأوامر و النواهی فی مهمات کهذه؟!.

و هل یمکن لبلال الذی کان طفلا، لا یقدر علی المشی، أو لم یکن قد ولد بعد: أن یکون مع أبی بکر فی ذلک السفر الطویل؟ ثم أن یتحمل مسؤولیه إرجاع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من بصری إلی مکه؟ مع کون النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أکبر منه بسنوات عدیده؟!.

و ثانیا: ما هو الربط بین أبی بکر و بلال حتی یأمره أبو بکر بهذا الأمر؛ فإن أبا بکر لم یکن یملک بلالا، و إنما کان یملکه أمیه بن خلف.

و إنما اشتراه أبو بکر کما یقولون بعد ثلاثین عاما من حینئذ (٣).).

١- راجع: الطبری ج ٢ ص ٣٣، و البدایه و النهایه ج ٢ ص ٢٨۶ و السیره الحلبیه ج ١ ص ١٢٠، و قال: إن صاحب کتاب الهدی قد رجح هذا القول ..

٢- نعم قد ذکر ابن حبان، و الإصابه ج ١ ص ١۶۵ عن أبی نعیم: أن بلالا کان تربا لأبی بکر .. لکن الأشهر و الأکثر علی أن أبا بکر کان یکبره بعده سنین کما ذکرنا راجع السیره الحلبیه ج ١ ص ١٢٠.

٣- و قد أشار إلی ذلک الحافظ الدمیاطی علی ما فی تاریخ الخمیس ج ١ ص ٢۵٩ عن حیاه الحیوان .. و کذا فی سیره مغلطای ص ١١ و زاد قوله: (بایعوه علی أی شی ء).

هذا إن لم نقل: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هو الذی اشتری بلالا، و أعتقه، و لم یملکه أبو بکر أصلا (۱).

و ثالثا: إن راوی هذه الروایه، و هو أبو موسی، لم یکن قد ولد أصلا؛ لأنه إنما ولد قبل البعثه بثمان أو بعشر سنین، علی ما یقولون؛ کما أنه إنما قدم إلی المدینه فی سنه سبع من الهجره، سنه خیبر. و هذه القضیه قد کانت قبل البعثه بحوالی ثلاثین عاما.

و رابعا: سیأتی عن مغلطای و الدمیاطی: أن أبا بکر لم یکن فی ذلک السفر أصلا. و لعل لأجل بعض ما تقدم أو کله حکم الترمذی علی هذا الحدیث بالغرابه، و شک فیه ابن کثیر أیضا. فراجع.

و بعد کل ما تقدم فقد حکم الذهبی علی هذا الحدیث بقوله: (أظنه موضوعا بعضه باطل) (۲).

سر الوضع و الإختلاق:

و أما سر وضع تلک الروایه فهو إثبات: أن إیمان أبی بکر بنبوه النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد کان قبل البعثه؛ لیسبق الناس کلهم، حتی علیا علیه الصلاه و السلام و خدیجه، و حتی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نفسه فی ذلک.

قال النووی: (کان أبوبکر أسبق الناس إسلاما، أسلم و هو ابن عشرین سنه، و قیل: خمس عشره سنه (۳)).ه.

۱- سیأتی الحدیث عنه فی الجزء الثالث من هذا الکتاب؛ الفصل الأول من الباب الثالث.

۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۵۹، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۰.

۳- الغدیر ج ۷ ص ۲۷۲ عنه.

و قال الصفوری الشافعی: (و كان إسلامه قبل أن یولد علی بن أبی طالب (۱)).

و ذكر الدیار بكری روایه عن ابن عباس، عن قضیه بحیرا جاء فی آخرها: (فوقع فی قلب أبی بكر الیقین و التصدیق قبل ما نبّی ء (صلی اللّه علیه و آله و سلم (۲)).

و لكن، لماذا لم یعدّوا بحیرا و بلالا و الحارث و غیرهم ممن حضر، من السابقین إلی الإسلام أیضا؟!. و من الذی أخبرهم بوقوع الإسلام فی قلب أبی بكر قبل هؤلاء؟! أو دونهم؟!.

بل من أین علموا: ان الإسلام و التصدیق قد وقع فی قلب أبی بكر؟!- هذا كله لو سلمنا بالقضیه من أساسها.

إشارات خاطفه فی قصه بحیرا:

و قد بقی فی قصه بحیرا نقاط كثیره، جدیره بالمناقشه، لا مجال لنا للحدیث عنها هنا، كما أننا لا نری كبیر فائده فی ذلك.

و مما تقدم یظهر مدی صحه قول بعض الروایات: إن أبا بكر، أو الحارث عم النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد ذهب إلیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فاحتضنه، و جاء به، و أجلسه مع القوم علی مائده طعام بحیرا، و رّجح إبن المحدث: أن الذی جاء به هو أبو بكر (۳).

و لم یدر إبن المحدث أن أبا بكر لم یكن فی ذلك السفر أصلا، كما۴۸

۱- نزهه المجالس ج ۲ ص ۱۴۷.

۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۶۱.

۳- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۱۹، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۴۸

صرح به الدمیاطی و مغلطای (۱). و لو کان؛ فإنه کان أصغر سنا من النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کما قلنا.

بقی أن نشیر إلی أن بعض الروایات قد ذکرت: أن راویها قد شک فی أن یکون سفره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی الشام کان بصحبه أبی طالب أو جده عبد المطلب (۲). و بذلک تصبح الروایه الآنفه له مع أبی بکر و بلال أکثر إشکالا و تعقیدا؛ لأن عبد المطلب قد توفی و عمر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ثمان سنین کما تقدم.

و الصحیح هو أن عمه أبا طالب هو الذی رجع معه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی مکه (۳) کما قدمنا، و لیس أبا بکر و لا غیره.

هذا، و للنبی صلی الله علیه و آله وسلم سفره أخری إلی الشام للتجاره، ستأتی الإشاره إلیها إن شاء اللّه تعالی فی موضعها.

رعیه صلی الله علیه و آله وسلم الغنم:

و یذکر المؤرخون: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد رعی الغنم فی بنی سعد، و أنه رعاها لأهله، بل و یقولون: رعاها لأهل مکه أیضا، حتی لیذکرون و البخاری منهم فی کتاب الاجاره و غیره أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قال: (ما بعث اللّه نبیا إلا رعی الغنم. فقال اصحابه:

و أنت؟. قال: نعم، کنت أرعاها علی قراریط لأهل مکه) (۴) و فسرت۵.

۱- سیره مغلطای ص ۱۱، و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۵۹ عن الحافظ الدمیاطی.

۲- طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۱۲۰ ط صادر، و ج ۱ قسم ۱ ص ۷۶ ط لیدن و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۸۶.

۳- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۱۸ و سیره ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۴.

۴- البخاری هامش فتح الباری ج ۴ ص ۳۶۳، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۵۱، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۵.

القراریط بأنها: أجزاء الدراهم و الدنانیر یشتری بها الحوائج الحقیره. (۱)

و لکننا نشک کثیرا فی أن یکون (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد رعی لغیر أهله بأجر کهذا، تزهد به حتی العجائز، و لا یصح مقابلته بذلک الوقت و الجهد الذی یبذله فی رعی الغنم، نعم، نشک فی ذلک، لأننا نجد:

أولا: أن الیعقوبی- و هو المؤرخ الثبت- قد نص علی أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یکن اجیرا لأحد قط. (۲)

و ثانیا: تناقض الروایات؛ فبعضها یقول: لأهلی، و بعضها یقول:

لأهل مکه، و بعضها یقول: بالقراریط، و أخری قد ابدلت ذلک بکلمه باجیاد. و إذ کان الراوی واحدا لم یقبل منه مثل هذا الاختلاف.

نعم، قد ذکر البعض: أن العرب ما کانت تعرف القراریط، و إنما هی اسم لمکان فی مکه (۳) فلماذا کان یرعی الغنم فی خصوص ذلک المکان؟ و لا یتجاوزه إلی غیره؟

و مع غض النظر عن ذلک نقول: إنه ربما یکون هذا الإختلاف بین الروایه التی تقول: باجیاد، و التی تقول بالقراریط، بسبب أن القراریط و اجیادا اسم لمکان واحد، أو لمکانین متقاربین جدا.ن.

۱- السیره النبویه ج ۱ ص ۱۵ لزینی دحلان، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۵ و فتح الباری ج ۴ ص ۳۶۴.

۲- تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۱ ط صادر.

۳- فتح الباری ج ۴ ص ۳۶۴ عن إبراهیم الحربی، و صوبه ابن الجوزی تبعا لابن ناصر و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۶ و یؤید أن العرب ما کانت تعرف القراریط، ما جاء فی الصحیح، و یفتحون أرضا یذکر فیها القیراط. فتح الباری ج ۴ ص ۳۶۴. و قولهم لا یعرف مکان فی مکه بهذا الاسم محل نظر لأن عدم معروفیته الآن لا یستلزم عدم معرفیته فی ذلک الزمان.

و لكن يعكر على هذا: أن روايه البخارى تقول: (على قراريط)؛ فالظاهر من كلمه على هو: الأجر.

و يمكن أن يدفع هذا: بأن من المتحمل أن يكون قراريط اسم جبل فى مكه و قد رعى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الغنم عليه. و كل ذلك و سواه من الاحتمالات لا شاهد له، و إنما يلجأ إليه لو كانت الروايه صحيحه السند عن معصوم، و ليست كذلك، بل هى عن أبى هريره، و غيره ممن لا يمكن الاعتماد عليهم.

ملاحظه:

لقد حاول البعض التفلسف هنا، فذكر: أن رعى الغنم صعب؛ لأنها أصعب البهائم و هو يوجب أن يستشعر القلب رأفه و لطفا؛ فإذا انتقل إلى رعايه البشر كان قد هذب أولا من الحدهّ الطبيعيه، و الظلم الغريزى؛ فيكون فى اعدل الأحوال. (١)

و لكن، حتى لو لم نقل: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان نبيا منذ صغره، كما سيأتى، فإننا نطرح الأسئله التاليه: هل يمكن أن يصدق أحد: أن النبى الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يحتاج إلى التهذيب من الحده الطبيعيه، و الظلم الغريزى؟!.

و هل فى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ظلم وحده غريزيتان يحتاجان إلى التهذيب و الحد منهما حقا؟! و لو سلم ذلك، ألا يوجد مدرسه أفضل من هذه المدرسه؟! ثم أفلا ينافى ذلك قضيه شق الصدر (٢)- المكذوبه- المقبوله لدى هؤلاء؟! أو ليس ذلك الظلم و تلكل.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢۶، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ۵١، و ليراجع: فتح البارى ج ۴ ص ٣۶۴.

٢- تقدم الكلام عنها فى أوائل هذا الفصل.

الحده هما من حظ الشيطان، الذى استأصله جبرئيل فى عمليته الجراحيه المزعومه لدى هؤلاء؟. ثم أو ليس كان له ملك يسدده، و يرشده منذ صغره، حسبما نطقت به الروايات (١)؟!.

إلا أن يدعى هؤلاء: أن التسديد لا ينافى الظلم الغريزى.

و حينئذ نقول: ألم يحاول الملك الموكل به ليسدده و يرشده إلى محاسن الاخلاق، أن يرشده إلى قبح الظلم، و حسن العدل؟! و لماذا قصّر فى أداء مهمته تجاهه؟

و أيضا، ألا يمكن للّه تعالى أن يهذب نبيّه، و يخفف من حدّته بغير هذه الطريقه؟!

و هل صحيح: أن رعايه الغنم أصعب من رعايه غيرها، كما يدعى هؤلاء؟!.

و هل صحيح: أن الظلم غريزه فى الانسان؟! و إذا كان غريزه فهل يمكن القضاء عليه بواسطه رعايه الغنم؟!

و هل كل راعى غنم لا يكون فيه ظلم غريزى، و لا حدّه طبيعيه ..

أم أن ظلمه وحدته، أقل من ظلم غيره وحدته؟!

ثم، ألا يمكن أن يكون الرعى عملا عاديا، كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقوم به كغيره من ابناء مجتمعه، الذين كانت الماشيه و رعيها عندهم من الوسائل العاديه للعيش، و كسب الرزق؟!. و ليكون النبى إنسانا يعيش كما يعيش الآخرون من الناس الذين ما عاشوا حياه الترف. و لا شعروا بزهو السلطان؟!

إلى غير ذلك من الأسئله التى لن تجد عند هؤلاء جوابا مقنعا و مفيدا.٢.

١- نهج البلاغه، الخطبه القاصعه رقم ١٩٢ ص ٣٠٠ ضبط صبحى الصالح، و البحار ج ١٥ ص ٣٦١/ ٣٦٢.

نعم. یمکن تعلیل ذلک کما یقول البعض: بأن رعی الغنم یعطی فرصه للابتعاد عن الناس، و الانصراف للتکفیر السلیم، بعیدا عن مشاکل الناس، و همومهم، و یؤید ذلک: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان یذهب إلی غار حراء طلبا للانفراد عن الناس، من أجل التفکیر و التأمل فی ملکوت اللّه، و العباده و تزکیه النفس ..

و بعض آخر یری: أن الرعی فیه تحمل مسؤولیه أحاد متفرقه، و هو یناسب المهمه التی سوف توکل إلیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الأمر الذی من شأنه أن یروض النفس، و یزیدها اندفاعا نحو طلب الخیر للآخرین من رعیته لهم، و الحرص علی ما ینفعهم، و قد کان اللّه تعالی یهتم فی رفع مستوی تحمل و ملکات و قدرات نبیه لیواجه المسؤولیه العظمی، و لکن بالطرق العادیه و الطبیعیه، کما هو معلوم من ارساله الرسل، تزویدهم بالمعجزات و غیرها.

الفصل الثالث: خدیجه فی بیت النبی صلی الله علیه و آله وسلم

اشاره

السفر الثانی إلی الشام:

و یقولون: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد سافر سفره الثانی إلی الشام، و هو فی الخامسه و العشرین من عمره (۱).

و یقولون: إن سفره هذا کان فی تجاره لخدیجه. و أن أبا طالب هو الذی اقترح علیه ذلک، حینما اشتد الزمان، و ألحت علیهم سنون منکره، فلم یقبل (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أن یعرض نفسه علی خدیجه. فبلغ خدیجه ما جری بینه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و بین أبی طالب؛ فبادرت هی، و بذلت للرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ضعف ما کانت تبذله لغیره؛ لما تعرفه من صدق حدیثه، و عظیم أمانته، و کرم أخلاقه.

و یروی بعضهم: أن أبا طالب نفسه قد کلم خدیجه فی ذلک، فأظهرت سرورها و رغبتها، و بذلت له ما شاء من الأجر.

فسافر (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی الشام، و ربح فی تجارته أضعاف ما کان یربحه غیره، و ظهرت له فی سفره بعض الکرامات الباهره، فلما عادت القافله إلی مکه أخبر میسره غلام خدیجه، سیدته بذلک،ه.

۱- و فی البحار ج ۱۶ ص ۹ عن بعضهم: ان سفره کان إلی سوق حباشه بتهامه، و کذا فی کشف الغمه ج ۲ ص ۱۳۵ عن الجنابذی فی معالم العتره.

فذكرت ذلك بالاضافه إلى ما ظهر لها هى منه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لورقه بن نوفل، إبن عمها كما يقولون: و إن كنا نحن نشك فى ذلك (۱) فقال لها: إن كان ذلك حقا، فهو نبى هذه الأمه (۲).

ثم اهتمت خديجه بالعمل على الاقتران به (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، كما سنرى.

هكذا يقولون، و لكننا نشك فى بعض ما تقدم. و لا سيما و أن ورقه لم يسلم حتى بعد أن بعث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

كما أن قولهم: إن خديجه قد استأجرته فى تجارتها. لا ـ يمكن المساعده عليه، و ذلك لأننا نجد المؤرخ الاقدم، الثبت ابن واضح، المعروف باليعقوبى يقول:

(و إنه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشى ء، و لا كان أجيرا لأحد قط (۳)).

و لعل فى عزه نفس النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ابائها. و أيضا فى تسديد اللّه تعالى له. و أيضا فى شرف أبى طالب و سؤدده، ما يبعد كثيرا أن يكون قد صدر شى ء مما نسب إلى أبى طالب منه.

و على هذا، فقد يكون سفره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى..

۱- سيأتى إن شاء اللّه بعض الكلام حول بعض ما يقال عن ورقه بن نوفل، و دوره فى بدء الوحى.

۲- راجع: البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۹۶ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۳۶.

۳- تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۱ و نقل عن سفر السعاده: أنه صلى اللّه عليه و آله بعد البعثه، و قبل الهجره كان يشترى أكثر مما يبيع، و بعد الهجره لم يبع إلا ثلاث مرات، أما شراؤه فكثير .. و أما شراكته مع غيره ففيها كثير من الاضطراب، و ليس لنا مجال لتحقيق ذلك ..

الشام، لا لکونه کان أجیرا لخدیجه، و إنما لأنه کان یضارب بأموالها، أو شریکا لها. و یدل علی ذلک تصریح روایه الجنابذی بالمضاربه (۱) فراجع.

و یؤیده ما رواه المجلسی من أن أبا طالب قد ذکر له (صلی اللّه علیه و آله و سلم) اتجار الناس بأموال خدیجه، و حثه علی أن یبادر إلی ذلک، ففعل، و سافر إلی الشام (۲).

زواجه صلی الله علیه و آله وسلم بخدیجه:

و لقد کانت خدیجه (علیها السلام) من خیره نساء قریش شرفا، و أکثرهن مالا، و احسنهن جمالا. و کانت تدعی فی الجاهلیه ب (الطاهره)، (۳) و یقال لها: (سیده قریش). و کل قومها کان حریصا علی الاقتران بها لو یقدر علیه (۴).۵.

۱- البحار ج ۱۶ ص ۹، و کشف الغمه ج ۲ ص ۱۳۴ عن معالم العتره للجنابذی ..

۲- البحار ج ۱۶ ص ۲۲ عن البکری و ص ۳ عن الخرائج و الجرائح ص ۱۸۶ و ۱۸۷.

۳- راجع الإصابه ج ۴ ص ۲۸۱/ ۲۸۲ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۹۴ و تاریخ الإسلام للذهبی ج ۲ الترجمه النبویه ص ۱۵۲ و قسم السیره النبویه ص ۲۳۷ و تهذیب الأسماء ج ۲ ص ۳۴۲ و الاستیعاب (بهامش الإصابه) ج ۴ ص ۲۷۹ و الإصابه ج ۴ ص ۲۸۱ و سیره مغلطای ص ۱۲ و سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۱۱ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۳۸ و ۲۰۰ و الروض الأنف ج ۱ ص ۲۱۵ و تاریخ الخمیس ۱/ ۲۶۴ و أسد الغابه ج ۷ ص ۷۸ ط دار الشعب السیره الحلبیه ج ۱ ص ۴۷. و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۵۵ و الثقات ج ۱ ص ۴۶.

۴- و راجع: البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۹۴ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۴۷. و السیره النبویه لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۱ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۶۳ و طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۱۳۱ ط دار صادر و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۷ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۵۵.

و قد خطبها عظماء قریش، و بذلوا لها الاموال. و ممن خطبها عقبه بن أبی معیط، و الصلت بن أبی یهاب، و أبو جهل، و أبو سفیان (۱) فرفضتهم جمیعا، و اختارت النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، لما عرفته فیه من کرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجایا الکریمه العالیه. و نکاد نقطع- بسبب تضافر النصوص- بأنها هی التی قد أبدت أولا رغبتها فی الاقتران به (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

فذهب أبو طالب فی أهل بیته، و نفر من قریش إلی ولیها، و هو عمها عمرو بن أسد؛ لأن أباها کان قد قتل قبل ذلک فی حرب الفجار أو قبلها (۲).

و أما أنه خطبها إلی ورقه بن نوفل، و عمها معا، أو إلی ورقه وحده (۳) فمردود، بأنه:

قد ادعی الاجماع علی الأول (۴).

و أما أنا فلا ادری ما أقول فی ورقه هذا.

و فی کل واد أثر من ثعلبه، فهو یحشر فی کل کبیره و صغیره، فیما یتعلق بالرسول الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و إن ذلک لیدعونی۷.

۱- البحار ج ۱۶ ص ۲۲.
۲- کشف الغمه ج ۲ ص ۱۳۹، و البحار ج ۱۶ ص ۱۲ عنه و ص ۱۹ عن الواقدی، و راجع: الأوئل ج ۱ ص ۱۶۰ و فی السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۸: ان المحفوظ عن أهل العلم انه مات قبل الفجار، و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۶۴. و تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳ عن الواقدی، و الإصابه ج ۴ ص ۲۸۲ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۹۶.
۳- البحار ج ۱۶ ص ۱۹ عن الواقدی و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۹ و الکافی ج ۵ ص ۳۷۴/ ۳۷۵، و فیه أن ورقه کان عم خدیجه و کذا فی البحار ج ۱۶ ص ۱۴ و ۲۱ عنه و عن البکری، و هو غیر صحیح لأن ورقه هو ابن نوفل بن أسد و خدیجه هی بنت خویلد بن أسد ..
۴- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۷.

إلی الشک فی کونه شخصیه حقیقیه، أو أسطوریه.

و یلاحظ: أن نفس الـدور الذی یعطی لأبیها تاره، و لعمها أخری، یعطی لورقه بن نوفل ثالثه حتی الجمل و الکلمات، فضـلا عن المواقف و الحرکات. فلتراجع الروایات التی تحکی هذه القضیه، و لیقارن بینها (۱).

و سیأتی إن شاء اللّه مزید من الکلام حول ورقه هذا.

نعود إلی القول: إن أبا طالب قد ذهب لخطبه خدیجه، و لیس حمزه الـذی اقتصر علیه ابن هشام فی سیرته (۲) لأن ذلک لا ینسجم مع ما کان لأبی طالب من المکانه و السؤدد فی قریش، من جهه، و لأن حمزه کان یکبر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بسنتین أو بأربع (۳) کما قیل من جهه اخری.

هذا بالإضافه إلی مخالفه ذلک لما یذکره عامه المؤرخین فی المقام.

و قد اعتذر البعض عن ذلک: بأن من الممکن أن یکون حمزه قد حضر مع أبی طالب؛ فنسب ذلک إلیه (۴).

و هو اعتذاروا؛ إذ لماذا لم ینسب ذلک إلی غیر حمزه، ممن حضر مع أبی طالب من بنی هاشم و غیرهم من القرشیین؟!.

و یظهر: أن ثمه من یهتم بسلب هذه المکرمه عن أبی طالب (علیه السلام)، و اعطائها لأی کان من الناس سواه، حتی لحمزه. و لا ضیر فی ذلک عنده ما دام أنه قد استشهد فی وقت مبکر.۹.

۱- راجع المصادر المتقدمه و الآتیه.
۲- راجع: سیره ابن هشام ج ۱ ص ۲۰۱ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۸ و نقل أیضا عن المحب الطبری.
۳- تقدمت مصادر ذلک حین الحدیث حول إرضاع ثویبه لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم .
۴- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۹.

خطبه أبى طالب (رحمه اللّه):

و على كل حال فقد خطبها أبو طالب له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قبل بعثه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بخمس عشره سنه، على المشهور.

و قال فى خطبته- كما يروى المؤرخون-:

(الحمد لرب هذا البيت، الذى جعلنا من زرع ابراهيم، و ذريه اسماعيل، و انزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه.

ثم إن ابن أخى هذا- يعنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، و لا يقاس به رجل الاعظم عنه، و لا عدل له فى الخلق، و إن كان مقلا فى المال؛ فإن المال رفد جار، و ظل زائل، و له فى خديجه رغبه، و قد جئناك لنخطبها إليك، برضاها و أمرها، و المهر على فى مالى الذى سألتموه عاجله و آجله.

و له- و ربّ هذا البيت- حظ عظيم، و دين شائع، و رأى كامل (۱)).

نظره فى كلمات أبى طالب:

و خطبه أبى طالب المتقدمه تظهر مكانه الرسول الفضلى فى قلوب۵.

۱- الكافى ج ۵ ص ۳۷۴/ ۳۷۵، و البحار ج ۱۶ ص ۱۴ عنه و ص ۱۶ عمن لا يحضره الفقيه ص ۴۱۳، و فى ص ۵ عن شرف المصطفى، و الكشّاف، و ربيع الأبرار و الإبانه لابن بطه، و السيره للجوينى، عن الحسن و الواقدى، و أبى صالح و العتبى، و المناقب ج ۱ ص ۴۲، و الحلبيه ج ۱ ص ۱۳۹، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۰، و الأوائل لأبى هلال ج ۱ ص ۱۶۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴ و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۳۹ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۴۸ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۵۵.

الناس. و هی صریحه فی أن الناس کانوا یجدون فی الرسول علامات النبوه و نور الهدایه. و یتوقعون أن یکون هو الذی بشر به عیسی و موسی (علیهما السلام)، و أنه کان لا یوزن به أحد إلا رجح به، و لا یقاس به رجل الاعظم عنه.

ثم إن کلمات أبی طالب تدل دلاله واضحه علی ما کان یتمتع به بنو هاشم، من شرف و سؤدد، حتی لیقول (رحمه اللّه) و جعلنا الحکام علی الناس.

و تدل أیضا علی أن العرب کانت تعتبر الحرم موضع أمن للقاصی و الدانی، و قد تقدم ما یدل علی ذلک أیضا.

ثم إن حدیثه عن فقر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و اعطاء الضابطه للتفضیل بین الرجال، یدل علی واقعیه أبی طالب، و أنه ینظر إلی الإنسان بمنظار سام و نبیل، کما أنه یتعامل مع الواقع بحنکه و وعی و أناه.

و بعد، فإن کلماته تلک تدل أیضا علی أن قریشا کانت تعتبر انتسابها إلی ابراهیم و اسماعیل، و سدانتها للبیت، کل شیء بالنسبه لها، و قد أشرنا إلی هذا الأمر فی الفصل الأول.

و لتراجع خطبه أبی طالب (رحمه اللّه) حین موته، و التی یخاطب بها قریشا، فإنها خطبه جلیله، لا تبتعد عن هذه الخطبه فی مرامیها و اهدافها.

و دین شائع:

و یتساءل بعض المحققین هنا: أنه کیف یمکن الجمع بین قوله:

(و دین شائع)، و بین قوله تعالی: (ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ (۱)). و قوله: (وَ ما کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ (۲)).۶.

۱- الشوری، الآیه: ۵۲.

۲- القصص الآیه، ۸۶.

و جوابه:

أولا: إن الآيات ربما تكون ناظره إلى المراحل الاولى من حياه النبى الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فهو لم يكن يعلم، ثم علم، و اما متى علم؛ فالآيات لا تحدد لنا ذلك؛ فلربما يكون قد علم حينما كان فى سن العشرين مثلا، أو قبل ذلک أو بعده.

و ثانيا: إن السيد الطباطبائى يقول: إن الآيات ناظره إلى نفى العلم التفصيلى، أما العلم الاجمالى فقد كان موجودا؛ لأن عبد المطلب و أبا طالب و غيرهم كانوا مؤمنين باللّه، و كتبه اجمالا، و النبى أيضا كذلک (۱)، لا سيما إذا قوّينا أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان نبيا منذ صغره- كما ذهب إليه البعض- و لسوف يأتى ذلک ان شاء اللّه تعالى فى فصل بحوث تسبق السيره.

و ثالثا: إن من معانى الدين: (السيره، و التدبير، و الورع، و العاده، و الشأن)؛ فلعل القصد فى هذه العباره، كان إلى احد هذه المعانى.

و رابعا: إن هذه الآيات بمثابه قضيه شرطيه مفادها: أنه صلى الله عليه و آله وسلم لو لا لطف اللّه به لم يكن يدرى ما الكتاب و لا الإيمان، لأنک أنت بنفسک و بما لديک من قدرات ذاتيه لست قادرا على شى ء و كذلک هو صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن يرجو ذلک لو لا اللّه سبحانه.

مهر خديجه:

و على كل حال فإن أبا طالب قد ضمن المهر فى ماله، كما هو صريح خطبته، و لكن خديجه رضوان اللّه تعالى عليها عادت؛ فضمنت المهر فى مالها، فقال البعض: يا عجبا! المهر على النساء للرجال؟!۷.

۱- راجع: تفسير الميزان ج ۱۸ ص ۷۷.

فغضب أبو طالب، و قال: إذا كانوا مثل ابن أخی هـذا طلبت الرجال بأغلی الاثمان، و اعظم المهر، و إن کانوا أمثالکم لم یزوجوا إلّا بالمهر الغالی.

و لکن یبقی: أن بعض الروایـات تفیـد: أن رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) نفسه قـد أمهرها عشـرین بکره (۱) و ذلک ینافی أن یکون أبو طالب قد ضمن المهر، أو هی ضمنته دونه، أو هی لأبی طالب.

إلا أن یکون المراد: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد أمهرها بواسطه أبی طالب.

و قیل: إن علیا (علیه السـلام) هو الـذی ضـمن المهر، قالوا: (و هو غلط؛ لأن علیا لم یکن ولـد علی جمیع الأقوال فی مقدار عمره (۲)).

و یرد علیه: أن ثمه اقوالا- و إن کنا لا نشک فی عدم صحتها- تفید:

أنه (علیه السلام) قد ولد قبل البعثه بعشرین، أو بثلاث و عشرین سنه.

و لذا قال مغلطای: (و هو غلط، کان علی إذ ذاک صغیرا لم یبلغ سبع سنین) (۳).

و نحن نغلط هذه الاقوال، و نستغربها، إذ أن ذلک معناه أنه (علیه السلام) قد استشهد و عمره ست و سبعون سنه. و هو ما لم یقل به أحد.

فنحن لا نقبل قول مغلطای، و لا نقبل قول اولئک الـذین یزعمون أنه قـد ضـمن المهر، و ذلک لما سـیأتی فی تاریخ میلاده علیه الصلاه و السلام.۲.

۱- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۸ و راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۶۵ و السیره النبویه لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۱ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۱ ص ۲۶۳ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۱۰۷.

۲- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۹ عن الفسوی فی کتـاب: مـا روی أهل الکوفه مخالفا لأهل المـدینه، و سـیره مغلطای ص ۱۲، و الأوائل ج ۱ ص ۱۶۱.

۳- سیره مغلطای ص ۱۲.

ثم نقول: إن أبـا هلاـل العسـکری ذکر أنه لمـا قیـل: من یضـمن المهر؟ قال علی و هو صـغیر: (أبی فلما بلغ الخبر أبا طالب جعل یقول:

بأبی أنت و أمی) (۱).

و لرّبما یمکن تقریب هذا إذا أخذنا بعین الاعتبار ما یقال: من أن علیا (علیه السـلام) قد ولد قبل البعثه بعشر أو بخمس عشره سنه أو ست عشـره سـنه، بل بثلاث و عشـرین سـنه، حسب بعض الاقوال النادره. ثم قارنا بینها و بین الاقوال التی تقرر: أنه (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) قد تزوج خدیجه و هو ابن ثلاثین سـنه، أی قبل البعثه بعشـر سنوات، أو و هو ابن سبع و ثلاثین سنه، کما عن ابن جریج (۲) أی قبل البعثه بثلاث سـنوات، و قیل: تزوجها قبل البعثه بخمس سـنین (۳). فلعله (علیه السـلام) قد قال ذلک و هو طفل صغیر فاستحسن ذلک منه عمه أبو طالب.

و عن مقدار المهر، قیل: إنه عشرون بکره. و قیل: إثنا عشر أوقیه و نش، أی ما یعادل خمس مئه درهم، و قیل غیر ذلک (۴).

عمر خدیجه حین الزواج:

و یلاحظ هنا: مدی الاختلاف و التفاوت فی عمر خدیجه حین۹.

۱- الأوائل لأبی هلال العسکری ج ۱ ص ۱۶۱.
۲- راجع تاریـخ الخمیس ج ۱ ص ۲۶۴. و راجع: مجمع الزوائـد ج ۹/ ۲۱۹. و ذکرت بعض الأـقوال فی التبیین فی أنسـاب القرشیین ص ۶۲ و تاریـخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۰ و مختصر تاریخ دمشق ج ۲ ص ۲۷۵ قیل: تزوجها و هو ابن ثلاثین سـنه و کذا فی الاستیعاب (بهامش الإصابه) ج ۴ ص ۲۸۸ و سیره مغلطای ص ۱۲ و مثله فی المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۳۸ و ۲۰۲ و الروض الأنف ج ۱/ ۲۱۶.
۳- الأوائل ج ۱ ص ۱۶۱.
۴- راجع: السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۸ و ۱۳۹.

اقترانها بالرسول الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و هى تتراوح ما بين ال ۲۵ سنه إلى ال ۴۶ سنه و هى على النحو الآتى:

ألف- ۲۵ سنه و صححه البيهقى (۱).

ب- ۲۸ سنه. هو مارجحه كثيرون (۲).

ج- ۳۰ سنه (۳).

د- ۳۵ سنه (۴).

ه- ۴۰ سنه (۵).يس

۱- دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج ۲ ص ۷۱ و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۹۴ و ۲۹۵ و محمد رسول اللّه، سيرته و أثره فى الحضاره ص ۴۵ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ۱ ص ۲۶۵ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۴۰.

۲- شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۴ و اقتصر عليه فى بهجه المحافل ج ۱ ص ۴۸ و رواه عن ابن عباس كل من: أنساب الأشراف (قسم حياه النبى صلى الله عليه و آله وسلم) ص ۹۸ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳ و سير اعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۱۱ و مختصر تاريخ دمشق ج ۲ ص ۲۷۵. و البحار ج ۱۶ ص ۱۲ عن الجنابذى. كلهم عن ابن عباس. و رواه فى مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۸۲ عن ابن إسحاق، دون أن يذكر له قولا آخر. و راجع سيره مغلطاى ص ۱۲ و المحبر ص ۷۹ و تهذيب الأسماء ج ۲ ص ۳۴۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۴۰.

۳- راجع: السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۴۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۴ و سيره مغلطاى ص ۱۲ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳.

۴- البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۹۵ و السيره النبويه لابن كثير ج ۱ ص ۲۶۵ و راجع: السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۴۰.

۵- أنساب الأشراف (قسم حياه النبى) ص ۹۸ و سيره مغلطاى ص ۱۲ و المحبر ص ۴۹ و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۳۸ و ۲۰۲ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۴ و تاريخ الخميس

و- ۴۴ سنه (۱).

ز- ۴۵ سنه (۲).

ح- ۴۶ سنه (۳).

و قـد تقـدم: أن الكثيرين قـد رجحوا القول الثانی، كما ذكره إبن العماد. أما البيهقی فقـد صـحح القول الأول، حيث قال: (بلغت خديجه خمسا و ستين سنه، و يقال: خمسين سنه، و هو أصح) (۴)

فـإذا كانت رحمها اللّه قـد تزوجت برسول اللّه قبل البعثه بخمس عشـره سـنه كما جزم به البيهقی نفسه (۵). فإن ذلک معناه: أن عمرها حين زواجها كان خمسا و عشرين سنه. و رجح هذا القول غير البيهقی أيضا (۶).

أما الحاكم، الذی روی لنا القول الثانی المتقدم عن ابن إسحاق،۵.

۱- تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۳۰۳ عن الواقدی.

۲- تهذيب الأسماء ج ۲ ص ۳۴۲ و مختصر تاريخ دمشق ج ۲ ص ۲۷۵ عن الواقدی و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۴۰ و راجع: سيره مغلطای ص ۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۱.

۳- راجع: أنساب الأشراف (قسم حياه النبی صلی الله عليه و آله وسلم) ص ۹۸.

۴- دلائل النبوه ج ۲ ص ۷۱.

۵- دلائل النبوه ج ۲ ص ۷۲ ط دار الكتب العلميه و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۹۵. و غير ذلک كثير.

۶- محمد رسول اللّه: سيرته، و أثره فی الحضاره ص ۴۵.

فإنه لم یوضح لنا حقیقه ما یذهب إلیه، غیر أنه حین روی عن هشام بن عروه قوله: إن خدیجه قد توفیت و عمرها خمس و ستون سنه. قال: (هذا قول شاذ، فإن الذی عندی: أنها لم تبلغ ستین سنه) (۱).

فکلامه هذا یدل علی أنه یعتبر القول بأنها قد تزوجت بالنبی و عمرها أربعون سنه، شاذ. و یری: أن عمرها کان أقل من خمس و ثلاثین حینئذ، و لکنه لم یبین القول الذی یذهب إلیه، هل هو ثلاثون؟ أو ثمان و عشرون؟

أو خمس و عشرون؟.

یتیم قریش، أکذوبه مفضوحه:

و عن ابن اسحاق: أن خدیجه قالت له صلی الله علیه و آله وسلم : یا محمد، ألا تتزوج؟ قال: و من؟ قالت: أنا.

قال: و من لی بک؟ أنت أیّم قریش، و أنا یتیم قریش؟.

قالت: إخطب الخ. (۲).

بل یذکر البعض أن أبا طالب قال للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم): أخاف ألّا یفعلوا، أیّم قریش. و أنت یتیم قریش. ثم إن أبا طالب أرسل بدلا عنه حمزه؛ لأنه خاف إن ذهب بنفسه أن یردوه فتکون الفضیحه (۳).

و فی نص آخر: أن خدیجه حین طلبت من أبی طالب أن یخطبها لمحمد من عمها، قال أبو طالب لها: (یا خدیجه، لا تستهزئی) (۴).۸

۱- مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۸۲.

۲- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۸.

۳- الأوائل لأبی هلال العسکری ج ۱ ص ۱۶۰/ ۱۶۱.

۴- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۸.

و نحن لاـ نشـك فى كـذب كـل ذلك؛ إذ كيف يمكن أن يصـدر ذلك من رجل يزيـد عمره على الخمس و عشـرين عاما: أن يصف نفسه بأنه:

يتيم. هـذا مع العلم بـأنه قـد نشأ و تربى فى أعرق بيت فى العرب؛ فكيف لم يكن يعرف أن اليتيم لا يطلق فى لغه العرب إلا على غير البالغ؟!.

و أيضا، فإن صدور ذلك من رجل هو فى عقل و ادراك، و شخصـيه النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سلم)، و الذى هو من أعرق عـائله عربيه، و أشـرفها، و الـذى كـان فى إباؤه و سـمو نفسه يفوق كل وصف، و يتجاوز كل حـد- إن صـدور ذلك منه- يكاد يلحق بالمستحيلات و الممتنعات.

ثم إنه لماذا اتصف محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقط باليتم؟

مع أن عبد المطلب قد مات و ابناه العباس و حمزه صغيران لم يبلغا الحلم (۱)؟!

و الظاهر هو أن هذا من مجعولات اعداء الدين، أو من أهل الكتاب، أو من أذناب بنى أميه، الذين كانوا يحاولون الحط من شأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما قدمناه فى الجزء الأول من هذا الكتاب.

و هكـذا يقـال تمامـا بالنسـبه لمـا ينسب لأبى طالب (عليه السـلام)، لا سـيما و أنه هو نفسه يقرّض النبى بـذلك التقريض العظيم المتقدم.

و لعل الاصح هو أن القائل لذلك هو نساء قريش، كما سيأتى حين الحديث عن عدم صـحه ما يقال من زواجها من رجلين قبله (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و هكذا يقال تماما بالنسبه لما يقال: من أن عمها كان يأنف من أنه.

۱- هذا ما ذكره المحقق البحاثه السيد مهدى الروحانى حفظه اللّه.

یزوجها من محمـد، یتیم أبی طالب (۱)؛ فاحتالت هی علیه حتی سـقته الخمر، فزوجها فی حال سـکره؛ فلما أفاق، و وجـد نفسـه أمام الامر الواقع لم یجد بدا من القبول.

و کـذا قولهم: إنه (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) قد دخل علی خدیجه قبل التزویج، فأخذت بیده فضـمتها إلی صدرها (۲). إلی غیر ذلک من کلام عجیب و غریب، یتناقض تماما مع کل اخلاق و سـجایا النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و سیرته، فإن کل ذلک کذب، لیس الهدف منه إلا الحط من کرامه النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) و تنقصه من قبل أعداء الاسلام، و مصائد الشیطان، نعوذ باللّه من الخذلان.

هل تزوج صلی الله علیه و آله وسلم خدیجه طمعا فی مالها؟!

هذا، و قد جاء فی کلمات بعض المتهمین علی الاسلام کلام باطل، تکذبه کل الشواهد التاریخیه، و هو أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إنما تزوج خدیجه طمعا فی مالها (۳).

و لسـنا نریـد الاسـهاب فی الاجابه علی هـذا الهـذیان، فإن حیاه النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) من بـدایتها إلی نهایتها لخیر شاهد علی أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ما کان یقیم للمال و زنا.

و قد انفقت خدیجه سـلام اللّه علیها کل أموالها طائعه راغبه، لیس علی النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سلم) و ملذاته، و انما علی الدعوه إلی۳.

۱- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۸ و تاریخ الإسـلام (السیره النبویه) ص ۶۵ ط دار الکتاب العربی، و مسـند أحمد ج ۱ ص ۳۱۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۲۰.

۲- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۴۰.

۳- النبوه، تألیف الشیخ محمد حسن آل یاسین ص ۶۳.

الاسلام، و فی سبیل هذا الدین.

و أیضا فإن خدیجه هی التی عرضت نفسها علی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) (۱) و لم یتقدم هو (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بطلب یدها، لیقال: إنه إنما فعل ذلک طمعا فی مالها.

و یری الشیخ محمد حسن آل یاسین أن حبه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و تقدیره لها فی أیام حیاتها بل و بعد مماتها، حتی لقد کان ذلک منه یثیر بعض زوجاته اللواتی ما رأین، و لا عشن مع خدیجه، دلیل واضح علی بطلان هذا الزعم (۲).

خدیجه مثل أعلی:

و بالنسبه لعرض خدیجه نفسها علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نقول:

هکذا، تفعل الحره العاقله اللبیبه، فلا تغرها زبارج الدنیا و بهارجها، و لا تبحث عن اللّذه لأجل اللّذه، و لا عن المال و الشهره، و إنما تبحث عما یخدم هدفها الاسمی فی الحیاه، فتفعل- کما فعلت خدیجه- تردّ زعماء قریش، اصحاب المال و الجاه، و القدره، و السلطان، و تبحث عن رجل فقیر لا مال له، تبادر هی لعرض نفسها علیه؛ لأن کل ذلک لا یملأ عینها، لأنه کله ربما یکون سببا فی تدمیر الحیاه و الانسان، و حتی الانسانیه جمعاء. و انما هی تنظر فقط إلی الاخلاق الفاضله، و السجایا الکریمه، و إلی الواقعیه فی التعامل، و السمو فی الهدف.۳.

۱- البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۹۴ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۷ و السیره النبویه لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۰/ ۲۰۱ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۶۴.

۲- کتاب النبوه ص ۶۳.

لأن كل ذلك هو الذى يسخر المال، و الجاه، و القوه، و كل شی ء لخدمه الانسان و الانسانيه، و تكاملها فی الدرجات العلی.

خديجه بين نساء قريش:

و تجدر الاشاره هنا إلی أن عامه المؤرخين علی اختلاف أذواقهم، و مشاربهم، و نحلهم، يقولون: إن خديجه كانت أجمل نساء قريش. كما أنه لا ريب فی أنها أفضل نسائه صلوات اللّه و سلامه عليها.

و لعل ذلك يفسر لنا السبب فی غيره بعض نساء النبی (صلی اللّه عليه و آله و سلم) منها، حتی بعد وفاتها؛ بحيث كن يحاولن تنقصها، و الإزراء عليها باستمرار، مع أنهن لم يدركنها فی بيت الزوجيه أصلا.

هذا، و لعل أم سلمه تأتی فی المرتبه الثانيه بين أزواجه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) بعد خديجه، فضلا و اخلاصا، و ولاء، و حتی جمالا، كما يظهر من كلام للامام الباقر (عليه السلام).

و علی كل حال: فقد كان ذوات الجمال و الاخلاص من ازواجه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) يواجهن الغيره القاتله، و التآمر المستمر من قبل البعض الآخر من نسائه (صلی اللّه عليه و آله و سلم)، ممن لم يكن لهن نصيب من جمال، و لا من التزام تام بالأدب النبوی الكريم. بل كن يؤذينه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) بمواقفهن و تصرفاتهن (۱).

هل تزوجت خديجه بأحد قبل النبی صلی الله عليه و آله وسلم ؟!

ثم إنه قد قيل: انه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) لم يتزوج بكرا غيرب.

۱- سيأتی لذلك مزيد توضيح فی فصل: حتی بيعه العقبه، فی الجزء الثانی من هذا الكتاب.

عائشه، و أما خدیجه، فیقولون: إنها قد تزوجت قبله (صلی اللّه علیه و آله و سلم) برجلین، و لها منهما بعض الأولاد. و هما عتیق بن عائذ بن عبد اللّه المخزومی، و أبو هاله التمیمی.

أما نحن فنقول: اننا نشک فی دعواهم تلک، و نحتمل جدا أن یکون کثیر مما یقال فی هذا الموضوع قد صنعته ید السیاسه. و لا نرید أن نسهب فی الکلام عن اختلافهم فی إسم أبی هاله، هل هو النباش بن زراره أو عکسه، أو هند، أو مالک، و هل هو صحابی أولا. و هل تزوجته قبل عتیق. أو تزوجت عتیقا قبله (۱).

و لا فی کون هند الذی ولدته خدیجه هو ابن هذا الزوج أو ذاک، فإن کان ابن عتیق، فهو انثی (۲) و إلا فهو ذکر. و أنه هل قتل مع علی فی حرب الجمل، أو مات بالطاعون بالبصره (۳).

لا، لا نرید أن نطیل بذلک، و إنما نکتفی بتسجیل الملاحظات التالیه:

أولا: قال ابن شهر آشوب: (و روی أحمد البلاذری، و أبو القاسم الکوفی فی کتابیهما، و المرتضی فی الشافی، و أبو جعفر فی التلخیص:

أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) تزوج بها، و کانت عذراء.

یؤکد ذلک ما ذکر فی کتابی الانوار و البدع: أن رقیه و زینب کانتا..

۱- راجع الأوائل ج ۱ هامش ص ۱۵۹.
۲- راجع: الأوائل ج ۱ ص ۱۵۹ و قال: إن هندا هذه قد تزوجت من صیفی بن عائذ فولدت محمد بن صیفی.
۳- للإطلاع علی هذه الاختلافات و غیرها راجع المصادر التالیه، و قارن بینها: الإصابه ج ۳ ص ۶۱۱/ ۶۱۲، و نسب قریش لمصعب الزبیری ص ۲۲، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۴۰، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۴۳۱، و نقل عن البلاذری و أسد الغابه ج ۵ ص ۱۲/ ۱۳ و ۷۱، و غیر ذلک ..

ابنتى هاله أخت خديجه (١)).

و ثانيا: قال أبو القاسم الكوفى: (إن الاجماع من الخاص و العام، من أهل الانال (الآثار ظ) و نقله الاخبار، على أنه لم يبق من أشراف قريش، و من ساداتهم و ذوى النجده منهم، إلا من خطب خديجه، و رام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك؛ فلما تزوجها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) غضب عليها نساء قريش و هجرنها، و قلن لها:

خطبك أشراف قريش و أمراؤهم فلم تتزوجى أحدا منهم، و تزوجت محمدا يتيم أبى طالب، فقيرا، لا مال له؟!

فكيف يجوز فى نظر أهل الفهم أن تكون خديجه، يتزوجها اعرابى من تميم، و تمتنع من سادات قريش، و أشرافها على ما وصفناه؟! ألا يعلم ذوو التمييز و النظر: أنه من أبين المحال، و افظع المقال؟!) (٢).

و أما الرد على ذلك بأنه لا يمكن أن تبقى امرأه شريفه و جميله هذه المده الطويله بلا زواج.

فليس على ما يرام، لأن ذلك لا يبرر رفضها لعظماء قريش و قبولها باعرابى من بنى تميم.

و أما كيف يتركها أبوها أو وليها بلا تزويج.

فقد قلنا: أن أباها قد قتل فى حرب الفجار، و أما وليها، فلم يكن له سلطه الأب ليجبرها على الزواج ممن أراد.

و بقاء المرأه الشريفه و الجميله مده بلا زواج ليس بعزيز. إذا كانت تصبر إلى أن تجد الرجل الفاضل الكامل، الذى كان يعز وجوده فى تلك الفتره.٠.

١- مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٥٩، و البحار: و رجال المامقانى، و قاموس الرجال كلهم عن المناقب.

٢- الاستغاثه ج ١ ص ٧٠.

و ثالثا: کیف لم یعیرها زعماء قریش الذین خطبوها فردتهم، بزواجها من اعرابی بوّال علی عقبیه؟!

و رابعا: لقد ذکروا: أن أول شهید فی الاسلام ابن لخدیجه رحمها اللّه، اسمه الحارث بن أبی هاله، استشهد حینما جهر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بالدعوه (۱).

و نقول: إن ذلک لا یمکن قبوله، حیث قد روی بسند صحیح عندهم، عن قتاده: أن أول شهید فی الاسلام هو سمیه و الده عمار (۲)، و کذا روی عن مجاهد (۳). و عن ابن عباس: (قتل أبو عمار و أم عمار، و هما أول قتیلین قتلا من المسلمین) (۴).

إلا أن یدعی: أن سمیه کانت أول من استشهد من النساء، و الحارث کان أول من استشهد من الرجال.

و لکنه احتمال بعید، و مخالف لظاهر کلماتهم، لا سیما و أن کلمه شهید تطلق علی الذکر و الأنثی بلفظ واحد، مثل قتیل و جریح.

فإن معنی کلمه: (شهید): شخص، أو ذات ثبتت لها صفه الشهاده، لأن المشتقات تدل علی ذات ثبت لها وصف مّا؛ فکلمه تقی معناها: شخص له التقوی، و قائم أیضا کذلک.

و کلمه شخص أو ذات أو نحوها تصدق علی الرجل علی حده،۲۵

۱- الأوائل لأبی هلال العسکری ج ۱ ص ۳۱۱- ۳۱۲ و الإصابه ج ۱ ص ۲۹۳ عنه و عن ابن الکلبی و ابن حزم و محاضره الأوائل ص ۴۶.

۲- الإصابه ج ۴ ص ۳۳۵ و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۹۳ ط لیدن.

۳- الاستیعاب هامش الإصابه ج ۴ ص ۳۳۱.

۴- صفین للمنقری ص ۳۲۵

و على المرأه كذلك، و على كليهما معا. و على هذا الاساس نفسر كلمه:

طلب العلم فريضه على كل مسلم، بحيث يشمل الرجل و المرأه معا.

أما إذا كان المشتق فيه (أل) الموصوليه، مثل القائم و المتقى، فإن الأمر يصبح أوضح و أجلى، و ذلك لأن (أل) بمنزله (الذى) فالقائم معناه الشخص الذى له القيام. فيصح أن يراد بها الرجل، و المرأه، و هما معا أيضا.

و على هذا الأساس جرت التعابير القرآنيه، مثل: المتقين، المؤمنين الشاكرين الخ .. فإنها تشمل الرجل و المرأه على حد سواء.

و ذلك واضح لا يخفى.

فتلخص مما تقدم: أن هذا النص لا يدل على وجود ابن لخديجه، مادام أنه قد ثبت حصول الكذب فى جزء منه.

و لعل هذا الكذب قد جاء لأجل الإيحاء بطريق غير مباشر بأن لخديجه ولدا من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و أن ذلك غير قابل للنقاش- و لكن- قد قيل: لا حافظه لكذوب.

و خامسا: لقد روى أنه كانت لخديجه أخت إسمها هاله (١)، تزوجها رجل مخزومى، فولدت له بنتا اسمها هاله، ثم خلف عليها- أى على هاله الاولى- رجل تميمى يقال له: أبو هند؛ فأولدها ولدا اسمه هند.

و كان لهذا التميمى إمرأه أخرى قد ولدت له زينب و رقيه، فماتت، و مات التميمى، فلحق ولده هند بقومه، و بقيت هاله أخت خديجه و الطفلتان اللتان من التميمى و زوجته الأخرى؛ فضمتهم خديجه إليها، و بعد أن تزوجت بالرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ماتت هاله، فبقيت الطفلتان فى حجر خديجه و الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم).ى.

١- لها ذكر فى كتب الأنساب، فراجع على سبيل المثال: نسب قريش لمصعب الزبيرى.

و کان العرب یزعمون: أن الربیبه بنت، و لأجل ذلک نسبتا إلیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، مع أنهما ابنتا أبی هند زوج أختها و کذلک کان الحال بالنسبه لهند نفسه (۱).

و لربما یمکن تأیید هذه الروایات بما ورد من الاختلاف فی اسم والد هند، فلتراجع المصادر التی ذکرناها ثمه.

زوجتا عثمان، هل هما بنات النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؟!

و اننا بالاضافه إلی ما قدمناه آنفا عن الاستغاثه نذکر:

أن مما یدل علی عدم کون زوجتی عثمان بنات له (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- عدا عن کون بعض الاقوال تنافی ذلک- ما ذکره المقدسی، عن سعید بن أبی عروه، عن قتاده، قال: ولدت خدیجه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): عبد مناف فی الجاهلیه، و ولدت له فی الاسلام غلامین، و اربع بنات: القاسم، و به کان یکنی: أبا القاسم؛ فعاش حتی مشی، ثم مات، و عبد اللّه، مات صغیرا. و أم کلثوم. و زینب. و رقیه.

و فاطمه (۲).

و قال القسطلانی بعد کلام له: (و قیل: ولد له ولد قبل المبعث، یقال له: عبد مناف، فیکونون علی هذا اثنی عشر، و کلهم سوی هذا ولد فی الاسلام بعد المبعث) (۳).

کما أن بعضهم ینص علی أنه قد صح عنده: أن رقیه کانت أصغر۶.

۱- راجع: الاستغاثه ج ۱ ص ۶۸- ۶۹، و رساله حول بنات النبی صلی الله علیه و آله وسلم مطبوعه ط حجریه فی آخر مکارم الأخلاق ص ۶.

۲- البدء و التاریخ ج ۵ ص ۱۶ و ج ۴ ص ۱۳۹.

۳- المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۹۶.

من الکل حتی من فاطمه علیها السلام (۱).

و بعد هذا، فکیف نصدق قول من یقول: انهما تزوجتا فی الجاهلیه من ابنی أبی لهب، ثم جاء الاسلام ففارقاهما.

یقول المقدسی: (فزوّج رسول اللّه رقیه عثمان بن عفان، و هاجرت معه فی الهجرتین إلی الحبشه، و أسقطت فی الهجره الأولی علقه فی السفینه) (۲).

نعم، کیف نصدق هذا، و نحن نعلم: أن الهجره الأولی إلی الحبشه کانت بعد البعثه بخمس سنین، فکیف تکون رقیه قد تزوجت قبل البعثه بإبن أبی لهب، ثم فارقها لیتزوجها عثمان، ثم تحمل منه قبل الهجره إلی الحبشه، و هی انما ولدت بعد البعثه؟! إن ذلک لعجیب!! و عجیب حقا!!.

و ثانیا: لقد ذکرت بعض الروایات: أن أبا لهب قد أمر ولدیه بطلاق رقیه و أم کلثوم بعد نزول سوره (تبت یدا أبی لهب) (۳). مع أنهم یقولون:

إن هذه السوره قد نزلت حینما کان النبی و المسلمون محصورین فی الشعب (۴). و قد کان ذلک بعد الهجره الأولی إلی الحبشه.ل.

۱- راجع: الإصابه ج ۴ ص ۳۰۴ عن الجرجانی، و الاستیعاب بهامش الإصابه ج ۴ ص ۲۹۹، ۲۸۲. و فی ص ۲۸۱ عن الزبیر بن بکار؛ أن عبد اللّه، ثم أم کلثوم، ثم فاطمه، ثم رقیه کلهم ولدوا بعد الإسلام، و کذا فی البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۹۴. و نسب قریش صفحه ۲۱.
۲- البدء و التاریخ ج ۵ ص ۱۷ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۲۹۸.
۳- نسب قریش لمصعب الزبیری ص ۲۲ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۲۹۳ و ۲۹۸ و أسد الغابه ج ۵ ص ۴۵۶ و الاستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ۴ ص ۲۹۹ و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰۹ عن الطبرانی.
۴- الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰۸ عن أبی نعیم فی الدلائل.

و ثالثا: لقد روی: أن خدیجه ولدت للنبی عبد اللّه، ثم أبطأ علیها الولد، فبینما رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یکلّم رجلا، و العاص بن وائل ینظر إلیه، إذ مرّ رجل فسأل العاص عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و قال: من هذا؟

قال: هذا الأبتر.

فأنزل اللّه: (إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (۱).

فظاهر الروایه: أنها حین ولدت عبد اللّه لم تکن قد ولدت غیره، أو أن من ولدتهم ماتوا جمیعا حتی لم یعد للنبی أولاد أصلا. مع أن رقیه کانت عند عثمان قبل ولاده فاطمه، فلا یصح وصف العاص للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بالأبتر فتنزل الآیه.

إلا أن یقال: إن العرب لم تکن تهتم بالبنات، بل المیزان عندهم هو خصوص الذکور، و لأجل ذلک وصفه العاص بالأبتر.

و رابعا: قد تقدم أن هناک من یقول: إن خدیجه إنما تزوجت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قبل البعثه بعشر أو بثلاث، أو بخمس سنوات، فکیف تکون رقیه و زینب قد ولدتا من خدیجه، و تزوجتا قبل البعثه؟!.

خامسا: ان الدولابی یقول: إن عثمان کان قد تزوج رقیه فی الجاهلیه (۲).

و ذلک کله یؤکد و یؤید: أن رقیه التی تزوجها عثمان هی غیر رقیه التی یدعی أنها بنت الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و التی یقال:۷.

۱- راجع تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۲۹۴ و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰۴.
۲- راجع: المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۹۷.

إنها ولـدت بعـد البعثه، و أن التی تزوجها عثمان هی ربیبه النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم)، لا إبنته. و قد کانت العرب تطلق علی ربیبه الرجل أنها ابنته کما قلنا: و کذلک یقال بالنسبه لأم کلثوم، لأن الفرض أنها قد ولدت بعد البعثه أیضا.

هل زینب بنت الرسول صلی الله علیه و آله وسلم أم ربیبته؟:

و أما عن زینب فلا نستطیع أن نطمئن إلی أنها کانت بنت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أیضا، لأننا بالاضافه إلی أن ما قدمناه آنفا حول زوجتی عثمان، کله بعینه جار هنا إذا کان أبو العاص بن الربیع قد تزوجها قبل البعثه- نشیر إلی ما یلی:

۱- قـال مغلطـای عن خـدیجه: (ثم خلف علیهـا أبو هاله النباش بن زراره فولـدت له هنـدا، و الحرث، و زینب، و کانت تکنی أم هند، و تدعی الطاهره) (۱).

۲- و عن عمرو بن دینار: أن حسن بن محمد بن علی أخبره: أن أبا العاص بن الربیع بن عبد العزی بن عبد شمس بن عبد مناف، و کان زوجا لبنت خـدیجه فجی ء به للنبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) فی قدّ، فحلّته زینب بنت النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سلم) الخ (۲).

فالتعبیر أولا ببنت خدیجه یشـیر أنها لم تکن ابنته (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) و إن کان عاد فذکر أنها بنت النبی؛ فلا یبعد أنه یریـد بنوتها له بالتربیه، و إلا فلماذا خصـها أولا بأنها بنت خـدیجه؟! فنسـبتها إلی خدیجه أولا یکون قرینه علی اراده بنوتها للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بالتربیه.۴.

۱- سیره مغلطای ص ۱۲.

۲- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۲۲۴.

۳- و یذکر الشیخ محمد حسن آل یاسین عن زینب أن: بعض المصادر تقول: إنها ولدت و عمره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ثلاثین سنه (۱)، و تزوجها أبو العاص بن الربیع قبل البعثه، و ولدت له علیا مات صغیرا، و امامه، اسلمت حین اسلمت أمها أول البعثه النبویه (۲).

و ذلک غیر معقول، فإنه لا یمکن لبنت فی العاشره أن تتزوج، و یولد لها بنت، و تکبر تلک البنت حتی تسلم مع أمها فی أول البعثه؛ و هذا حیث لا تزال أمها فی العاشره من عمرها (۳).

و لکن کلام هذا الباحث غیر متین، لأن المقصود بالتی أسلمت هی و أمها هو زینب و خدیجه، و لیس المقصود هو أمامه و زینب و ذلک ظاهر لا یخفی.

و بالنسبه لأم کلثوم فإن الروایات تذکر: أن علیا حین هاجر اصطحب معه خصوص الفواطم، و أم أیمن، و جماعه من ضعفاء المؤمنین (۴).

و لیست أم کلثوم بینهم؛ فهل هاجرت قبل ذلک، أو بعده وحدها؟ و کیف لم یصطحبها علی (علیه السلام) معه لیحمیها من کید قریش؟ و لماذا؟

و لماذا؟!.

و بعد ما تقدم نستطیع أن نقول: إننا لا یمکن أن نطمئن بشکل نهائی إلی ما یقال: من أن عثمان قد تزوج ابنتی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) للاحتمال القوی بأن تکونا ربیبتیه. و کذا بالنسبه لزینب زوجه أبی العاص.۳.

۱- أسد الغابه ج ۵ ص ۴۶۷، و نهایه الارب ج ۱۸ ص ۲۱۱، و الاستیعاب هامش الإصابه ج ۴ ص ۳۱۱.

۲- راجع: کتاب النبوه هامش ص ۶۵.

۳- راجع هامش کتاب النبوه للشیخ محمد حسن آل یاسین ص ۶۵.

۴- سیره المصطفی ص ۲۵۹. و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۵۳.

و علی هـذا فیصح أن یقال: لمن تزوج ربیبه لشـخص: أن ذلک الشـخص قد صاهره، و نال درجه من القرب منه، و علی هذا فلا منافاه بین ما ذکرنا، و بین قول أمیر المؤمنین (علیه السلام) لعثمان: (و قد نلت من صهره ما لم ینالا) (۱).

لکن یبقی: أن ذلـک الصـهر هـل قـام بواجبـاته تجاه ذلک الـذی أکرمه بتزویـج ربیبته له؟! فهـذا بحث آخر، و له مجال آخر، و ستأتی بعض الاشارات لما کان من عثمان فی حق زوجتیه ربیبتی النبی الاکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و مهما یکن من أمر فقد طبع لنا کتاب باسم بنات النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أم ربائبه، فلیرجع الیه من أراد التفصیل.

منافسون لعلی:

و لعل اصـرار الآخرین علی بنوتهن له (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم)، و ارسالهم له إرسال المسلمات، یهدف إلی إیجاد منافسین لعلی فی فضـائله الخارجیه، و لـذلک أطلقوا علی عثمان لقب (ذی النورین)!! هـذا، مع العلم بأن سـیرته لم تکن مع هاتین البنتین علی ما یرام، کما سوف نشیر إلیه حین الحدیث عن وفاتهما فی الجزء الرابع من هذا الکتاب إن شاء اللّه تعالی.

و یلاحـظ أیضا: روایتهم الموضوعه حول زواج علی ببنت أبی جهل، و التی مـدح فیها رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) صهر أبی۸.

۱- نهـج البلاغه ج ۲ ص ۸۵ و أنساب الأشـراف ج ۵ ص ۶۰ و العقـد الفرید ج ۳ ص ۳۷۶ و الجمـل ص ۱۰۰ عن المدائنی و الغدیر ج ۹ ص ۷۴. عن بعض من تقـدم و عن تاریخ الأمم و الملوک ج ۵ ص ۹۶ و عن الکامل فی التاریخ ج ۳ ص ۶۳ و عن البدایه و النهایه ج ۷ ص ۱۶۸.

العاص لرسول اللّه، تعریضا بعلی (علیه السلام) حیث کان فی مقام تحذیره، و الإزراء علیه. و سیأتی أیضا فی الجزء الرابع من هذا الکتاب بعض الکلام عن هذا الموضوع إن شاء اللّه تعالی.

خؤوله هند بن أبی هاله للامام الحسن (ع):

و قبل أن نترک الحدیث حول هذا الموضوع إلی غیره، نسجل هنا تحفظا علی ما یقال من أن الامام الحسن (علیه السلام) قال:

(سألت خالی هند بن أبی هاله عن حلیه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و کان وصافا، و أنا أرجو أن یصف لی منها شیئا أتعلق به، قال: کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فخما مفخما الخ).

قال الحسن فکتمها (فکتمتها. صح) الحسین بن علی زمانا، ثم حدثته، فوجدته قد سبقنی إلیه، فسأل أباه عن مدخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و مخرجه، و مجلسه، و شکله، فلم یدع منه شیئا، قال الحسین سألت أبی الخ (۱).

أقول:

أولا: سند هذا الحدیث هو جمیع العجلی، عن رجل من بنی تمیم، من ولد أبی هاله، زوج خدیجه أم المؤمنین رضی اللّه عنها، یکنی أبا عبد اللّه، عن ابن لأبی هاله، عن الحسن بن علی الخ (۲).

و نحن فی غنی عن التکلم حول هذا السند، فإن الأمر فیه بیّن.

و ثانیا: قد تقدم الإختلاف فی کون هند المتولد من خدیجه، هل هو۷.

۱- راجع التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۴۴۸ و ۴۴۹ فما بعدها و دلائل النبوه ج ۲ ص ۲۸۶ ط دار الکتب العلمیه.

۲- المصدر السابق ص ۴۴۷.

ذكر أم انثى، و أشرنا إلى اختلافهم فى أبيه من هو فيما تقدم؟!.

و ثالثا: إن الامام الحسن (عليه السلام) نفسه قد رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بنفسه، و عاش معه عده سنوات، و قد بايعه و شهد له على بعض عهوده، و خرج معه إلى مباهله النجرانيين و والخ.

فلماذا يشتهى أن يصف هند من رسول اللّه شيئا يتعلق به. فهل هو قد نسى جده يا ترى؟. و إذا كان قد نسى حقا، فلماذا لا يسأل أباه و هو أفصح العرب؟ و أعلم الأمه، الذى رباه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى حجره، و كان يعرف عنه كل شى ء، مما دق و جلّ.

أم يعقل أن يكون هند مطلعا على أحوال النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أكثر من على أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام؟!.

على أننا لم نجد فيما بين أيدينا من نصوص، حتى المكذوب منها ما يشير إلى أن هندا كان يعيش مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، أو بالقرب منه، أو أنه كان يحضر مجالسه، أو نحو ذلك، رغم أننا نسمع الكثير عن غيره ممن كانوا يأتون إلى مجلس النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بين حين و آخر.

و رابعا: لا ندرى لماذا كتم الحسن (عليه السلام) أخاه هذا الأمر.

مع أننا لا نعرف عنه أنه كان يستأثر لنفسه على أخيه فى أمور كهذه.

خامسا: إن ما تقدم كله يدفع هذا الحديث و يلقى عليه ظلالا من الريبه و الشك.

سادسا: لا ندرى، من هو ابن أبى هاله الراوى عن الامام الحسن (عليه السلام)؛ فهل هو من أبناء خديجه أيضا؟! فإن كان الجواب بالإيجاب، فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ.

و إن كان هو ابن لأبى هاله من إمرأه أخرى غير خديجه. فهذا ما لم

يذكره التاريخ لنا أيضا، و لا أشارت إليه كتب الأنساب، و لا ذكر فى عداد الرواه، و لا فى كتب الرجال!!

الفصل الرابع: حتی البعثه

اشاره

حضور النبی صلی الله علیه و آله وسلم حرب الفجار:

و یذکر المؤرخون: أن حربا قد هاجت بین قیس من جهه، و قریش و کنانه من جهه أخری. فی الأشهر الحرم- و هی أشهر الحج، و رجب معها- و لذلک سمیت حرب الفجار.

و یقال إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد حضر بعض أیامها، و شارک فیها فعلا، بنحو من المشارکه.

و لکننا بدورنا لا نستطیع أن نؤکد صحه ذلک، بل و نشک کثیرا؛ فیه و ذلک لأمور:

الأول: لقد وقعت حرب الفجار فی الأشهر الحرم، فی رجب. و لا نری مبررا لأن ینتهک أبو طالب و معه الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) حرمه الأشهر الحرم، کما یظهر لمن راجع سیرتهما و حیاتهما، و مدی تقیدهما بمثل هذه الأمور؛ فإنهما کانا مسلمین (۱)، بل لقد کان أبو طالب مستودعا للوصایا (۲)، کما ورد فی بعض الأخبار فی الکافی، بالإضافه إلی۹.

۱- راجع: البحار: ج ۱۵ ص ۱۱۷، و ستأتی مصادر أخری فی فصل: بحوث تسبق السیره، حین الکلام حول إیمان آباء النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم.

۲- الغدیر: ج ۷ ص ۳۹۴، و الکافی: ج ۱ ص ۴۴۵، و الدر المنثور للعاملی: ج ۱ ص ۴۹.

نصوص أخرى تـدل على عظمته و ثبات قـدمه فى الـدين، فراجع ما ذكر فى الغـدير، و غيره من الكتب المعده للحديث عن أبى طالب (عليه السلام).

إلا إذا وجّهت المشاركه: بأن حرب الفجار قد وقعت فى أشـهر النسـى ء، أو فى شـعبان أو شوال، و كان سـببها فى الأشهر الحرم (۱).

و لكنه توجيه لا يعتمد على أى سند تاريخى؛ فلا مجال للتعويل عليه. بالإضافه إلى ما سيأتى.

الثـانى: قـال ابن واضـح المعروف بـاليعقوبى: (و قـد روى أن أبـا طـالب منع أن يكون فيهـا (أى فى حرب الفجار) أحـد من بنى هاشم، و قال: هـذا ظلم، و عـدوان، و قطيعه رحم، و اسـتحلال للشـهر الحرام، و لا أحضـره، و لا أحد من أهلى؛ فأخرج الزبير بن عبد المطلب مستكرها.

و قال عبد اللّه بن جدعان التيمى، و حرب بن أميه: لا نحضر أمرا تغيب عنه بنو هاشم) (۲).

الثالث: إختلاف الروايات حول الـدور الـذى أداه النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم) فى هذه الحرب؛ فبعضـهم يروى: أن عمله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد اقتصر على مناوله أعمامه النبل، و ردّ نبل عدوهم عليهم، و حفظ متاعهم (۳).

و آخر يروى: أنه قد رمى فيها برميات، ما يحب أنه لم يكن قد٩.

۱- راجع السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۲۸، فإنه قد ذكر أن سبب الفجار قد كان فى الأشهر الحرم أما نفس الحرب فكانت فى شعبان. و أقول: و لكن ما معنى تسـميتها حينئـذ بحرب الفجار؟ .. هذا بالإضافه إلى تصـريح اليعقوبى فى تاريخه بأن حرب الفجار كانت فى رجب فراجع.

۲- تاريخ اليعقوبى ط صادر ج ۲ ص ۱۵.

۳- سيره ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۹.

رماها (۱).

و ثالث يروى: أنه طعن أبا براء ملاعب الأسنه فصرعه (۲) مع أنهم يقولون: إن عمره حينئذ كان أربع عشره سنه! (۳)، أو أنه كان حينئذ غلاما (۴). و لا ندرى إن كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارك و الحروب، أولا. و لا سيما بالنسبه إلى محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، الولد المتميز و العزيز جدا على عمه أبى طالب.

بل نجد البعض يناقض نفسه، فيقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد ولد عام الفيل، و أنه حضر الفجار و عمره أربع عشره سنه، ثم يقول فى آخر كلامه: إن حرب الفجار كانت بعد عام الفيل بعشرين سنه (۵).

و نشير إلى تناقض آخر هنا، و هو أن الكلام الذى نقلناه فى الأمر الثانى، عن اليعقوبى ينص على أن حرب بن أميه قد تغيب عن هذه الحرب، بينما نجد الروايات الأخرى تنص على أنه كان قد حضرها، و كان هو قائد قريش و كنانه.

سرّ التلاعب فى الروايات هنا:

و قد لفت نظرنا هذا التناقض الأخير، إذ لو كان الإختلاف فى رجل عادى من سائر أفراد الجيش، هذا يقول: حضر، و ذاك يقول: لم يحضر؛٨.

۱- السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۵۱، و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۲۷.

۲- المصدران المتقدمان.

۳- المصادر الأربعه المتقدمه إلا أن صفحه ابن هشام هى ۱۹۵.

۴- تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۶ ط صادر.

۵- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۹، و سيره ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۵ و ۱۹۸.

لكان يمكن أن تلتمس بعض المبررات لاختلاف كهذا!! و أنه ربما يقال لا تعمد فى المقام!!.

ولكن إذا كـان هـذا يقـول: كـان فلاـن على رأس الجيش، و ذاك يقـول: لم يحضـر أصـلا؛ فلاـ يمكن إلاـ أن يكون ثمه تعمد للكذب فى قضيه كهذه.

و لعـل الهـدف هو ابعـاد حرب بن أميه عن حرب فيهـا ظلم، و عـدوان، و قطيعه رحم، و فى الأشـهر الحرم، و لو بالمخـالفه لكل المؤرخين، لأن حرب بن أميه هو من تهتم الدوله برفعه شأنه، و تنزيه مقامه، و لو عن طريق الدجل و التزوير!!.

أما النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ فقد تقدم أن الخطه الملعونه كانت تهدف إلى عكس ذلك؛ و لذلك يلاحظ هنا: تعمد جعل النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سلم) حتى بعد نبوته يظهر على أنه منسجم مع مشاركته فى حرب الفجار فى الأشهر الحرم، و الـتى فيهـا ظلم و عـدوان، و قطيعه رحم، و اسـتحلال للشـهر الحرام، حتى ليقول: إنه رمى فيهـا برميـات، مـا يحب أنه لم يكن قد رماها!!.

حلف الفضول:

و بعـد منصـرف قريش من حرب الفجار دعا الزبير بن عبد المطلب (۱) إلى حلف الفضول، و عقـد الإجتماع فى دار عبد اللّه بن جدعان، و غمسوا أيديهم فى ماء زمزم، و تحالفوا و تعاقدوا على نصـره المظلوم، و التأسـى بالمعاش، و النهى عن المنكر، و كان أشرف حلف.م.

۱- هو غير الزبير بن العوام، الذى حارب أمير المؤمنين عليه السلام فى وقعه الجمل، و قتل و هو منهزم.

و المتحالفون على ذلك هم: بنو هاشم، و بنو المطلب، و بنو أسد بن عبد العزى، و زهره، و تيم (۱).

و أنكر البعض أن يكون بنو أسد بن عبد العزى فى حلف الفضول (۲)، و قالوا: إن عبد اللّه بن الزبير قد ادّعى ذلك لهم فى الإسلام (۳).

و قد حضر هذا الحلف نبينا الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و أثنى عليه بعد نبوته، و أمضاه؛ فقد روى أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: ما أحبّ أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم، و لو دعيت به لأجبت (۴). أو ما هو قريب من هذا.

سبب هذا الحلف:

و سبب هذا الحلف: أن رجلا من زبيد قدم مكه ببضاعه، فاشتراها منه العاص بن وائل؛ فحبس عنه حقه؛ فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف، الذين كانوا يسمون: لعقه الدم، لأنهم حين تحالفوا غمسوا أيديهم بالدم على خلاف المطيبين المشار إليهم آنفا، الذين هم اصحاب حلف الفضول أيضا. و الأحلاف هم: عبد الدار، و مخزوم، و جمح، و سهم،۷.

۱- راجع: شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۲۹، و نسب قريش لمصعب ص ۳۸۳ فإنه قد شرح كلا الحلفين: حلف الأحلاف، لعقه الدم، و حلف المطيبين. و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۹۳، و الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۶ و ۶۵.

۲- الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۶.

۳- الأغانى: ج ۱۶ ص ۷۰.

۴- أعيان الشيعه ج ۲ ص ۱۳، و سيره ابن هشام ج ۱ ص ۱۴۲، و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۹۳ و ۲۹۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۶۱، و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۳۱، و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۵۳ و الأغانى: ج ۱۶ ص ۶۶ و ۶۷.

و عدی بن کعب.

فأبی الأحلاف معونه الزبیدی علی العاص بن وائل، و انتهروه، و ذلک لما کان یتمتع به العاص هذا من نفوذ، و سیأتی أنه قد أنقذ عمر من براثن أهل مکه.

فلما رأی الزبیدی الشر، صعد علی أبی قبیس، و استغاث. فقام الزبیر بن عبد المطلب، و دعا إلی الحلف المذکور؛ فعقد؛ ثم مشوا إلی العاص، و انتزعوا منه سلعه الزبیدی؛ فدفعوها إلیه (۱).

بنو أمیه و حلف الفضول:

و أمّا ما ذکره أبو هریره من أن بنی أمیه قد کانوا فی حلف الفضول؛ فهو ما لم یتابعه علیه أحد، و أنکره غیر واحد من المؤرخین (۲).

و کذا قول البعض: إن أبا سفیان، و العباس بن عبد المطلب، هما اللذان دعیا إلی هذا الحلف (۳).

لکن روایه الأغانی لیست صریحه فی العباس بن عبد المطلب، فلعل المراد: العباس بن مرداس السّلمی، حیث إنه کان یتحدث عنه أولا؛ ثم جاء بهذه الروایه بعده ..

و لکن یرد علیه: أن العباس بن مرداس لا شأن له فی هذا الأمر...

۱- البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۹۱، ۲۹۲ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۲، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۵۳.
۲- البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۹۱، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۱ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۵۳، و السنن الکبری للبیهقی.
۳- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۲ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۵۳، و کان سن العباس حینئذ یساعد علی دعوه کهذه لأن عمره حینئذ کان لا یزید علی ثمانیه عشر عاما، کما یفهم من تاریخ عقد حلف الفضول ..

و أما إراده العباس بن عبد المطلب و أبی سفیان فلا یمکن قبولها، و ذلک لأمور:

أولاـ إن هـذا الحلف إنما کان ضـد الأمويين، و کان سـببه العاص بن وائل السـهمی، حلیف الأمويين، و والـد عمرو بن العاص. فکیف یشارک أبو سفیان فیه، فضلا عن یکون هو الداعی له؟!.

لا سیما و أنه قـد تقـدم: أن الأحلاف و منهم بنو أمیه قـد طردوا الزبیـدی حینما اسـتجار بهم، و تاریخ أبی سـفیان و أخلاقیاته لا تساعد علی موقف کهذا منه. الصـحیح من السـیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۲ ۱۴۳ بنـو أمیه و حلف الفضول: ..... ص : ۱۴۲

أضف إلی ذلک: أن أبا سفیان و العباس، لم یکونا مؤهلین من حیث السنّ و النفوذ و الإعتبار للقیام بأمر کهذا، کما أشیر إلیه فی الهامش.

ثانیـا: ورد أن محمـد بن جبیر بن مطعم، قـدم علی عبـد الملک، حین قتل ابن الزبیر، فقال له عبـد الملک: یا أبا سـعید، ألم نکن نحن و أنتم- یعنی عبد شمس بن عبد مناف، و بنی نوفل بن عبد مناف- فی حلف الفضول؟! قال: أنت أعلم. قال: لتخبرنّی یا أبا سعید بالحق من ذلک.

فقـال: لاـ و اللّه، لقـد خرجنا نحن و أنتم منه. قال: صـدقت. و زاد البعض (و هو المعتزلی فی جواب ابن جبیر: و ما کانت یـدنا و یدکم إلا جمیعا فی الجاهلیه و الإسلام) (۱).

و ثالثا: کان عتبه بن ربیعه بن عبد شـمس یقول: لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتی أدخل فی حلف الفضول،م.

۱- سـیره ابن هشام ج ۱ ص ۱۴۳، و شـرح النهج للمعتزلی ج ۱۵ ص ۲۲۶ عن الزبیر بن بکـار، و الأغانی: ج ۱۶ ص ۶۸ و ۷۰، لکن فی ص ۶۹: أن ذلک قد کان بین معاویه و جبیر بن مطعم.

و لیس عبد شمس فی حلف الفضول (۱).

و رابعا: مجموعه قضایا تـدل علی أن الأمویین ما کانوا فی حلف الفضول، و علی أن الإسـلام قد اعترف بهذا الحلف و أمضاه. و نذکر منها:

ألف: أنه کان الحسین (علیه السـلام)، و الولید بن عتبه الأموی أمیر المدینه من قبل عمه معاویه منازعه فی مال متعلق بالحسـین، فکأنّ الولید تحامل علی الحسین فی حقه لسـلطانه، فقال الحسـین: أحلف باللّه، لتنصفنی من حقی، أو لآخذن سیفی، ثم لأقومنّ فی مسجد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، ثم لأدعونّ بحلف الفضول.

فاسـتجاب للحسـین جماعه، منهم: عبـد اللّه بن الزبیر، و هو من أسد بن عبد العزی، و المسور بن مخرمه الزهری، و عبد الرحمان بن عثمان التیمی؛ فلما بلغ الولید ذلک أنصف الحسین من حقه حتی رضی (۲).

ب: و حسب نص أبی هلال العسکری: (کان بین الحسین (علیه السلام) و بین معاویه کلام فی أرض للحسین. فقال الحسین لإبن الزبیر:

خیّره فی ثلاـثه، و الرابعه الصـیلم: أن یجعلـک أو ابن عمر بینی و بینه. أو یقر بحقی، ثم یسـألنی أن أهبه له. أو یشتریه منی؛ فـإن أبی- فو الذی نفسی بیده- لأهتفن بحلف الفضول الخ (۳).

ج: و عنـد أبی الفرج روایه جـاء فی آخرها: أنه حینما أظهر معاویه إنزعاجه من عـدم زیاره الإمام الحسن المجتبی (علیه السـلام) له، و هو فی۸.

۱- الأغانی: ج ۱۶ ص ۶۶ و ۷۰.

۲- سیره ابن هشام ج ۱ ص ۱۴۲ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۳۲، و الکامل لابن الأثیر ط صادر ج ۲ ص ۴۲، و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۹۳ و السـیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۵۳ عن سـیره الحافظ الدمیاطی و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۱۴، و الأغانی: ج ۱۶ ص ۶۸.

۳- الأوائل ج ۱ ص ۷۳/ ۷۴. و الأغانی: ج ۱۶ ص ۶۸.

المدینه، أغراه به ابن الزبیر، فلم یستجب له معاویه.

فقال له إبن الزبیر: (أما و اللّه إنی و إیاه لید علیک بحلف الفضول.

فقال معاویه: من أنت؟! لا أعرض لک، و حلف الفضول و اللّه إما الخ) (۱).

فهذه النصوص تدل علی قبول الأئمه (علیه السلام) بحلف الفضول و إمضائهم له، تبعا لرسول اللّه فی إمضائه له حسبما تقدم.

کما و تـدل و لا سـیما النص الأخیر منها علی أن معاویه و قومه ما کانوا فی حلف الفضول، الذی یعرّض له به إبن الزبیر. کما أن مناداه الحسین (علیه السلام) بهذا الحلف، و استجابه الزبیریین، و غیرهم له ضد الأمویین، یشیر إلی ذلک أیضا.

و بعـد کل ما تقدم، فإن ما یرید أبو هریره، و من هم علی شاکلته إثباته، تزلّفا و تقربا لأسـیادهم من الحکام الظالمین، مما یکذبه کل أقوال المؤرخین، و کل الوقائع التاریخیه.

و لکن حرص أبی هریره علی أن لاـ تفـوت بنی أمیه فضـیله کهـذه، هـو الـذی دفعه إلی إدخـال الأـمویین فی أشـرف حلف فی العرب، و الذی یوافق مبادیء الاسلام و شرائعه، و ینسجم مع الفطره السلیمه و العقل القویم.

ملاحظه:

و یلاحظ اخیرا. أننا نجدهم یروون عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ما یدل علی لزوم التمسک بأحلاف الجاهلیه (۲).ی.

۱- الأغانی ط ساسی ج ۸ ص ۱۰۸.

۲- المصـنف للحافظ عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۳۰۶/ ۳۷۰ و فی هامشه عن مسـلم و الترمذی ج ۴ ص ۱۴۶ ط المکتبه الإسلامیه و عن سعید بن منصور و عن فتح الباری ج ۸ ص ۱۷۳ و الدارمی.

و هی دعوه مغرضه و خبیثه، إلا إذا أرید منها خصوص حلف الفضول، الذی امضاه الاسلام. أو أی حلف آخر تنسجم اهدافه مع الاسـلام، کالحلف الـذی عقـده عبـد المطلب مع جماعه خزاعه، فلما قتلت قریش جماعه من خزاعه، استنصـروا النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سلم) استنادا إلی ذلک الحلف، و کان فتح مکه لذلک (۱).

ملاحظات هامه علی حلف الفضول:

۱- إن دعوه الحسـین (علیه السـلام) بحلف الفضول، انمـا کـانت منه (علیه السـلام) لأنه کان یعلم من خلال دراسـته للاوضاع و للنفسیات أن هـذه الـدعوه سوف لن تنتهی إلی حد الخطر الاقصـی. و قد کان یهدف منها إلی تعریف الناس علی واقع و حقیقه بنی أمیه، و انهم ظـالمون عتـاه، لاـ یهمهم إلاـ الـدنیا و حطامهـا و أن الهاشـمیین، و أهـل البیت هم الـذین یهتمون بالحفاظ علی العهود و المواثیق التی تهدف إلی نصره المظلوم، و الدفاع عن الحق.

و قد خاف معاویه من هذا الأمر بالذات، فاستسلم للحسین (علیه السلام)، و ارجع الحق إلی أصحابه.

کما أن هذه الدعوه قد کانت فی ظرف حرج، لا یمکن اللجوء فیه إلی أیه وسیله أخری غیرها، حتی و لا وسیله الثوره العامه ضد تلک الطغمه الفاسده، إذ أن إعلانه للثوره العامه حینئذ، و فی مناسـبه کهذه، لسوف یفسر علی أنه لدوافع شخصیه، و لا علاقه له بالدفاع عن الدین و الأمه لا من قریب و لا من بعید.

و علیه فلو استشهد الامام الحسین (علیه السلام) و الحاله هذه فیی.

۱- سیأتی الحدیث عن ذلک فی فتح مکه إن شاء اللّه تعالی.

هـذه المناسبه، فسوف لا يكون لقتله أيه فائده تعود على الدين و الأمه. بل ربما يكون ضـرر ذلک اكثر من نفعه؛ و ذلک عندما يلاحق ذلک معاويه الداهيه بحمله دعائيه مغرضه، يقضـى فيها على الأمل الوحيد للأمه، و يفصل المجتمع المسـلم نفسيا و فكريا عن أهل البيت (عليه السلام) بشكل عام، و عن أئمتهم بصوره خاصّه.

و ذلـک لأن الظروف التى أوصـلت معاويه إلى الحكم، و إن كانت واضـحه لـدى كثيرين من أهل العراق و الحجاز، إلا أن أهل الشام، الذين لم يعرفوا إلا الاسـلام السـفيانى، إسـلام المصالح و الأهواء، الاسلام الذى يستحل كل شى ء فى سبيل الوصول إلى الأهـداف الشخصـيه، و اللذات الفرديه- نعم- إن أهل الشام الذين لم يتربوا تربيه اسـلاميه صـحيحه، و لا عرفوا عليا و أهل البيت على حقيقتهم، و لا عرفوا إسلام على، و لا مبادى ء على، و لا اهداف على (عليه السلام)، بل كان الأمويون يظهرون لهم:

أنهم هم قرابه النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سلم) و هم أهل بيته، حتى ليدعى عشره من أمرائهم و قوادهم: أنهم ما كانوا يعرفون للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أهل بيت غير بنى أميه (۱).

بل إن معاويه ليتجرأ و يقول لأهل الشام: إن عليا (عليه السلام) لا يصلى!! (۲).م.

۱- النزاع و التخـاصم للمقريزى ص ۲۸، و شـرح النهـج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۵۹، و مروج الـذهب ج ۳ ص ۳۳، و عن دعـواهم الخلافه بالقرابه من رسول اللّه صـلى الله عليه و آله وسـلم راجع: العقد الفريد ط دار الكتاب العربى ج ۲ ص ۱۲۰؛ و حياه الإمام الرضا السياسيه للمؤلف ص ۵۴/ ۵۵.

۲- الفتوح لاـبن اعثم ج ۳ ص ۱۹۶ و وقعه صـفين لنصر بن مزاحم ص ۳۵۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۸ ص ۳۶ و الكامل لابن الأثير ج ۳ ص ۳۱۳، و تاريخ الطبرى ج ۴ ص ۳۰، و الغدير ج ۹ ص ۱۲۲ عن بعضهم.

إن أهل الشام و الحاله هذه لا يمكنهم أن يدركوا واقع ما يجرى و ما يحدث. بل إن باستطاعه معاويه أن يموّه و يشبه الامر على غير أهل الشام أيضا؛ لمكره وشيطنته؛ فإنه قد تأمر على الشام من قبل عمر بن الخطاب، الذى احبه العرب، و اخلصوا له؛ لأنه أرضى غرورهم، و رفع معنوياتهم، بتفضيلهم على غيرهم، من أهل الامم الأخرى فى العطاء، و فى مختلف الشؤون. مع أنهم الذين كانوا إلى الأمس القريب لا قيمه لهم، يتيهون فى صحرائهم القاحله، يأكلون الجشب، و يشربون الكدر، إلى آخر ما تقدم فى أوائل الفصل الأول؛ ثم جاء الاسلام، فساواهم بغيرهم، و رفع من شأنهم، و قرّر: أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

و لكن سياسه عمر بن الخطاب قد اقتضت إعطاء كل الإمتيازات، و فى مختلف الشؤون لخصوص العرب، و حرمان غيرهم من كل الإمتيازات، و من كل شى ء (۱).

فأحب العرب عمر بن الخطاب أعظم الحب، و قدّروه أجل تقدير، و صارت افعاله و أقواله عندهم قانونا متبعا، لا يمكن مخالفته، و لا الخروج عليه، و يكفى أن نذكر: أن مجرد توليته لأحدهم قد أوجبت لذلك الرجل عظمه و منزله خاصه (۲).

بل إن عليا الذى لم يكن يرى لبنى اسماعيل فضلا على بنى اسحاق (۳) لم يستطع أن يعزل شريحا عن القضاء؛ و قد أبى ذلك عليه أهل۷.

۱- راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى.

۲- الثقات: ج ۲ ص ۲۹۵.

۳- سنن البيهقى ج ۶ ص ۳۴۹ و الغدير ج ۸ ص ۲۴۰ عنه. و أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودى: ج ۲ ص ۱۴۱. و الغارات: ج ۱ ص ۷۴- ۷۷، و حياه الصحابه: ج ۲ ص ۱۱۲ عن البيهقى، و تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۱۸۳، و البحار ج ۴۱ ص ۱۳۷.

الکوفه، و قالوا له: لا تعزله؛ لأنه منصوب من قبل عمر، و بایعناک علی أن لا تغیر شیئا مما قرره أبو بکر و عمر (۱).

کما أنه لم یستطع أن یمنع جیشه من صلاه التراویح؛ لأن عمر هو الذی شرّعها. و صاحوا و اسنّه عمراه (۲). و لعل أول من صاح فی هذه المناسبه ب (وا عمراه) هو قاضیه شریح (۳).

بل لقد نادوا بعلی (علیه السلام) فی حرب الجمل: (اعطنا سنه العمرین (۴)).

و سمع رجل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یقول عن معاویه:

من أدرک هذا أمیرا فلیبقرنّ خاصرته بالسیف؛ فرآه یخطب فی الشام؛ فأراد تنفیذ أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فقالوا له: أتدری من استعمله؟.

قال: و من قالوا: أمیر المؤمنین عمر.۳.

۱- کشف القناع عن حجیه الإجماع: ۶۴، و راجع: تنقیح المقال: ج ۲ ص ۸۳، و قاموس الرجال: ج ۵ ص ۶۷.
۲- راجع: شرح النهج للمعتزلی: ج ۲ ص ۲۸۳ و ج ۱ ص ۲۶۹، و الصراط المستقیم: ج ۳ ص ۲۶، و الکافی ج ۸ ص ۶۳ و تلخیص الشافی: ج ۴ ص ۵۸، و البحار ط حجریه: ج ۸ ص ۲۸۴، و راجع: الجواهر: ج ۲۱ ص ۳۳۷، و الوسائل: باب (۱۰) من أبواب نوافل شهر رمضان، کتاب الصلاه، و کشف القناع: ص ۶۵/ ۶۶ و سلیم بن قیس ص ۱۲۶ ط مؤسسه البعثه.
۳- راجع: قاموس الرجال: ج ۵ ص ۶۷.
۴- الکامل للمبرد ج ۱ ص ۱۴۴ ط دار نهضه مصر. و راجع الکافی: ج ۸ ص ۵۹، و شرح النهج: ج ۱ ص ۲۶۹، و الکامل فی التاریخ: ج ۳ ص ۳۴۳، و الأخبار الطوال: ص ۲۰۷، و أنساب الأشراف، بتحقیق المحمودی: ج ۲ ص ۳۷۰/ ۳۷۱، و تنقیح المقال: ج ۲ ص ۸۳.

قال: سمعا و طاعه لأمير المؤمنين (۱).

و قدّ صرح أمير المؤمنين فى خطبه له بأعمال كثيره لمن سبقوه. لم يستطع تغييرها، و لو أنه حاول ذلک لتفرق عنه جنده، حتى يبقى وحده، و قليل من شيعته. و هى أمور كثيره فلتراجع (۲). و لتراجع أيضا الشواهد الكثيره التى تؤيد ذلک فى مصادرها.

ثم جاءت الدوله الأمويه، فاستنت بسنه عمر، و سارت بسيرته، و انتهجت نهجه.

و إذا كان معاويه قد تولىّ الشام من قبل عمر، و إذا كان قدموّه على الناس فى قضيه قتل عثمان، و ألقى فى الناس الشبهات الكثيره حولها، حتى استطاع أن يقود جيشا ليحارب فى صفين اعظم رجل بعد الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و إذا كان قد استغل قضيه التحكيم، و اضفى على خلافته نوعا من الشرعيه المزوّره، التى يمكن تضليل العوام و السذج بواسطها.- إذا كان كل ذلک- فإن من الطبيعى أن يستطيع معاويه الذى وصل إلى الحكم فى مثل تلک الظروف الغامضه، أن يصوّر الحسين بن على (عليه السلام)، بعد قتله على أنه باغ و طاغ و طامع، تحركه المصالح الشخصيه، بل و حتى خارج عن الاسلام، و العياذ باللّه.

و لسوف يتمكن عن طريق الاخطبوط الأموى المتغلغل فى مختلف البلاد، و الذى استطاع أن يضع العراقيل فى طريق على (عليه السلام)، و غيره من الأئمه الطاهرين، لسوف يتمكن من استغلال تلک الظروف۶.

۱- البحار ج ۹۲ ص ۳۶ عن معانى الأخبار.

۲- الكافى ج ۸ ص ۵۹- ۶۳ و سليم بن قيس ص ۱۲۵/ ۱۲۶.

الخاصه، فی الحجاز، و العراق، و فی الشام، ابشع استغلال، و لا سیما بالنسبه لأهل الشام، الذین ما کان یمکنهم! إدراک واقع ما یجری و ما یحدث إلا عن طریق الجهاز الأموی نفسه.

یضاف إلی ذلک کله: أنه قد کان فی عهد الخلفاء قبل علی (علیه السلام)، و لأهداف سیاسیه معینه، ثمه حصار مضروب علی کبار الصحابه؛ فلم تتح لهم الفرصه لیتفرقوا فی البلاد، و ینشروا تعالیم النبی الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) علی حقیقتها. بل حصروهم فی المدینه مده طویله. و من استطاع منهم الافلات منها قلیل، و من کان یصر علی الجهر بالحقیقه، فإنه یتعرض لمختلف انواع القهر و الاضطهاد، کما کان الحال بالنسبه لأبی ذر (رحمه اللّه) (۱).

و هکذا .. فإن الصحابه لم یتمکنوا من الجهر بما تجیش، أو بکل ما تجیش به صدورهم، حتی أشرف هذا الجیل علی الفناء و الزوال، مما کان من شأنه أن یفسح المجال أمام الجهاز الحاکم لکل افتراء ضد أهل البیت (علیه السلام)، و ضد النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نفسه، ثم ضد الاسلام بشکل عام.

و خلاصه الامر: إن قتل الحسین (علیه السلام) فی زمن معاویه لیس فقط لا یجدی و لا ینفع، و إنما یکون فیه قضاء تام علی الامل الوحید للدین، و الأمه، و للحق. و فی هذا خیانه حقیقیه ظاهره لکل ذلک، بمقدار ما کان استشهاد الحسین (علیه السلام) بعد ذلک وفاء للدین، و للأمه و للحق، عند ما لم یعد انحراف الحکم و لا دینیته، بل وعداؤه للدین خافیا علی أحد، و لم یکن بعد للدهاء و المکر، و للسیاسات المنحرفه: أن تتستر علیه، و لا أن تقلّل من وضوحه. و أصبح السکوت علیه فی تلک الظروف..

۱- راجع مقالنا عن أبی ذر فی الجزء الأول من کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام ..

هو الخیانه للدین، و للامه، و للحق.

و إلا فإن الحسین (علیه السلام) قد عاش فی حکم معاویه بعد استشهاد أخیه الحسن (ع) عشر سنوات، و لم یقم بالثوره ضده، مع أن الحسین (علیه السلام) الذی سکت فی زمن معاویه هو نفسه الحسین الذی ثار فی زمان یزید. کما أن الانحراف و الظلم الذی کان فی زمان هذا قد کان فی زمان ذاک. و ما ذکرناه هو المبرر لسکوته هناک، و ثورته هنا.

هـذا، و قـد تمدّح الإمام الحسـین (علیه السـلام) أخاه الإمام الحسن (علیه السـلام) علی صـلحه مع معاویه، و اعتبره إیثارا للّه عند مـداحض الباطـل، فی مکـان التقیه بحسن الروایه. کمـا قـاله (علیه السـلام) و هـو یؤبن أخـاه الإمـام الحسن (علیه السـلام) حینما استشهد بسمّ معاویه (۱).

و کتب أهل الکوفه أکثر من مره إلی الإمام الحسـین (علیه السـلام) یدعونه إلی الخروج إلیهم فی خلافه معاویه، و فی کل ذلک یأبی علیهم (۲)، و قد أمرهم بلزوم بیوتهم ما دام معاویه حیّا (۳).

فالقول بأن سبب عدم ثورته علی معاویه إنما هو عدم بیعه الناس له فی زمنه، لا یصح.

کما أن الناس کانوا قد بایعوا الإمام الحسن (علیه السـلام)، فلماذا سکت؟ و لماذا لم یطالبه الحسین بالقیام؟! و لماذا یمدحه علی صلحه لمعاویه؟۲.

۱- راجع: تهذیب تاریخ دمشق: ج ۴ ص ۲۳۰، و عیون الأخبار لابن قتیبه: ج ۲ ص ۳۱۴.

۲- ترجمه الإمام الحسین (ع) من تاریخ دمشق (بتحقیق المحمودی): ص ۱۹۷.

۳- الأخبار الطوال: ص ۲۲۱/ ۲۲۲.

هذا ما أردنا الاشاره إليه هنا، و لهذا البحث مجال آخر.

۲- و يلاحظ أيضا: أنه حين دعا الحسين (عليه السلام) بحلف الفضول قد استجاب له حتى أعداؤه، كابن الزبير، الذى لم يكن ليخفى على أحد، كيف كان موقفه من الهاشميين أيام خلافته حتى لقد كان يريد أن يحرقهم بالنار فى مكه، لولا وصول النجده لهم من العراق.

كما أنه قد قرت عينه- على حد تعبير ابن عباس- حين توجه الحسين (عليه السلام) إلى العراق.

أضف إلى ذلك: أنه قد قطع الصلاه على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى خطبه، و لما عوتب على ذلك ادعى: أن هذا الحى من بنى هاشم إذا سمعوا ذكره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أشرأبت أعناقهم، و أبغض الاشياء إليه ما يسرهم. و فى روايه: إن له أهيل سوء الخ (۱).

نعم، لقد استجاب للإمام الحسين صلوات اللّه و سلامه عليه حتى اعداؤه حين دعاهم بحلف الفضول، و لكنهم لا يستجيبون لداعى اللّه و الرسول الذى يأمرهم بقبول إمامه الحسنين (عليهما السلام) قاما أو قعدا و لا يدافعون عن إمامهم الذى خرج فى طلب الاصلاح فى أمه جده، بل و ينصبون العداء له و لأهل بيته عموما كما أشرنا إليه.

فما هو سر استجابتهم للنداء بحلف الفضول، ثم عدم استجابتهم للحسين، حين دعاهم للجهاد ضد أعداء الدين، فلم يخرج منهم أحد إلى كربلاء لمحاربه الظلم و الطغيان، و الانحراف عن الدين و الحق؟!.

مع أن القضيه الأولى و إن كانت تمثل مكافحه للظلم و التجبر، إلا أنها فى۴.

۱- راجع: العقد الفريد ج ۴ ص ۴۱۳ ط دار الكتاب العربى، و شرح النهج للمعتزلى ج ۲۰ ص ۱۲۷ و غير ذلك، و أنساب الأشراف ج ۴ ص ۲۸ و قاموس الرجال ج ۵ ص ۴۵۲، و مقاتل الطالبيين ص ۴۷۴.

الحقیقه تنتهی إلی مسأله خاصه، محدوده الزمان و المکان، و الأشخاص، کما سوف تفسرها ابواق الدعایه الأمویه المغرضه.

أما فی قضیه کربلاء، فقد کان واضحا لدی کل أحد حقیقه أهداف الثوره. و قد أوضحها الامام الحسین (علیه السلام) أکثر من مره، و لم یبق مجالا للشک فی أنها ذات أهداف اسلامیه جامعه، بعیده کل البعد عن المکاسب الشخصیه و النفعیه المحدوده.

فلماذا السکوت؟، و ربما السرور من بعضهم بالمصیر الذی لاقاه الامام الحسین (علیه السلام) هنا؟ ثم هم یهبون لنصرته، و القیام دونه، أو علی الاقل یظهرون استعدادهم لذلک هناک؟! مع أن الأهداف إن لم تکن فی المآل واحده؛ فإنها فی قضیه کربلا أهم و اکثر مساسا بهم و بدینهم و کرامتهم .. فهل کانوا یهدفون إلی إضعاف عدوهم الأقوی أوّلا؟! أم أنهم أمنوا معاویه، و خافوا یزید الخمور؟ ربما یکون ذلک، و ربما لأن حلف الفضول کان جاهلیا، و هم إلی الجاهلیه فی حقها و فی باطلها أقرب منهم إلی الاسلام، حتی حینما تکون القضیه مصیریه، و حتی و لو کانت مصیریه بالنسبه للأمه بأسرها، و بالنسبه للدین نفسه.

و لو أنهم التفتوا إلی أن حلف الفضول قد امضاه الاسلام، و صار اسلامیا فلربما یکون لهم حینئذ موقف آخر.

إن ذلک لعجیب حقا! و أی عجیب!!.

۳- إن موقف الحسین هذا، و کذلک إمضاء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لهذا الحلف فی کلامه المتقدم، لیدل علی أن الاسلام قد أمضی هذا الحلف؛ لأنه قائم علی أساس الحق و العدل و الخیر. و هل الاسلام إلا ذلک؟- إنه یمضیه- مع أن الذین قاموا به کانوا وقتها علی الشرک و الکفر. و لکنه یهدم مسجد الضرار، مع أن الذین بنوه کانوا یتظاهرون بالاسلام، و یتعاملون علی اساسه، بحسب الظاهر.

و هـذا مـا يؤكـد واقعيه الاسـلام، و أنه إنمـا ينظر إلى عمل يـدى الصـياد لا إلى دموع عينيه، و أنه لا يغتر بالمظاهر، و لا تخـدعه الشـعارات مهما كانت براقه، إذا كانت تخفى وراءها الوصوليه، و الخيانه و التآمر، فالحق حق، و مقبول، و لا بـد من الالتزام به، و التعامـل على أسـاسه، و لو صـدر من مشـرك، و الباطـل باطـل و مرفوض، و لاـ يجوز الاـلتزام به، و لا التعامل على أساسه، مهما كانت الشعارات براقه و مغريه.

و لهذا نفسه نجد أمير المؤمنين أيضا يرفض خدعه رفع المصاحف على الرماح فى صـفين و يحذر منها. و لقد كان هو المصـيب فى رفضه.

و غيره، ممن كان يتظاهر بالتقى و العباده كان هو المخطئ.

وفقنا اللّه للسـير على هدى أمير المؤمنين على (عليه السلام)، و تأثّر خطاه، و العمل بمنهاجه، الذى هو نهج الايمان و الإسلام، إنه ولى قدير.

۴- إن اهتمام النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم)، و الأئمه (عليهم السلام) بحلف الفضول إنما يدل على أن الاسلام ليس منغلقا على نفسه، و إنمـا هو يسـتجيب لكـل عمـل إيجـابى فيه خير الانسـان، و يشـارك فيه على أعلى المسـتويات، انطلاقا من الشـعور بالمسؤوليه، و انسجاما مع أهدافه العليا، و مع المقتضيات الفطريه، و احكام العقل السليم.

۵- أما اسـتجابه الذين اسـتجابوا للزبير بن عبد المطلب حينما دعا لعقد هذا الحلف، فلعل لهم دوافع مختلفه باختلاف الأشخاص، و البيوتات، و القبائل، و نذكر من هذه الدوافع:

ألف: الدافع الفطرى الإنسانى؛ لأن هذا هو ما تحكم به الفطره، و العقل السليم، ثم هو ينسجم مع الشعور الإنسانى، و الأخلاقى.

ب: الدافع المصلحى، و ذلک لأن عدم الأمن فى مكه لسوف يقلل من رغبه التجار فى الوفود عليها، و التعامل مع أهلها.

ج: وثمه دوافع أخرى ربما تكون لدى بعضهم، كالحفاظ على قدسيه مكه و أهلها فى نفوس العرب؛ و غير ذلك. و قد تقدم فى الفصل الأول ما يفيد هنا؛ فراجع إن شئت.

تاريخ ولاده أمير المؤمنين (ع):

أما عن تاريخ ولاده أمير المؤمنين (عليه السلام) ففيه إثنا عشر قولا على وجه التقريب، تبدأ من سبع، حتى ست عشره سنه قبل البعثه، و قال آخرون: ولد قبل البعثه بعشرين، و غيرهم بثلاث و عشرين سنه (۱).۰.

۱- راجع الأقوال المذكوره كلا أو بعضا فى الكتب التاليه: المصنف لعبد الرزاق ج ۵ و العقد الفريد ج ۴ ص ۳۱۱، و أنساب الأشراف، و مقاتل الطالبيين ص ۲۶، و الأنس الجليل ج ۱ ص ۱۷۸، و التهذيب ج ۷ ص ۳۳۶، و الأوائل، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۹ عن شواهد النبوه، و طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۳ ص ۱۳، و المعارف لابن قتيبه ص ۵۱، و حياه الحيوان ج ۱ ص ۵۴، و البحار، و ينابيع الموده، و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۳۴، و ذخائر العقبى ص ۵۸، و الاستيعاب، و سنن البيهقى ج ۶ ص ۲۰۶، و نزهه المجالس، و مناقب الخوارزمى و أسد الغابه ج ۴ ص ۱۶- ۱۸، و البدايه و النهايه، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۰۲، و فتح البارى ج ۷ ص ۵۷، و إحقاق الحق ج ۷ ص ۵۳۸- ۵۵۴. و القول بالعشر موجود فى: الفصول المهمه لابن الصباغ ص ۱۲ و الاستيعاب ج ۳ ص ۳۰ ط صادر، و طبقات ابن سعد ط مصر ج ۳ ص ۲۱، و سيره ابن هشام ج ۱ ص ۲۶۲، و الكافى ج ۱ ص ۳۷۶، و إرشاد المفيد ص ۹، و إعلام الورى ص ۱۵۳، و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۷۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۶، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۱۱، و تلخيصه بهامشه للذهبى، و مناقب الخوارزمى ص ۱۷، و تاريخ الخلفاء ص ۱۶۶ و البدايه و النهايه ج ۳ ص ۲۶، و ذخائر العقبى، و أنساب الأشراف، و ملحقات إحقاق الحق ج ۷ عن بعض من تقدم. و للقول بالإثنى عشر راجع: البحار ج ۳۵ ص ۷ و إحقاق الحق ج ۷ ص ۵۴۹، عن نهايه الإرب ج ۸ ص ۱۸۱ و الاستيعاب ج ۳ ص ۳۰. و نقلت كثير من الأقوال عن المصادر التاليه: إكمال الرجال ص ۶۸۷ و الروضه النديه ص ۱۳، و احكام الأحكام ج ۱ ص ۱۹۰، و أنباه الرواه فى أنباء النحاه ج ۱ ص ۱۱، و نهايه الارب ج ۸ ص ۱۸۱، و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۱۵، و نظم درر السمطين ص ۸۱ و ۸۲، و الرياض النضره ج ۲ ص ۱۵۶ و الغره المنيفه ص ۱۷۶ و شرح المواهب للزرقانى ج ۱ ص ۲۴۲، و الطبقات المالكيه ج ۲ ص ۷۱، و المصباح الكبير ج ۵۶۰.

و یمکن أن تقلّ الأقوال عن ذلک، إذا قلنا: إنه لا منافاه بین القول:

بأنه ولد قبل البعثه باثنی عشره سنه، و بین القول بأنه ولد قبلها بخمس عشره سنه، إذا کان القائل بالثانی لا یسقط السنوات الثلاث الأولی من بعثته صلی الله علیه و آله وسلم من الحساب، لأن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یکن یجهر فیها بالدعوه.

و لعل اختلافهم فی مده نبوته صلی الله علیه و آله وسلم فی مکه علی قولین: عشر سنوات، و ثلاث عشره سنه سببه ذلک أیضا.

بل نجد البعض یقول إن سرّیه الدعوه قد استمرت خمس سنوات، فیمکن بملاحظه هذا و ما تقدم فی سائر الاقوال: أن تقلّ الأقوال عن ذلک کثیرا. ولکن هذا علی أی حال یبقی مجرد احتمال.

و علی کل حال، فإن القول بالإثنی عشر، و إن کان مرویا عن أهل البیت، إلا أن القول الآخر، و هو أن ولادته کانت قبل البعثه بعشر سنوات مروی أیضا، و هو المشهور عند علمائنا، و عند غیرهم، کما یظهر من ملاحظه المصادر المتقدمه.

و لذا، نقول: إن هذا القول المعتضد بالشهره هو الأولی بالاعتماد و الإعتبار. لا سیما و أنه مروی عن أهل البیت الذین هم أدری من کل أحد بما فیه.

و أما محاولات البعض الاستفاده من ذلک، و استنتاج نتیجه معینه

لتأکید فکره معینه، من قبیل ادعاء أن علیا هو أول من اسلم من الصبیان؛ لیکون أبوبکر أول من أسلم من الرجال. فسیأتی عند الحدیث عن اسلام أمیر المؤمنین (علیه السلام): أن هذا لا یمکن أن یصح بأی وجه.

أول هاشمی ولد من هاشمیین:

لقد ولد أمیر المؤمنین (علیه السلام) و هو الشخصیه الأولی بعد الرسول، و الذی تربّی فی حجر الوحی، و ارتضع لبان النبوه من أبوین قرشیین هاشمیین، هما: أبو طالب، شیخ الابطح. و فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

و قال الکلینی و غیره: (و هو أول هاشمی ولد هاشم مرتین) و قریب منه غیره (۱).

و علق المجلسی: بأن اخوته طالبا، و عقیلا، و جعفرا قد ولدوا قبله من هذین الهاشمیین. و قول التهذیب و غیره: (فی الاسلام)، لا یصحّح ذلک؛ إذ لو کان مرادهم أنه ولد بعد البعثه فهو لا یصح، للاتفاق علی أنه قد ولد قبلها.

و لو کان المراد: أنه الوحید الذی ولد بعد ولاده الرسول، فهو کذلک لا یصح، لأن أکثر إخوته قد ولدوا بعد ولاده النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، مع أنه اصطلاح غریب غیر معهود (۲).

و الصحیح: أن یقال کما قال المعتزلی، و الشهید، و غیرهما: (و أمه۶.

۱- الکافی ج ۱ ص ۳۷۶، و نسب قریش لمصعب الزبیری ص ۱۷، و التهذیب للشیخ ج ۶ ص ۱۹ و البحار ج ۳۵ ص ۵ عنه و عن الکافی، و أسد الغابه ج ۴ ص ۱۶ و ج ۵ ص ۵۱۷ و الفصول المهمه لابن الصباغ ص ۱۳.

۲- راجع: البحار ج ۳۵ ص ۶.

أول هاشميه ولدت لهاشمی) (۱).

ولاده أمير المؤمنين (ع) فی الكعبه:

لقد ورد أنه عليه الصلاه و السلام قد ولد فی جوف الكعبه أعزها اللّه، فی يوم الجمعه فی الثالث عشر من شهر رجب. و أن هذه فضيله اختصه اللّه بها، لم تكن لأحد قبله، و لا بعده، و قد صرح بذلک عدد كبير من العلماء، و رواه الأثر، و نظمها الشعراء و الادباء. و ذلک مستفيض عند شيعه أهل البيت (عليهم السلام)، كما أنه كذلک فی كتب غيرهم، حتی لقد قال الحاكم و غيره:

(تواترت الأخبار: أن فاطمه بنت أسد، ولدت أمير المؤمنين علی بن أبی طالب كرم اللّه وجهه فی جوف الكعبه ...).

و صرح بأنه لم يولد فيها أحد سواه عدد من العلماء و المؤرخين (۲).ات

۱- البحار ج ۳۵ ص ۶ عن الدروس للشهيد، و شرح النهج للمعتزلی ج ۱ ص ۱۳ و ج ۱۵ ص ۲۷۸ و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۷۱، و نسب قريش لمصعب ص ۴۰، و نزهه المجالس ج ۲ ص ۱۶۵، و معرفه الصحابه لأبی نعيم مخطوط فی مكتبه طوپ قپوسرای رقم ۱/ ۴۹۷ أ الورقه ۱۹ و ذخائر العقبی ص ۵۵ و المعارف لابن قتيبه ص ۸۸.
۲- راجع مستدرک الحاكم ج ۳ ص ۴۸۳، و تلخيصه للذهبی هامش نفس الصفحه، و نور الأبصار ص ۷۶، و الفصول المهمه لابن الصباغ ص ۱۲، و كفايه الطالب للكنجی الشافعی ص ۴۰۶ و ۴۰۷ و مناقب الإمام أمير المؤمنين لابن المغازلی ص ۷ و ذكر ولادته فيها أيضا: أسد الغابه ج ۴ ص ۳۱ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۳۹ و نزهه المجالس ج ۲ ص ۲۰۴. و تذكره الخواص ص ۱۰ و نقله صاحب الغدير ج ۶ ص ۲۲- ۳۸ عن عشرات المصادر مثل: إزاله الخفاء للدهلوی، و الآلوسی فی شرح الخريده الغيبيه، ص ۱۵ و مروج الذهب ج ۲ ص ۲ و شرح الشفا ج ۱ ص ۱۵۱، و المناقب لمحمد صالح الترمذی، و آئينه تصوف ص ۱۳۱۱ و روائح المصطفی ص ۱۰ و كتاب الحسين للسيد علی جلال الدين ج ۱ ص ۱۶، و نقله أيضا عن عشرات

و يقول السيد الحميرى، المتوفى فى سنه ۱۷۳ ه:

ولدته فى حرم الاله و أمنه و البيت حيث فناؤه و المسجد

بيضاء طاهره الثياب كريمهطابت و طاب وليدها و المولد

فى ليله غابت نحوس نجومهاو بدا مع القمر المنير الاسعد

ما لف فى خرق القوابل مثله إلا أبن آمنه النبى محمد

و يقول عبد الباقى العمرى:

أنت العلى الـذى فوق العلى رفعـابـبطن مكه وسط البيت إذ وضـعا و لكن نفوس شانئى على (عليه السـلام)، قـد نفست عليه هـذه الفضـيله التى اختصه اللّه بهـا، فحـاولت تجاهـل كـل أقوال العلمـاء و المؤرخين، و رواه الحـديث و الأـثر، و الضـرب بهـا عرض الجدار، حيث نجدهم- و بكل جرأه و لا مبالاه- يثبتون ذلک لرجل آخر غير على (عليه السلام)، بل و يحاولون التشكيک فى ما ثبت لعلى أيضا، حتى لقد قال فى كتاب النور:

(حكيم بن حزام ولد فى جوف الكعبه، و لا يعرف ذلک لغيره. و أما ما روى من أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء (۱)).۴۰

۱- راجع: السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۳۹، و ذكر ولادتها فيها فى أسد الغابه ج ۲ ص ۴۰

و قال المعتزلی: (کثیر من الشیعه یزعمون: أنه ولد فی الکعبه، و المحدّثون لا یعترفون بذلک، و یزعمون: أن المولود فی الکعبه حکیم بن حزام (۱).

ثم حاول الحلبی و الدیار بکری الجمع و الصلح بین الفریقین، باحتمال ولاده کلیهما فیها (۲).

و لکن کیف یصح هذا الجمع، و نحن نجد عددا ممن قدمنا أسماءهم، و غیرهم ممن ذکرهم العلامه الأمینی فی کتاب الغدیر، و غیره، یصرّون علی أنه لم یولد فی جوف الکعبه سوی علی، لا قبله و لا بعده؟! و أن تلک فضیله اختصه اللّه بها دون غیره من العالمین؟!

و کیف یقبل ذلک الجمع، و نحن نجد الحاکم یصرح بتواتر الأخبار فی ولاده أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی جوف الکعبه؟!. فهل الحاکم بنظر المعتزلی جاهل بالحدیث؟!

و من أین لحدیث ولاده حکیم بن حزام حتی خصوصیه صحه سنده.

فضلا عن أن یکون متواترا و مقطوعا به؟!.

لماذا حکیم بن حزام؟!

و إنما اثبتت هذه الفضیله لحکیم بن حزام؛ لأنه کان للزبیریین فیه هوی؛ فإنه ابن عم الزبیر، و ابن عم اولاده؛ فهو حکیم بن حزام بن خویلد بن أسد بن عبد العزی، و الزبیریون ینتهون أیضا إلی أسد بن عبد العزی.۹.

۱- شرح النهج ج ۱ ص ۱۴.

۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۷۹، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۹.

و لم يسلم حكيم إلا عام الفتح، و هو من المؤلفه قلوبهم. (۱) و كان يحتكر الطعام على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (۲) و عن المامقانى: نقل الطبرى:

أنه كان عثمانيا متصلبا تلكأ عن على (۳)، و لم يشهد شيئا من حروبه (۴).

و إذن فمن الطبيعى أن يروى الزبير بن بكار، و مصعب بن عبد اللّه، (۵) و هما لا شك فى كونهما زبيريى الهوى: أنه لم يولد فى جوف الكعبه سواه، و ذلک على خلاف جميع الأخبار المتواتره، و مخالفه لكل من نص على أنه لم يولد فيها سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) لا قبله و لا بعده؟!.

تجديد بناء الكعبه أعزّها اللّه تعالى:

و يقولون: إن الكعبه قد جاءها سيل جارف تجاوز الردم، الذى كان قد وضع ليمنع من مثل ذلك؛ فدخلها، و صدع جدرانها.

و يقال أيضا: إنها كانت قد احترقت حينما أرادت احدى النساء تبخيرها فطارت شراره إلى ثياب الكعبه فاحترقت جدرانها (۶). ثم جاء السيل بعد ذلک فزاد فى تصدعها حتى خاف الناس عليها.

و يرى البعض: أن هذا الحريق كان فى زمان ابن الزبير.ى.

۱- الإصابه ج ۱ ص ۳۴۹، و الاستيعاب ج ۱ ص ۳۲۰ هامش الإصابه.

۲- وسائل الشيعه كتاب التجاره ص ۳۱۶.

۳- قاموس الرجال ج ۳ ص ۳۸۷ عن تنقيح المقال.

۴- قاموس الرجال ج ۳ ص ۳۸۷.

۵- راجع: الإصابه ج ۱ ص ۳۴۹، و مستدرک الحاكم ج ۳ ص ۴۸۳.

۶- مصنف عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۱۹، و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۳۰۰ كلاهما عن الزهرى.

و رفع الحلبی التنافی باحتمال حصول الحریق مرتین (۱).

و نحن نقول: انه یبدو أن دعوی احتراقها علی هذا النحو الاتفاقی، إنما صیغت للتخفیف من الامتعاض الناشی ء من جرأه الامویین علی بیت اللّه الحرام، حیث إنها قد تصدعت حینما ضربت بالمنجنیق و بالنار من قبلهم، و ترکها ابن الزبیر لیراها الناس محترقه، یحرضهم علی أهل الشام (۲).

و مهما یکن من أمر. فقد اتفقت قریش قبل بعثه النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) علی هدمها، و إعاده بنائها، و أن یرفع بابها، حتی لا یدخلها إلا من شاؤا، و أعدّوا لذلک نفقه طیبه، لیس فیها مهر بغی، و لا بیع ربا، و لا مظلمه مما اخذوه غصبا، أو قطعوا فیه رحما، أو انتهکوا فیه حرمه، أو ذمه (۳).

و بدأت کل قبیله تجمع الحجاره علی حده، و یقولون: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد شارک فی جمع الحجاره. و کان أول من جرأهم علی هدمها هو الولید بن المغیره.

و تجزأت قریش الهدم و البناء، لکل قبیله شق، وجهه معینه. و قد اختلف المؤرخون فی اختصاصات هذه القبائل بتلک الجهات۱.

۱- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۴۱.

۲- صحیح مسلم هامش القسطلانی ج ۶ ص ۱۸، و الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۱۲۴ ط صادر و ذکر فی الکامل عن البخاری قولا ـ آخر، و هو أنها احترقت فی زمن ابن الزبیر، بسبب نار أوقدها أصحابه حولها. و أقول الظاهر أن الأمویین أرادوا رد التهمه فی جنایتهم علی ابن الزبیر و أصحابه.

۳- سیره ابن هشام ج ۱ ص ۲۰۶ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۳۰۱، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۴۱.

و الأجزاء (۱). و لا مجال لتأكيـد أو نفی أی من الأقوال فی ذلک، و لا سيما فی موارد كهـذه، يجهد فيها كل فريق أن ينيل من يميل إليهم بعض الشرف، و مواقف الكرامه.

و أما عن تاريخ بناء البيت فقد اختلفت كلمات المؤرخين فيه، فهذا يقول: إن بناءه كان حين بلوغه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الحلم، أی بعد الفيل ب ۱۵ سنه (۲). و آخر يقول: إنه بنی بعد الفيل بخمس و عشرين سنه (۳). و ثالث يقول: إنه كان بعد الفيل بخمس و ثلاثين سنه، أی قبل البعثه بخمس سنين (۴).

و لعل هذا الأخير هو الاشهر:

وضع الحجر الأسود:

و لما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا: كل قبيله تريـد هی أن تنال شـرف رفعه إلی موضعه. و كاد أن يؤدی الامر بهم إلی السيف، حتی جاء بنو عبد الدار، و بنو عدی بإناء فيه دم؛ فوضعوا أيديهم فيه، و معهم بنو سهم، و بنو مخزوم (۵)، و تحالفوا علی الموت،، فسموا:

(لعقه الدم) (۶). حتی أشار أبو أميه بن المغيره- و الد أم سلمه، أم۳.

۱- راجع: سيره ابن هشام ج ۱ ص ۲۰۷، و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۳۰۲، و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۴۴.
۲- مصنف عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۱۸، و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۳۰۰ عن الزهری
۳- البـدايه و النهايه ج ۲ ص ۳۰۰ عن موسی بن عقبه، عن مجاهـد، و عروه و محمـد بن جبير بن مطعم، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۹ عن تاريخ يعقوب.
۴- السيره النبويه لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۴، و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۳۰۰.
۵- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۴ ص ۱۲۹.
۶- السيره النبويه لابن هشام ج ۱ ص ۲۰۹، و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۳۰۳.

المؤمنين، و أحد أجواد قريش. و يقول البلاذرى: أبو مهشم بن المغيره بأن يحكموا أول داخل عليهم من باب السلام، و هو باب بنى شيبه، أو من باب الصفا على الاختلاف.

فكان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أول داخل. فلما رأوه قالوا: هذا الامين، رضينا، هذا محمد.

و يقول البعض: إنهم كانوا يتحاكمون إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى الجاهليه؛ لأنه كان لا يدارى، و لا يمارى (۱).

فلما أخبروه بالأمر طلب ثوبا، أو بسط إزاره- على الاختلاف- ثم أخذ الحجر؛ فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيله بناحيه من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، فلما حاذوا موضعه أخذه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بيده الشريفه، فوضعه مكانه.

ملاحظات هامه:

۱- إن بنى عبد الدار، و معهم بنو سهم، و مخزوم و عدى قد جاؤا بالدم، فوضعوا أيديهم فيه، و تحالفوا على الموت. و نجد فى مقابل ذلك:

أن بنى عبد مناف قد جاؤا بالغاليه- و هى نوع من الطيب- فوضعوا أيديهم فيها، حينما تحالفوا زمن قصى فى مقابل بنى عبد الدار؛ فسموا حلف المطيبين.

و لبنى عبد مناف حلف آخر هو اكرم و أشرف حلف سمع به فى العرب (۲)، و هو حلف الفضول الذى أمضاه الاسلام، حسبما تقدم. و كان فى مقابلهم حلف الاحلاف، من قبل بنى عبد الدار، و سهم، و جمح، و مخزوم، و عدى، و لا يقصد فى حلفهم إلا الشرف الدنيوى، و لو أريقت الدماء، و ازهقت النفوس.۱.

۱- السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۴۵.

۲- البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۹۱.

و لعل هذا يعكس بوضوح الفرق بين الاتجاهين، و نوعيه التفكير، و مستوى الوعى، و النظره للحياه لدى كل من الفريقين.

و لا نبالغ إذا قلنا: إن من الممكن أن نفهم من مراجعه كتب التاريخ و الانساب: أن بنى عبد مناف، و لا سيما آل أبى طالب كانوا هم رجالات الاسلام، و الهداه إلى الحق، و المجاهدين فى سبيل الدين.

بينما نجد بنى عبد الدار، و المتحالفين معهم أقل تحمسا للدين، و تضحيه فى سبيله، بل و يكثر فيهم المناوؤون له، و الحاقدون عليه.

۲- إن اشتراط قريش: أن تكون نفقه الكعبه طيبه، لا ـ ربا فيها، و لا مظلمه لأحد الخ .. إن دل على شى ء فإنما يدل و لا شك على شعور حقيقى بقبح هذه الامور، و عدم رضا اللّه و الوجدان بها.

و قد يفسر ذلك أيضا باقتضاء الفطره لذلك، و حكم العقل بقبحه.

و نحن،، و إن كنا نعترف بأن ذلك كذلك. بل إن كل احكام الدين موافقه للفطره، و لأحكام العقل، إلا أننا لا بد و أن نضيف هنا: أنه يدل أيضا على بقاء شى ء من تعاليم الحنيفيه فيهم، خصوصا عند قريش، و بنى عبد مناف، و لذلك يلاحظ كثره الاشارات إلى دين ابراهيم، و ما يدل على ايمانهم باللّه فى كلمات عبد المطلب، و أبى طالب (عليهم السلام) كثير.

و ما الخطبه التى ألقاها أبو طالب حينما طلب يد خديجه للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عنا ببعيده.

۳- إن ما تقدم يدل على أن أهل مكه كانوا يتعاملون بالمنطق القبلى حتى فى تعاونهم على بناء البيت، و حمل الحجاره له، و هو أقدس مقدساتهم، و رمز عزهم و مجدهم و كرامتهم. بل و عليه تقوم حياتهم. و إن تحالف لعقه الدم حين الاختصام فيمن يرفع الحجر إلى موضعه، ليعتبر الذروه فى هذا الأمر، الذى يمجه الذوق، و تنبو عنه الفطره، و يرفضه العقل السليم.

۴- و بعد هذا، فإن ما يلفت نظرنا: هو فرح قريش حينما رأوا النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أول داخل عليهم، ثم وصفهم له بأنه (الأمين)، مما يعنى أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يحتل مكانه خاصه فى نفوس الناس فى مكه، حيث تسكن قريش سيده القبائل العربيه كلها، حتى إنهم كانوا يحكّمونه فى كثير مما كان يشجر بينهم، و يضعون كل ثقتهم فيه، حتى لقبوه ب (الأمين). بل اننا نجد:

فى كلمات أبى طالب المتقدمه، خير شاهد على مكانته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و علو منزلته، و شرفه، و سؤوده.

و فى موقف أميه بن خلف فى غزوه بدر دلاله على ذلک أيضا (۱) فراجع.

خرافه انحلال الازار:

هذا، و بعد كل ما تقدم، فإننا نواجه هنا اكذوبه مفضوحه، ليس الهدف منها إلا الحط من كرامه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و الاساءه لمقامه الاقدس، من أولئک الذين لمّا يدخل الايمان فى قلوبهم، و لم يسلموا و انما استسلموا، و أقسموا على العمل على دفن ذكر محمد، و طمس اسمه و دينه. و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون.

و تلک الاكذوبه التى هى واحده من مئات امثالها، مما تقشعر له الابدان، و يشتد له غضب الرحمان، هى التاليه:

روى الشيخان، و غيرهما من المؤلفين فى التاريخ و الحديث، ممن تجمعهم معهما رابطه الدين، و السياسه، و الصنعه- و النص للبخارى-:

(أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان ينقل معهم الحجاره للكعبه، و عليه إزاره، فقال له العباس عمه: يابن أخى لو حللت إزاركه.

۱- سيأتى ذلک فى أوائل غزوه بدر إن شاء اللّه.

فجعلت علی منکبیک دون الحجاره؟ ..

قال: فحلّه، فجعله علی منکبیه؛ فسقط مغشیا علیه. فما رؤی بعد ذلک عریانا (۱)).

و فی روایه أخری للبخاری فی کتاب الحج: (فخر إلی الأرض، فطمحت عیناه، فقال: أرنی ازاری، فشده علیه).

و نحن لا نشک أن ذلک مختلق و مفتعل، و نکتفی بالاشاره هنا إلی ما یلی:

أولاـ إن ثمه تناقض ظاهر بین هذه الروایات، الامر الذی یذکرنا بالمثل المشهور: (لا حافظه لکذوب). و کمثال علی ذلک نذکر:

أن روایه تقول: إن تعریه صلی الله علیه و آله وسلم کان و هو صغیر، حینما کان یلعب مع الصغار، و کلهم قد تعری، و هم أیضا ینقلون الحجاره للعب، فلکمه لاکم لا یراه، و قال: شد علیک إزارک (۲).

و فی أخری: أن ذلک کان حینما کان عمه أبو طالب یصلح زمزم، فأمر بالستر، من قبل متکلم لا یراه (۳).۲.

۱- البخاری، باب کراهیه التعری فی الصلاه ط سنه ۱۳۰۹ ج ۱ ص ۵۰ ص ۱۸۱ و ج ۲ ص ۲۰۳، و صحیح مسلم ط سنه ۱۳۳۴ ه ج ۱ ص ۱۸۴، و مسند أحمد ج ۳ ص ۲۹۵ و ۳۱۰ و ۳۳۳، و ج ۵ ص ۴۵۴ و ۴۵۵، و المصنف ج ۵ ص ۱۰۳ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۸۷ عن الصحیحین و عن البیهقی. و راجع: مرآه الجنان ج ۱ ص ۱۹ و الغدیر ج ۹ ص ۲۸۵ و ۲۸۶ عن البخاری و مسلم و عن السیره النبویه لابن هشام ج ۱ ص ۱۹۷.

۲- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۲ و فتح الباری ج ۷ ص ۱۱۱ عن ابن إسحاق و سیره ابن هشام ج ۱ ص ۱۹۴ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۸۷.

۳- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۴۲ و ۱۲۲.

و ثالثه تذكر: أن ذلك كان حين بناء البيت، و هى المتقدمه. و معنى ذلك أن عمره كان ۳۵ سنه.

و نوع آخر من الاختلاف، و هو: أن النمره قد ضاقت عليه، فذهب يضعها على عاتقه، فبدت عورته، لصغر النمره؛ فنودى: يا محمد، خمر عورتك. فلم ير عريانا بعد ذلك (۱).

و أخرى تقول: إن العباس طلب منه أن يضع إزاره عن عاتقه (۲).

و روايه تقول: صرع. و أخرى: لكم، و ثالثه: اغمى عليه. إلى آخر ما هنالك من وجوه الاختلاف.

طريق جمع فاشل:

و قد حاول العسقلانى و الحلبى الجمع بين الروايات:

فقال العسقلانى: إن النهى السابق لم يكن يفهم منه الشمول لصوره الاضطرار العادى. و حين بناء البيت اضطر إلى ذلك، فرأى أن لا مانع من التعرى حينئذ (۳).

و هكذا يبذل هؤلاء المحاولات لإثبات هذا الأمر الشنيع على الرسول الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لأن ذلك قد ورد فى صحيح البخارى، و هو الكتاب المقدس عندهم، بل هو أصح شى ء بعد القرآن.

بل إن القرآن فيه تحريف و نسخ للتلاوه و غيرها عندهم. أما البخارى فيجل عن ذلك!!۱.

۱- مسند أحمد ج ۵ ص ۴۵۵، و مصنف عبد الرزاق ج ۵ ص ۱۰۳.

۲- ربما يجاب عن ذلك بأن العباس حين رأى ضيق النمره طلب منه ذلك فأجاب، فنودى.

۳- فتح البارى ج ۱ ص ۴۰۱.

مع أنه قد فات العسقلانی هنا: أنه قد جاء فی روایه أبی الطفیل:

(فما رؤیت له عوره قبل و لا بعد) (۱).

هذا کله عدا عن أنه هو نفسه یذکر: أنه صلی الله علیه و آله وسلم کان مصونا عما یستقبح قبل البعثه و بعدها (۲)

ثم جاء الحلبی، و قال: إن من الممکن أن تکون عورته صلی الله علیه و آله وسلم قد انکشفت، لکن لم یرها أحد حتی العباس (۳).

و لکن ما یصنع الحلبی بعباره البخاری، و غیره، و التی تنص علی أنه: ما رؤی بعد ذلک عریانا.

و عباره أبی الطفیل: ما رئیت له عوره قبل و لا بعد.

و ثانیا: و مما یکذب ذلک: ما ورد عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- و کأنه تنبأ عما سوف یقال زورا، و بهتانا عنه-: من کرامتی علی ربی: أن أحدا لم یرعورتی. أو ما هو قریب من هذا (۴).

و ثالثا: لقد قال عنه أبو طالب (علیه السلام)، قبل بناء البیت بعشر سنوات: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لا یوزن برجل إلا رجح به، و لا یقاس به أحد إلا و عظم عنه الخ. فکیف إذن یقدم هذا الرجل العظیم علی التعری أمام الناس، حین حمله الحجاره للکعبه؟!.

و رابعا: إن ثمه روایات تفید: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان۹.

۱- فتح الباری ج ۷ ص ۱۱۱.
۲- فتح الباری ج ۱ ص ۴۰۱.
۳- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۴۲.
۴- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۵۳ و ۵۴ و ۱۴۲. و کنز العمال ج ۱۲ ص ۸۳ عن الطیالسی و الخطیب و ابن عساکر، و الطبرانی و تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۳۵۰ و المعجم الصغیر ج ۲ ص ۵۹.

مصونـا من رؤيه عورته حتى بالنسبه لأزواجه؛ فعن عـائشه: ما رأيت عوره رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم) قط، أو نحو ذلك (۱).

و إن كـانت قـد عادت فـذكرت: أن زيـد بن حارثه قرع الباب، فقام إليه رسول اللّه يجر ثوبه عريانا، قالت: (و اللّه ما رأيته عريانا قبله و لا بعده، فاعتنقه، و قبّله) (۲).

لكن نصا آخر يقول: (فما رأيت جسمه قبلها) (۳). و هذا هو الأقرب إلى الصواب، بملاحظه ما قدمناه و ما سيأتى.

و خامسا: فى حديث الغار: أن رجلا كشف عن فرجه، و جلس يبول، فقال أبوبكر: قد رآنا يا رسول اللّه، قال: لو رآنا لم يكشف عن فرجه (۴).

و هذا يدل على أن المشركين كانوا يستقبحون أمرا كهذا، و لا يقدمون عليه؛ فكيف فعله الرسول الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟!

و سادسـا: لقـد روى أنه صـلى الله عليه و آله وسـلم كـان أشـد حياء من العـذراء فى خـدرها (۵)، فهل العذراء الخجول تستسـيغ لنفسها التعرى أمام الناس.م.

۱- الشفاء لعياض ج ۱ ص ۹۵ و شـرحه للقارى عن ابن ماجه، و الترمذى فى شمائله و حياه الصحابه ج ۲ ص ۶۱۱ عن الترمذى فى الشـمائل ص ۲۶، و لسـان الميزان ج ۲ ص ۹ و السـيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۴۲. و سـنن ابن ماجه ج ۱ ص ۶۱۹ و راجع: صيد الخاطر ص ۴۸۱ و المعجم الصغير ج ۱ ص ۵۳.

۲- حياه الصحابه ج ۲ ص ۵۴۴/ ۵۴۵ عن الترمذى ج ۲ ص ۹۷ و قال: حسن غريـب.

۳- صيد الخاطر ص ۴۸۱.

۴- فتح البارى ج ۷ ص ۱۰، و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۳۷، و البحار ج ۱۹ ص ۷۸ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۱۱.

۵- راجع الغدير ج ۹ ص ۲۸۱، و عن البخارى و مسلم.

و سابعا: عن ابن عباس: کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یغتسل وراء الحجرات، و ما رأی أحد عورته قط (۱).

و ثامنا: و قد عد من خصائصه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): أنه لم تری عورته قط، و لو رآها أحد لطمست عیناه (۲).

فلماذا لم تطمس عینا العباس، الذی کان حاضرا و ناظرا، و شدّ علیه إزاره، و کذا أعین سائر من رآه حین بناء البیت؟! و کذلک لماذا لم تطمس أعین رفقائه الصغار، الذین رأوا منه ذلک و هم یلعبون؟! فإن کانوا قد رأوا، فاللازم هو طمس أعینهم، و إن لم یکونوا قد رأوا، فلماذا هذا الکذب و الافتراء، و سوء الادب، و الجرأه علی مقام النبی الاقدس (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و التفوّه بما یتنافی مع شرفه، و علو منزلته و کرامته، و سؤوده، و تسدید اللّه له. نعوذ باللّه من الخذلان، و من وساوس الشیطان.

و تاسعا: و أخیرا، لقد روی عن أمیر المؤمنین (علیه السلام) قوله:

لیس للرجل أن یکشف ثیابه عن فخذه، و یجلس بین قوم (۳).

فکیف اذن یکشف النبی الاعظم عورته أمام الناس یا تری؟

و أخیرا، فإن ثمه نصوصا أکثر شناعه و قباحه من ذلک، نجلّ مقام النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الاقدس عن ذکرها.

ثوبی حجر!!

و بالمناسبه، فإن أمثال هذه الافتراءات قد تعدت نبینا الاکرم صلی الله علیه و آله وسلم إلی نبی اللّه موسی (علیه السلام) و لکن بنحو أکثر شناعه، و أشد قباحه،۶.

۱- الغدیر ج ۹ ص ۲۸۸ عن شرح المواهب للزرقانی ج ۴ ص ۲۸۴، و عن فتح الباری ج ۶ ص ۴۵۰.
۲- الشفاء للقاضی عیاض ج ۱ ص ۹۵ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۱۴.
۳- البحار ج ۷۵ ص ۴۶۶.

حیث نسبت ذلک إلی فعل اللّه سبحانه به.

فلقد روی البخاری و غیره: أن بنی اسرائیل اتهموا موسی بأنه آدر (أی مصاب بانتفاخ فی خصیته بسبب الفتق) فنزع ثوبه، و وضعه علی حجر و اغتسل. فلما أراد أن یأخذ ثوبه عدا الحجر بثوبه؛ فأخذ موسی عصاه، و طلب الحجر، فجعل یقول: ثوبی حجر، ثوبی حجر، حتی نظرت بنو اسرائیل إلی موسی، فقالوا: و اللّه ما بموسی من بأس، و أخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا.

قال أبو هریره: فو اللّه، إن بالحجر لندبا: ثلاثا، أو اربعا، أو خمسا، فذلک قوله تعالی: لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ آذَوْا مُوسی، فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا، وَ کانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِیهاً (۱).

و لا ندری کیف لم یلتفت موسی إلی نفسه، حتی بلغ مجالس بنی اسرائیل؟!، و ما هو الذی أفقده صوابه حتی خرج عن حیائه و سجیته، التی ذکرتها الروایه: أنه کان حییا ستیرا لا یری من جلده شی ء استحیاء منه؟!.

و لا ندری ما هی حقیقه هذا الحجر العبقری! الذی یهرب من موسی، و یترکه یعدو خلفه؟! و لا ندری کذلک کیف التفت موسی إلی عصاه قبل أن یلحق بالحجر، و ما الذی خطر فی باله آنئذ؟!.

و إذا لم یکن الحجر مأمورا، فما الذی جعله یقوم بهذه العملیه،۳.

۱- البخاری ط سنه ۱۳۰۹ ج ۱ ص ۴۰ و ج ۲ ص ۱۵۸، و مسند أحمد ج ۲ ص ۳۱۵ و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۲۳ عنه و عن عبد الرزاق، و أحمد، و عبد بن حمید، و الترمذی، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم، و ابن مردویه و ابن الأنباری فی المصاحف، و البزار، و الحاکم و صححه، و ابن أبی شیبه، عن أبی هریره، و أنس، و ابن عباس، و تفسیر المیزان ج ۱۶ ص ۳۵۳، و تفسیر القمی ج ۲ ص ۱۹ بسند حسن و لکن نسبه التفسیر إلی القمی مشکوک فیها و مشکل الآثار ج ۱ ص ۱۱ و تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۳۰۹ و تفسیر البرهان ج ۳ ص ۳۳۹. و کشف الأستار ج ۳ ص ۶۶ و مجمع الزوائد ج ۷ ص ۹۳.

و يخرجه عن وضعه الطبيعى؟!، و إذا كان مأمورا، فلماذا لم يدرك موسى ذلک بمجرد تحرک الحجر بثوبه الذى هو أمر خارق للعاده؟. هذا مع كونه يناديه و يخاطبه، حتى كأنه عاقل مدرک لما يقول!!

و أخيرا، فإننى لا أدرى ما هو ذنب هذا الحجر، حتى استحق هذا الضرب الوجيع الذى أثر فيه و جعل فيه ندبا؟! و لماذا لم يعين لنا عدد تلک الندب، فذكرت على نحو الترديد: ثلاثا، أو أربعا، أو خمسا؟!. و فى بعض الروايات: ستا، سبعا؟!.

و إذا كان أبو هريره قد بلغ به النسيان هذا الحد، فكيف استطاع أن يحفظ تلک التفاصيل الدقيقه للقصه نفسها؟!.

ثم كيف استطاع أن يحفظ هذه الآلاف المؤلفه من الاحاديث عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟!.

هذا و تحسن الإشاره هنا إلى أنه لا يرد كثير مما ذكرنا، على روايه القمى التى لم تذكر عصاه، و مناداته، و ضربه للحجر. و لعلها أقرب إلى الاعتبار من تلک الروايه البخاريه.

و قد جاء أن آيه ايذاء موسى، قد نزلت فى طعن بنى اسرائيل على موسى بسبب هارون: لأنه توجه معه إلى زياره، فمات هارون؛ فدفنه موسى؛ فاتهمه بعض بنى اسرائيل بقتله، فبرأه اللّه تعالى بأن أخبرهم جسد هارون بأنه مات و لم يقتل (۱).

حياء عثمان:

هذا، و لا بأس بالمقارنه بين ما يذكر هنا عن نبينا الاعظم (صلى اللّه۲.

۱- فتح البارى ج ۶ ص ۳۱۳ عن ابن مردويه و الطحاوى، و ابن منيع بسند حسن، و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۲۳ عن هؤلاء و عن ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الحاكم، و صححه عن ابن عباس، و مشكل الآثار ج ۱ ص ۱۲.

علیه و آله و سلم) و بین ما یذکر عن حیاء عثمان، حتی إن أبابکر، و عمر لیدخلان علی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و فخذه مکشوفه، فلاـ یسترها، حتی إذا دخل علیه عثمان جلس، و ستر فخذه، و سوی علیه ثیابه؛ فتسأله عائشه؛ فیجیبها بأنه: ألا یستحی من رجل تستحی منه الملائکه؟ أو ما هو قریب من هذا (۱).

هذا، مع أن هذا النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نفسه یأمر و یؤکد باستمرار بالحیاء، و یحث علیه، فیقول: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت.

و یقول: الحیاء من الایمان، و الایمان فی الجنه. إلی غیر ذلک من النصوص الکثیره عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و لا مجال لتتبعها.

کما أن أبا سعید الخدری قد وصف النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بأنه: أشد حیاء من العذراء فی خدرها (۲).

و أیضا، فإنهم ینقلون عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): أنه أمر رجلا۶.

۱- مجمع الزوائد ج ۹ ص ۸۲، و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۲۰۲ عن الطبرانی فی الکبیر، و الأوسط، و مسند أحمد، و أبی یعلی، و تاریخ جرجان ص ۴۱۶، و المصنف ج ۱۱ ص ۲۳۲/ ۲۳۳ و المحاسن و المساوی ج ۱ ص ۶۱ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۶۱۱ و ۶۱۲ عن الأولین و مشکل الآثار ج ۲ ص ۲۸۳/ ۲۸۴، و مسند أحمد ج ۱ ص ۷۱ و ج ۶ ص ۶۲ و ۱۵۵ و ۱۶۷ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۱۶/ ۱۷۷، و الغدیر ج ۹ ص ۲۷۴ و ۲۷۵ و ۲۸۷ و ص ۲۹۰ عن الأخیرین و عن: مصابیح السنه ج ۲ ص ۲۷۳، و الریاض النضره ج ۲ ص ۸۸ و راجع: تأویل مختلف الحدیث ص ۳۲۳ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۸۳ و ۳۸۴ و فیه أحادیث أخری عن حیاء الملائکه من عثمان و مسند أبی یعلی ج ۷ ص ۴۱۵.

۲- البدایه و النهایه ج ۶ ص ۳۶، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۷، عن الطبرانی بإسنادین، رجال أحدهما رجال الصحیح، و صحیح مسلم ج ۷ ص ۸۷، و الغدیر ۹ ص ۲۸۱ عن البخاری باب صفه النبی صلی الله علیه و آله وسلم و عن مسلم، و حیاه الصحابه عن بعض من تقدم و عن الترمذی ص ۲۶.

بستر فخذه؛ فإنها من العوره (۱).

و أما ما يدل على أن ما بين السره و الركبه عوره، فكثير أيضا (۲).

و عن حياء أبی موسی و أبی بكر، و الخدری (۳) هناك نصوص لا مجال لإيرادها فعلا.

و قد قال العلامه الامينی: (هب أن النهی عن كشف الأفخاذ تنزيهی، إلا أنه لا شك فی أن سترها أدب من آداب الشريعه، و من لوازم الوقار، و مقارنات الأبهه، و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أولى برعايه هذا الأدب، الذی صدع به هو الخ) (۴).

أهل الكتاب، و تعرّی الانبياء:

و لا بد أن نشير أخيرا إلى أننا نجد لهذا الأمر أصلا عند أهل الكتاب،۵.

۱- مسند أحمد ج ۵ ص ۲۹۰ و ج ۱ ص ۲۷۵، و صحيح البخاری ج ۱ ص ۵۱ و سنن البيهقی ج ۲ ص ۲۲۸، و الإصابه ج ۳ ص ۴۴۸، و فتح البارى ج ۱ ص ۴۰۳، و نيل الأوطار ج ۲ ص ۵۰، و مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۱۸۰/ ۱۸۱، و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۵۲ عن أحمد و الطبرانی فی الكبير و الغدير ج ۹ ص ۲۸۲ فما بعدها عن من تقدم و عن إرشاد السارى، و ابن حبان فی صحيحه و ليراجع: موطأ مالك، و الترمذی، و أبو داود، و مشكل الآثار ج ۲ ص ۲۸۴ و ۲۸۵ و ۲۸۶ و حتی ص ۲۹۳. و المصنف ج ۱۱ ص ۲۷ و تأويل مختلف الحديث ص ۳۲۳/ ۳۲۴.

۲- راجع: الغدير ج ۹ ص ۲۸۵، و ۲۸۴، و ۲۸۸، ۲۹۰ و ۲۹۱ و ۲۹۲. و المعجم الصغير ج ۲ ص ۹۶. و حياه الصحابه ج ۲ ص ۶۱۲/ ۶۱۳ تجد كثيرا من أقوال العلماء و النصوص حول ذلك.

۳- راجع: طبقات ابن سعد ج ۴ ص ۱۱۳ و ۱۱۴ و الزهد و الرقائق ص ۱۰۷ و ربيع الأبرار ج ۱ ص ۷۶۰ و حياه الصحابه ج ۳ ص ۴۸۲ عن كنز العمال ج ۸ ص ۳۰۶ و ج ۵ ص ۱۲۴ و عن حليه الأولياء ج ۱ ص ۳۴، و الغدير ج ۷ ص ۲۴۸ و ج ۹ ص ۲۸۱.

۴- الغدير ج ۹ ص ۲۸۵.

فلعل الخطه الأمويه الملعونه قد استفادت أصل هذا الموضوع من أهل الكتاب!!.

فقد جاء فی أخریات العشرین من أشعیا: أن اللّه أمر نبیه أشعیا: أن یمشی عریانا و حافیا بین الناس ثلاث سنین، لیبلغ الناس، و یقول لهم: هکذا یسوق ملک آشور سبی مصر، و جلاء کوش الفتیان و الشیوخ عراه و حفاه، و مکشوفی الاستاه، خزیا لمصر.

و جاء فی تاسع التکوین الفقره (۲۱): و شرب نوح من الخمر فسکر، و تعرّی داخل جنانه.

و فی صموئیل الأولی، الاصحاح التاسع عشر، الفقره ۲۳/ ۲۴: (فکان یذهب و یتنبأ، حتی جاء نایوت فی الرامه، فخلع هو أیضا ثیابه، و تنبأ هو أیضا أمام صموئیل، و انطرح عریانا ذلک النهار کله، و کل اللیل، لذلک یقولون:

أشاول أیضا بین الأنبیاء).

ولاده فاطمه بنت الرسول صلی الله علیه و آله وسلم :

یذکر البعض: أن فاطمه الزهراء (علیها السلام)، بنت الرسول الاکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، قد ولدت قبل البعثه، ثم یختلفون- أولئک البعض- فیما بینهم فی تحدید سنه ولادتها، فبعضهم یقول: إنها ولدت سنه بناء الکعبه، أی قبل البعثه بخمس سنین (۱).

و بعضهم یقول: إنها ولدت قبل البعثه بسبع سنین (۲)؛ و قیل (۳):ن.

۱- راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۷۷، و ذخائر العقبی ص ۵۲ و مقاتل الطالبیین ص ۴۸، و سیره مغلطای ص ۱۷ عن ابن الجوزی. و البحار ج ۴۳ ص ۹.

۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۷۸، و ذخائر العقبی ص ۵۲.

۳- المصدران السابقان.

باثنتی عشره سنه (۱).

و القائلون بأنها ولـدت بعد البعثه اختلفوا أيضا، بين قائل: إنها ولدت سـنه البعثه (۲)، و قيـل: فی الثانيه (۳). و قيل: سـنه أحدی و اربعين من عمره الشريف (۴).

القول الحق:

و القول الحق هو مـا عليه شـيعه أهـل البيت تبعـا لأـئمتهم (عليهم السـلام)، و أهـل البيت أدری بما فيه، و تابعهم عليه جماعه من غيرهم،٠.

۱- تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۷، و ذخـائر العقبی ص ۵۲، و المواهب اللـدنيه ج ۱ ص ۱۹۸ و الاستيعـاب هامش الإصابه ج ۴ ص ۳۷۴، و اختاره الحاكم فی المستدرک ج ۳ ص ۱۶۱.

۲- البحار ج ۴۳ ص ۸ عن إقبال الأعمال، عن حـدائق الرياض، للشـيخ المفيد رحمه اللّه و تاريخ الخلفاء: ص ۷۵. و هو مقتضی كلام العسقلانی فی تهذيب التهذيب: ج ۲ ص ۴۴۱ حيث قال: إنها تزوجت فی السنه الثانيه من الهجره و عمرها خمسه عشر سنه و خمسه أشهر و نصفا.

۳- البحار: ج ۴۳ ص ۹، و فی الاستيعاب (بهامش الإصابه): ج ۴ ص ۳۷۴ أنها ولدت سنه إحدی و أربعين من مولد النبی صلی الله عليه و آله وسلم و نهايه الإرب ج ۱۸ ص ۲۱۳.

۴- فی مستدرک الحاكم ج ۳ ص ۱۶۳ ذكر أنها ماتت و عمرها (۲۱) سنه و ولدت علی رأس (۴۱) من مولده صلی الله عليه و آله وسـلم . و كذا فی نهايه الارب ج ۱۸ ص ۲۱۳ و دلائـل النبوه للبيهقی ط دار الكتب العلميه ج ۲ ص ۷۱ و التبيين فی أنساب القرشيين ص ۹۱ و مختصـر تاريخ دمشق ج ۲ ص ۲۶۹ و المواهب اللـدنيه ج ۱ ص ۱۹۸ و الاستيعـاب بهامش الإصابه ج ۴ ص ۳۷۴. و سيره مغلطای ۱۷، و البحار ج ۴۳ ص ۸، و ملحقات احقاق الحق للمرعشی ج ۱۰ ص ۱۱ عن الثغور الباسمه للسيوطی. و راجع: البصائر و الذخائر ج ۱ ص ۱۹۳ و راجع تاريخ اليعقوبی ج ۲ ص ۲۰.

و هو أنها قد ولدت فى السنه الخامسه من البعثه، و توفيت و عمرها ثمانيه عشر عاما (۱).

و يدل على ذلک، أو يؤيده:

۱- ما تقدم فى البحث عن أولاد خديجه، من أن البعض قد ذكر أنهم كلهم قد ولدوا بعد الاسلام باستثناء عبد مناف (۲)، مع العلم بأن فاطمه (عليه السلام) كانت أصغر أولاده (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و يدل على ذلک: أنه قد ذكر فى الاستيعاب فى ترجمه خديجه: أن الطيب قد ولد بعد النبوه، و ولدت بعده أم كلثوم، ثم فاطمه.

۲- و يدل على أنها قد ولدت بعد البعثه روايات كثيره، أوردها جماعه من العلماء، على اختلاف نحلهم و مشاربهم، تدل على أن نطفتها قد انعقدت من ثمر جاء به جبرئيل إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من الجنه، حين الاسراء و المعراج، و ذلک مروى عن عدد من الصحابه، منهم: عائشه، و عمر بن الخطاب، و سعد بن مالک، و ابن عباس، و غيرهم (۳).ج.

۱- ذخائر العقبى ص ۵۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۸ نقلا عن الإمام أبى بكر أحمد بن نصر بن عبد اللّه الدراع فى كتاب تاريخ مواليد أهل البيت و مروج الذهب: ج ۲ ص ۲۸۹، و البحار ج ۴۳ ص ۱- ۱۰ عن الكافى بسند صحيح، و المصباح الكبير، و دلائل الإمامه، و مصباح الكفعمى، و الروضه، و مناقب ابن شهر آشوب، و فى الأخيرين: أنها ولدت بعد البعثه بخمس سنين، و بعد الإسراء بثلاث سنين، و كذا فى كشف الغمه: ج ۲ ص ۷۵، و إثبات الوصيه للمسعودى، و غير ذلک.

۲- راجع: البدء و التاريخ ج ۵ ص ۱۶، و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۹۶، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۲.

۳- تجد بعض هذه الروايات فى كتب الشيعه، مثل: البحار ج ۴۳ ص ۴ و ۵ و ۶ عن أمالى الصدوق، و عيون أخبار الرضا، و معانى الأخبار، و علل الشرائع، و تفسير القمى، و الاحتجاج و غير ذلک. و الأنوار النعمانيه ج ۱ ص ۸۰. و فى كتب غيرهم مثل: المستدرک على الصحيحين: ج ۳ ص ۱۵۶، و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه)، و نزل الأبرار: ص ۸۸، و الدر المنثور: ج ۴ ص ۱۵۳، و تاريخ بغداد: ج ۵ ص ۸۷، و المناقب لابن المغازلى: ص ۳۵۷. تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۷۷، و ذخائر العقبى ص ۳۶ و لسان الميزان ج ۱ ص ۱۳۴ و اللآلى المصنوعه ج ۱ ص ۳۹۲- ۳۹۴، و نقله النجفى فى ملحقات إحقاق الحق ج ۱۰ ص ۱- ۱۰ عن بعض من تقدم و عن ميزان الاعتدال و الروض الفائق، و نزهه المجالس، و مجمع الزوائد، و كنز العمال، و منتخبه، و محاضره الأوائل. و مقتل الحسين للخوارزمى، و مفتاح النجاه، و المناقب لعبد اللّه الشافعى، و إعراب ثلاثين سوره، و اخبار الدول. و ستأتى بغيه المصادر حين الكلام حول تاريخ الإسراء و المعراج.

و إذا أمكنت المناقشه فی بعض تلک الروایات فإن البعض الآخر لا مجال للنقاش فیه.

و یؤیـد ذلک أیضا: أن النسائی قـد روی: أنه لما خطب أبو بکر و عمر فاطمه ردّهما (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم)، و قال لهما: إنها صغیره (۱). فلو کان عمرها سبع عشره سنه أو أکثر، فلا یقال: إنها صغیره.

و یؤیـده أیضا: ما روی من أن خـدیجه رحمها اللّه کانت قد هجرتها نساء قریش، فلما حملت بفاطمه کانت تحدثها من بطنها، و تصبّرها (۲).

بقی أن نشیر إلی أن استبعاد حمل خدیجه بفاطمه فی السنه الخامسه من البعثه؛ لأن سن خدیجه کان حینئذ عالیا- هذا الاستبعاد-

.

فی غیر محله؛ لما تقـدم، من أن سن خـدیجه حینئـذ کان ما بین ۴۵ حتی ۵۰ سـنه بناء علی عـدد من الأقوال فی مقدار عمرها، و لعل من بینها ما هو الأقوی، و إن کان المشهور خلافه.۲.

۱- راجع: خصـائص أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب: ص ۱۱۴، و المناقب لابن شهر اشوب: ج ۳ ص ۳۴۵، و تذکره الخواص: ص ۳۰۶/ ۳۰۷.

۲- البحار ج ۴۳ ص ۲.

و حتی علی هذا المشهور؛ فإن عمر خدیجه حینئذ کان لا یأبی عن الحمل؛ فإن القرشیه یستمر حیضها إلی الستین، کما هو مقرر فی الفقه.

و هذا یعنی أن قابلیه الحمل موجوده أیضا، کما هو ظاهر.

و مما ذکرناه، و من قول المصباح: (و العامه تروی: أن مولدها کان قبل المبعث بخمس سنین) (۱)، نعرف: أن المسعودی قد اشتبه فی نسبه القول بالتسع و العشرین إلی أکثر أهل البیت و شیعتهم (۲). و لعله سهو من قلمه، أو عمد أو سهو من النساخ، بحیث کان فی الاصل تسع عشره، فبدل إلی تسع و عشرین.

و بعد کل ما تقدم؛ فإنه إذا کانت فاطمه قد ولدت فی السنه الخامسه من البعثه؛ فإنها تکون قد توفیت و عمرها ثمانیه عشر عاما فقط، کما هو ظاهر.٠.

۱- البحار ج ۴۳ ص ۲ و لیراجع حتی ص ۱۰

۲- التنبیه و الإشراف ص ۲۵۰.

الفصل الخامس: بحوث تسبق السيره

اشاره

البحث الأول: إيمان آباء النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی آدم (ع):

اشاره

قالوا: إن کلمه الامامیه قد اتفقت علی أن آباء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، من آدم إلی عبد اللّه کلهم مؤمنون موحدون (۱). بل و یضیف المجلسی قوله: (... بل کانوا من الصدیقین، إما انبیاء مرسلین، أو أوصیاء معصومین، و لعل بعضهم لم یظهر الاسلام، لتقیه، أو لمصلحه دینیه). (۲)

و یضیف الصدوق هنا: أن أم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) آمنه بنت وهب کانت مسلمه أیضا (۳).

و معنی ذلک: هو أنه لیس فی آباء الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلا الخیر و البرکه، و هذا هو ما ورثه الرسول عنهم، و یتأکد بذلکر.

۱- راجع: أوائل المقالات ص ۱۲، و تصحیح الاعتقاد ص ۶۷، و تفسیر الرازی ج ۲۴ ص ۱۷۳ ط دار الکتب العلمیه بطهران و فی طبعه أخری ج ۴ ص ۱۰۳، و البحار ج ۱۵ ص ۱۱۷، و مجمع البیان ج ۴ ص ۳۲۲، و لیراجع البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۸۱.
۲- البحار ج ۱۵ ص ۱۱۷.
۳- نفس المصدر.

طهارته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من الأرجاس، و الرذائل، حتی ما یکون عن طریق الوراثه، و الناس معادن کمعادن الذهب و الفضه، و هو ما أثبته العلم الحدیث أیضا، حیث لم یبق ثمه أیه شبهه فی تأثیر عامل الوراثه فی تکوین شخصیه الإنسان، و فی خصاله و مزایاه.

قال ابو حیان الاندلسی: (ذهبت الرافضه إلی أن آباء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کانوا مؤمنین) (۱).

أما غیر الامامیه، فذهب اکثرهم إلی کفر والدی النبی و غیرهما من آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و ذهب بعضهم إلی ایمانهم.

و ممن صرح بایمان عبد المطلب، و غیره من آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، المسعودی، و الیعقوبی، و هو ظاهر کلام الماوردی، و الرازی فی کتابه اسرار التنزیل، و السنوسی، و التلمسانی محشی الشفاء، و السیوطی، و قد ألف هذا الاخیر عده رسائل لإثبات ذلک (۲).

و فی المقابل قد الف بعضهم رسائل لإثبات کفرهم، مثل ابراهیم الحلبی، و علی القاری الذی فصّل ذلک فی شرح الفقه الاکبر، و اتهموا السیوطی بأنه متساهل، لا عبره بکلامه، مالم یوافقه کلام الائمه النقاد.

و سیأتی فی آخر هذا البحث إن شاء اللّه تعالی ما یشیر إلی السبب فی الإصرار علی کفر آباء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و أعمامه.).

۱- تفسیر البحر المحیط ج ۷ ص ۴۷.

۲- رسائل السیوطی، هی التالیه: ۱- مسالک الحنفا. ۲- الدرج المنیفه فی الآباء الشریفه. ۳- المقامه السندسیه فی النسبه المصطفویه. ۴- التعظیم و المنه فی أن أبوی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی الجنه. ۵- السبل الجلیه فی الآباء العلیه. ۶- نشر العلمین المنیفین. فی إثبات عدم وضع حدیث إحیاء أبویه صلی الله علیه و آله وسلم و إسلامهما علی یدیه صلی الله علیه و آله وسلم .

بعض الأدله علی إیمانهم:

و قد قال الإمامیه: إن ثمه روایات کثیره تدل علی ایمان آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، بالاضافه إلی اجماع الطائفه المحقّه، و هذا الإجماع و إن کان معلوم المستند، فلا بد من النظر إلی مستنده نفسه، و مستند ذلک هو الاخبار. و الاحاطه بجمیعها متعسر، إن لم یکن متعذرا (۱).

و هذا هو الدلیل المعتمد.

و قد استدلوا علی ذلک ایضا:

۱- بقوله (صلی اللّه علیه و آله و سلم): (لم یزل ینقلنی اللّه من أصلاب الطاهرین إلی ارحام المطهرات، حتی اخرجنی فی عالمکم، و لم یدنسنی بدنس الجاهلیه). (۲)

و لو کان فی آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کافر، لم یصفهم کلهم بالطهاره، مع قوله تعالی: (إِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ). (۳)

إلا أن یکون المقصود هو الطهاره من العهر، أو من الأرجاس و الرذائل، و هو لا یلازم الکفر.ه.

۱- ذکر طائفه منها العلامه المجلسی رحمه اللّه فی البحار: ج ۱۵، و السیوطی فی رسائله المشار إلیها، فراجع رساله السبل الجلیه: ص ۱۰ فما بعدها، و راجع أیضا: السیره الحلبیه، و غیر ذلک و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۳۴ فما بعدها.
۲- مجمع البیان ج ۴ ص ۳۲۲، و البحار ج ۱۵ ص ۱۱۷ و ۱۱۸ و تفسیر الرازی ج ۲۴ ص ۱۷۴ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۳۰، و الدر المنثور ج ۵ ص ۹۸، و سیره دحلان ج ۱ ص ۱۸ و تصحیح الاعتقاد ص ۶۷ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۳۴ و تفسیر البحر المحیط ج ۷ ص ۴۷.
۳- راجع: المصادر المتقدمه.

۲- و استدلوا علی ذلک ایضا بقوله تعالی: (الَّذِی یَراکَ حِینَ تَقُومُ، وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِینَ) (۱). لما روی عن ابن عباس، و أبی جعفر، و أبی عبد اللّه (علیهما السلام): انه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یزل ینقل من صلب نبی إلی نبی.

و یمکن المناقشه فی ذلک أیضا: بأن الآیه تقول: إنه تعالی یراه حال عبادته و سجوده؛ فهو (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی جمله الساجدین الموجودین فعلا، و غیرهم.

لا أنه یراه و هو یتقلب فی أصلاب الانبیاء.

و لو ثبتت الروایه، فیمکن القول بانها لا تدل علی استغراق ذلک لجمیع آبائه؛ فلعله یری تقلبه فی أصلاب الانبیاء من آبائه، کما یری تقلبه فی أصلاب غیر الانبیاء.

هذا، عدا عن أن من الصعب جدا اثبات نبوه جمیع آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی آدم (علیه السلام).

و أما أدله غیر الامامیه فقد استقصاها السیوطی فی رسائله المشار الیها، ولکن استعراضها و الاستقصاء فیها نقضا و ابراما یحتاج إلی وقت طویل، و تألیف مستقل.

۳- و یمکن أن یستدل علی ایمان آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی إبراهیم بقوله تعالی، حکایه لقول إبراهیم و إسماعیل: (وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ، وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ) (۲)، مع قوله تعالی:۸.

۱- الشعراء ۲۱۸/ ۲۱۹ و راجع تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۳۴ و ۲۳۵ و تفسیر البحر المحیط ج ۷ ص ۴۷.

۲- البقره: ۱۲۸.

(وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِی عَقِبِهِ (۱))، أی فی عقب ابراهیم، فیـدل علی أنه لا بد أن تبقی کلمه اللّه فی ذریه ابراهیم، و لا یزال ناس منهم علی الفطره یعبـدون اللّه تعالی حتی تقوم الساعه. و لعل ذلک اسـتجابه منه تعالی لدعاء ابراهیم الذی قال: (وَ اجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ (۲)) و قوله:

(رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاهِ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی (۳)).

و واضح أنه: لو أنه تعالی قد اسـتجاب لابراهیم فی جمیع ذریته لما کان ابو لهب من أعظم المشـرکین، و اشدهم علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم). و هذا ما یفسر الاتیان بمن التبعیضیه فی قوله: (وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی).

استغفار ابراهیم (ع) لابیه:

و قد اعترض علی القائلین بایمان جمیع آبائه (صـلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی آدم، بأن القرآن الکریم ینص علی کفر آزر أبی ابراهیم، قال تعالی: (وَ ما کانَ اسْـتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِـدَهٍ وَعَدَها إِیَّاهُ، فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ حَلِیمٌ) (۴).

و أجابوا:

أولا: إن إبن حجر یـدعی اجماع المؤرخین علی أن آزر لم یکن أبا لابراهیم، و إنما کان عمه، أو جده لأمه، علی اختلاف النقل (۵) و إسم أبیه.

۱- الزخرف: ۲۸.

۲- ابراهیم: ۳۵.

۳- ابراهیم: ۴.

۴- التوبه: ۱۱۴.

۵- راجع: السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۳۷، و راجع: الدر المنثور للعاملی: ج ۱ ص ۱۶۰.

الحقیقی: تارخ (۱)، و انما اطلق علیه لفظ الاب توسعا، و تجوزا و هذا کقوله تعالی: (أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ؛ إِذْ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی؟ قالُوا: نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ (۲)). ثم عد فیهم اسماعیل، و لیس من آبائه؛ و لکنه عمه.

و قد ذکر بعض العلماء: أن اسم آزر لم یذکر فی القرآن إلا مره واحده فی أول الأمر، ثم لم یتکرر إسمه فی غیر ذلک المورد، تنبیها علی أن المراد بالأب: آزر.

و ثانیا: إن استغفار ابراهیم لابیه قد کان فی اول عهده و فی شبابه، مع أننا نجد أن إبراهیم حین شیخوخته، و بعد أن رزق أولادا، و بلغ من الکبر عتیا یستغفر لوالدیه، قال تعالی حکایه عنه: رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ، یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ (۳) قال هذا بعد أن وهب اللّه له علی الکبر اسماعیل و اسحاق حسب نص الآیات الشریفه. (۴) مع أن الآیه تفید: أن الإستغفار الأول قد تبعه التبرّؤ مباشره.

و لکن من الواضح: أن بین الوالد و الأب فرقا، فإن الأب یطلق علی المربی و علی العم و الجد، أما (الوالد) فإنما یخص الوالد بلا واسطه.

فالإستغفار الثانی إنما کان للوالد، أما الأول فکان للأب.

و ثالثا: إنه یمکن أن یکون ذلک الذی استغفر له، و تبرأ منه، قد عاد إلی الایمان، فعاد هو إلی الاستغفار له.

هذا، ولکن بعض الأعلام (۵) یری: أن اجماع المؤرخین علی أن أبای.

۱- الدر المنثور للعاملی: ج ۱ ص ۱۶۰ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۳۵ و ۲۳۶.

۲- البقره ۱۳۳.

۳- ابراهیم ۴۱.

۴- راجع: تفسیر المیزان ج ۱۲ ص ۷۸/ ۷۹.

۵- هو العلامه المحقق السید مهدی الروحانی.

ابراهیم لیس آزر منشؤه التوراه، التی تـذکر ان اسم أبی ابراهیم هو: (تارخ). ثم ذکر ما اسـتظهرناه نحن أیضا من أن من الممکن أن یکون نفس والد إبراهیم قد کان مشـرکا یجادله فی الایمان باللّه، فوعده بالاستغفار له، و وفی بوعده، ثم عاد فآمن بعد ذلک فکان یدعو له بعد ذلک أیضا حتی فی أواخر حیاته هو کما اسلفنا.

و هذا الإحتمال و إن کان واردا حیث لا ملزم لحمل الأب فی القرآن، و الوالد علی المجاز.

إلاـ أنه ینـافی الإجمـاع و الأخبـار؛ فلاـ محیص عن الإـلتزام بما ذکرناه آنفا من أن المراد بالأب هو العم و المربی، لا الوالـد علی الحقیقه. مع عدم قبولنا منه قوله: إن استعمال الاب فی العم المربی، یکون مجازا.

ان أبی و أباک فی النار:

روی مسـلم و غیره: أن رجلا سأل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم): أین أبی؟ فقال: فی النار. فلما قفا دعاه، و قال له: إن أبی و أباک فی النار (۱).

و نقول: إن هذا لا یصح.

أولا: لما تقدم. مما یدل علی إیمان جمیع آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و ثانیا: لقد روی هذه الروایه حماد بن سلمه، عن ثابت، عن أنس.۲.

۱- راجع بالإضافه إلی صـحیح مسلم: صفه الصفوه ج ۱ ص ۱۷۲ عن مسلم و الإصابه ج ۱ ص ۳۳۷ عن ابن خزیمه، و سنن أبی داود المطبـوع مع عون المعبود ج ۱۲ ص ۴۹۴، و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۸۰ عن مسلم و مسالک الحنفا ص ۵۴ عن مسلم و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۳۲.

مع أننا نجد: أن معمرا قد روی نفس هذا الحدیث عن ثابت عن أنس، و لکن بنحو آخر لا یدل علی کفر أبیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فقد قال له (صلی اللّه علیه و آله و سلم): (حیثما- أو إذا- مررت بقبر کافر فبشره بالنار (۱)).

و قد نص علماء الجرح و التعدیل- من اصحاب هؤلاء الرواه- علی أن معمرا أثبت من حماد. و أن الناس قد تکلموا فی حفظ حماد، و وقع فی احادیثه مناکیر، دسّها ربیعه فی کتبه، و کان حماد لا یحفظ، فحدث بها، فوهم فیها (۲).

و ثالثا: لقد رویت هذه الروایه بسند صحیح علی شرط الشیخین عن سعد بن ابی وقاص، و جاء فیها: حیثما مررت بقبر کافر فبشره بالنار (۳).

و کذا أیضا روی عن الزهری، بسند صحیح أیضا (۴)

و رابعا: کیف یکون أبواه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و أبو طالب، و عبد المطلب، و غیرهم، فی النار حسب اصرار هؤلاء، ثم یکون ورقه بن نوفل، الذی أدرک البعثه، و لم یسلم، فی الجنه علیه ثیاب السندس (۵).

و کذلک فان زید بن عمرو بن نفیل- ابن عم عمر بن الخطاب- فی الجنه یسحب ذیولا، مع أنه مثل ورقه الآنف الذکر (۶). کما أن أمیه بن أبی ۱.

۱- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۵۰/ ۵۱، مسالک الحنفا ص ۵۴/ ۵۵.

۲- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۵۱، و مقدمه فتح الباری ص ۳۹۷، و تهذیب التهذیب ج ۳ ص ۱۲- ۱۵. و مسالک الحنفا ۵۵.

۳- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۵۱ عن البزار، و الطبرانی، و البیهقی، و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۸۰. عن البیهقی، و مسالک الحنفا ص ۵۵ عنهم و ص ۵۶ عن ابن ماجه.

۴- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۴۵۴.

۵- سیأتی بعض الحدیث عن ورقه حین الکلام علی روایات بدء الوحی فانتظر.

۶- السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۳۹ و ۱۶۸ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۳۷- ۲۴۱.

الصلت كاد يسلم فی شعره، و هكذا؟!. (۱)

و كيف تطرح كل تلك الاحاديث و التواريخ المتضافره، المتواتره الدالّه على ايمان أولئك، و يتشبث لايمان هؤلاء ببيت شعر، أو بكلمه عابره، لم يتبعها إلا التصميم على النهج الأول؟!.

نعم، و كيف لا يكون لهؤلاء نجاه و يكونون فی النار (۲)، ثم يدخل المشركون الذين عاشوا فی زمن الفتره الجنه؟! فقد ذكر الحلبی و دحلان و غيرهما: أن أهل الفتره لا عذاب عليهم إلا على قول ضعيف، مبنی على وجوب الايمان و التوحيد بالعقل، و الذی عليه اكثر أهل السنّه و الجماعه:

أنه لا يجب ذلك إلا بارسال الرسل.

و اطبق الأشاعره فی الاصول، و الشافعيه فی الفقه على أن من مات و لم تبلغه الدعوه مات ناجيا، و يدخل الجنه؛ فعليه أهل الفتره من العرب لا تعذيب عليهم، و إن غيّروا، أو بدّلوا، أو عبدوا الأصنام، و الاحاديث الوارده بتعذيب من ذكر مؤوّله (۳).

و بهذا، و بالاحاديث المتواتره يرد ما زعموه من أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد منع من الاستغفار لأمه رضوان اللّه تعالى عليها، و إن كنا نحن نعتقد أن اهل الفتره يعذبون إذا قامت عليهم الحجه العقليه أو النقليه إلا القاصرين منهم؛ فان التوحيد يثبت بالعقل لا بإرسال الرسل، و إلا، لم يمكن اثبات شی ء على الاطلاق، لا التوحيد، و لا النبوه، و لا الدين من الأساس.ی.

۱- الأغانی ط ساسی ج ۳ ص ۱۹۰.
۲- عون المعبود ج ۱۲ ص ۴۹۴، و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۸۱ عن دلائل النبوه للبيهقی.
۳- السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۳۲/ ۳۳، و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۰۶/ ۱۰۷، و هذا هو رأی ابن حجر الهيتمی، و المناوی، و السيوطی.

غريبه:

و من غريب الأمر هنا: أن نجد البعض يوجه روايه: إن أبى و أباك فى النار، بأن المقصود هو عمه أبو طالب؛ لأن العرب تسمى العم أبا، و قد كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ينسب بالبنوه إلى ابى طالب (۱).

و لا ندرى لماذا ترك عمه أبا لهب لعنه اللّه تعالى. فان كفره مسلم و مقطوع به، و تمسك بالمدافع عنه، و المناصح له، و الباذل مهجته فى سبيل نبيه و دينه- و سوف يأتى إن شاء اللّه أن ايمان أبى طالب هو المسلم و المقطوع به. بل هو كالنار على المنار، و كالشمس فى رابعه النهار.

و يكفى أن نذكر أن العظيم آبادى قد قال هنا: و هذا أيضا كلام ضعيف باطل (۲).

ملاحظه:

و يلاحظ هنا أن فى عباره الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) المتقدمه فى حديث: (حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار) توريه لطيفه؛ حيث إن عبارته هذه قد خففت من تأثر السائل. و هى فى نفس الوقت صادقه المضمون، و لا تدل على كفر أبيه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ إذ أن من الطبيعى أن الكافر مبشر بالنار. و أما أن أباه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كافر أولا؛ فذلك مسكوت عنه.

و الغريب هنا: أنه قد روى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد قال ذلك عن أمه رحمها اللّه، فقد قال لرجلين: أمى و أمكما فى النار.۵.

۱- عون المعبود ج ۱۲ ص ۴۹۴/ ۴۹۵ عن السندى، و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۵۱، و مسالك الحنفا ص ۵۸.

۲- عون المعبود ج ۱۲ ص ۴۹۵.

و نحن لا نزید علی أن نذکر هنا أن الذهبی قد حلف علی عدم صحه هذا الحدیث. یعنی حدیث کون أمه و أمهما فی النار (۱).

و أخیرا: فإننا نکاد نصدق مقوله: أن السبب فی تکفیر آباء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و أعمامه هو مشارکه علی (علیه السلام) له فیهم، أو أنهم یریدون أن لا یکون آباء الخلفاء من بنی أمیه و من غیرهم، و آباء رجالات الحکم و أعوانه کفارا، و یکون آباء النبی و أهل بیت النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) مؤمنین، فلا بد من سلب هذه الفضیله عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لیستوی هو و غیره فی هذا الأمر.

البحث الثانی بماذا کان یدین النبی صلی الله علیه و آله وسلم قبل البعثه:

اشاره

إن ایمان النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و توحیده قبل بعثته یعتبر من المسلمات، و لکن یبقی: أنهم قد اختلفوا فی أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هل کان متعبدا بشرع أحد من الانبیاء قبله او لا. فهل هو متعبد بشرع نوح، أو ابراهیم، أو عیسی، أو بما ثبت أنه شرع، أو لم یکن متعبدا بشرع أحد؟ ذهب إلی کلّ فریق (۲).

و توقف عبد الجبار، و الغزالی، و السید المرتضی.

و ذهب المجلسی إلی أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) حسبما صرحت به الروایات: کان قبل البعثه، مذ اکمل اللّه عقله فی بدو سنه۴.

۱- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۰۶ و مسالک الحنفا ص ۵۲.

۲- راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۵۴.

نبیا، مؤیدا بروح القدس (۱)، یکلمه الملک، و یسمع الصوت، و یری فی المنام، ثم بعد أربعین سنه صار رسولا، و کلمه الملک معاینه، و نزل علیه القرآن، و أمر بالتبلیغ. و قال المجلسی: إن ذلک ظهر له من الآثار المعتبره، و الاخبار المستفیضه (۲).

و قد استدلوا علی نبوته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) منذ صغره بأن اللّه تعالی قد قال حکایه عن عیسی: إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ، وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا، وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ، وَ أَوْصانِی بِالصَّلاهِ وَ الزَّکاهِ ما دُمْتُ حَیًّا (۳).

و یقول تعالی عن یحیی (علیه السلام): وَ آتَیْناهُ الْحُکْمَ صَبِیًّا (۴) فإذا أضفنا إلی ذلک: أنه قد ورد فی أخبار کثیره بعضها صحیح، کما فی روایه یزید الکناسی فی الکافی: إن اللّه لم یعط نبیا فضیله، و لا کرامه، و لا معجزه، إلا أعطاها نبینا الاکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

فان النتیجه تکون: هی أن اللّه تعالی قد اعطی نبیا محمدا (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الحکم و النبوه منذ صغره (۵)؛ ثم أرسله للناس کافه، حینما بلغ الاربعین من عمره ... و قد أید المجلسی هذا الدلیل بوجوه کثیره (۶).۱.

۱- و کان عیسی أیضا مؤیدا بروح القدس؛ قال تعالی: (وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) و لو لم یکن نبینا صلی اللّه علیه و آله و سلم مؤیدا بروح القدس، لکان یحیی و عیسی أفضل منه صلی اللّه علیه و آله و سلم.

۲- البحار ج ۱۸ ص ۲۷۷.

۳- مریم: ۳۰.

۴- مریم: ۱۲.

۵- راجع: البحار ج ۱۸ ص ۲۷۸/ ۲۷۹.

۶- راجع: البحار: ج ۱۸ ص ۲۷۷- ۲۸۱.

و یمکن المناقشه فی ذلک بأن إعطاءه صلی الله علیه و آله وسلم فضائل الانبیاء و معجزاتهم الوارده فی الروایه لا یستلزم ما یراد اثباته هنا؛ فان بعض معجزاتهم لم یکن ثمه حاجه إلیها فی زمانه (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

نعم هی واقعه تحت اختیاره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و لو احتاجها لاستفاد منها جمیعا. و أما الفضائل فقد کان (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هو الجامع لها علی النحو الاکمل و الاشمل فی جمیعها، حتی انه إذا کان أیوب قد امتاز علی غیره من الانبیاء بالصبر، فان صبر نبینا (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان اکمل من صبر أیوب، و هکذا بالنسبه لسائر الانبیاء، و امتیازاتهم فی الفضائل، و مکارم الاخلاق.

و أما الکرامات، فان الظاهر هو أن المقصود بها نفس المعجزات، فان اللّه تعالی قد اکرمه بها.

و مع الغض عن کل ذلک، فانه لا بد من ثبوت تلک الأخبار؛ لیمکن الحکم بمضمونها، بعد تسلیم دلالتها بشکل قطعی و نهائی.

نعم ثمه روایات کثیره تلمح و تصرح بنبوته قبل بعثته، أشار إلیها المجلسی کما قلنا، و أشار العلامه الأمینی أیضا إلی حدیث: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان نبیا و آدم بین الروح و الجسد، و رواه عن العدید من المصادر من غیر الشیعه (۱).

و لکن لا یمکن الحکم بمضمون هذه الروایات إلا بعد التأکد من اسانیدها و دلالتها، و ثبوت ذلک بشکل قطعی، حیث إنه یراد إثبات أمر إعتقادی بها، و المطلوب فی الإعتقادات هو القطع، و لا یکفی ما دونه.

و بعد کل ما تقدم، فان ما نستطیع نحن الجزم به، هو انه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان مؤمنا موحدا، یعبد اللّه، و یلتزم بما ثبت له أنه شرع۷.

۱- راجع: الغدیر: ج ۹ ص ۲۸۷.

اللّه تعالى مما هو من دين الحنيفيه شريعه إبراهيم (عليه السلام)، و بما يؤدى إليه عقله الفطرى السليم، و أنه كان مؤيدا و مسددا، و أنه كان أفضل الخلق و اكملهم خلقا، و خلقا و عقلا.

و كان الملك يعلمه، و يدله على محاسن الأخلاق.

كما أننا نجدهم ينقلون عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): انه كان يلتزم بأمور لا تعرف إلا من قبل الشرع و كان لا يأكل الميته، و يلتزم بالتسميه و التحميد، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرته صلوات اللّه عليه.

ملّه ابيكم ابراهيم:

بل إننا نقول: إن هناك آيات و دلائل تشير إلى أن إبراهيم الخليل (عليه السلام) و نبينا الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، هما اللذان كان لديهما شريعه عالميه، و قد بعثا إلى الناس كافه.

أما موسى و عيسى (عليهما السلام) فإنما بعثا إلى بنى اسرائيل.

و قد حرصت الآيات القرآنيه العديده على ربط هذه الأمه بإبراهيم (عليه السلام) فلاحظ قوله تعالى: وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ (۱).

و قال تعالى: وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ، وَ اتَّبَعَ مِلَّهَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً (۲).

و قال سبحانه: قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّهَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً (۳).۵.

۱- الحج: ۷۸.

۲- النساء: ۱۲۵.

۳- آل عمران: ۹۵.

و قال جل و علا: إِنَّ أَوْلَی النَّاسِ بِإِبْراهِیمَ لَلَّذِینَ اتَّبَعُوهُ، وَ هذَا النَّبِیُّ، وَ الَّذِینَ آمَنُوا (۱).

و قال تعالی: وَ قالُوا: کُونُوا هُوداً أَوْ نَصاری تَهْتَدُوا. قُلْ: بَلْ مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۲).

ثم نجد القرآن یصرح أیضا أن النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) شخصیا کان مأمورا أیضا باتباع مله ابراهیم (علیه السلام)، فقد قال سبحانه:

ثُمَّ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ: أَنِ اتَّبِعْ مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً، وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۳).

و قال فی موضع آخر: قُلْ: إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ، دِیناً قِیَماً مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۴).

و هذا، و إن کان ظاهره: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أمر بذلک بعد البعثه و بعد نزول الوحی علیه، لکنه یثبت أیضا: أنه لا مانع من تعبده صلی الله علیه و آله وسلم قبل بعثته بما ثبت له أنه من دین الحنیفیه، و من شرع إبراهیم (علیه السلام)، و لیس فی ذلک أیه غضاضه، و لا یلزم من ذلک أن یکون نبی اللّه إبراهیم أفضل من نبینا (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فإن التفاضل إنما هو فی ما هو أبعد من ذلک.

هذا کله، لو لم نقتنع بالادله الداله علی نبوته صلی الله علیه و آله وسلم من صغره (صلی اللّه علیه و آله و سلم).۱.

۱- آل عمران: ۶۸.

۲- البقره: ۱۳۵.

۳- النحل: ۱۲۳.

۴- الأنعام: ۱۶۱.

و وجدک ضالا فهدی:

و بعد ما تقدم نقول: إن قوله تعالی: ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ (۱) و قوله سبحانه: وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی (۲) لا یدل علی وجود ضلاله فعلیه و لا علی وجود جهل فعلی قبل النبوه.

بل غایه ما یدل علیه هو أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لولا هدایه اللّه له لکان ضالا و لولا تعلیم اللّه له لکان جاهلا. أی لو أن اللّه أوکله إلی نفسه، فإنه بما له من قدرات ذاتیه و بغض النظر عن الالطاف الإلهیه، و العنایات الربانیه ضال قطعا، و جاهل بلا ریب. فهو من قبیل قولک: ما أنا فی نفسی بفوق أن أخطی ء لولا لطف اللّه و عصمته و توفیقه، لکن بعد أن کان لطف اللّه حاصلا من أول الأمر فإن العصمه تکون حاصله بالضروره من أول الأمر أیضا. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۲ ۲۰۰ أولوا العزم: ..... ص : ۲۰۰

أولوا العزم:

و بعد، فقد نجد فی قوله تعالی حکایه عن آدم (علیه السلام): لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (۳). و قوله: فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ (۴).

و غیر ذلک من شواهد و دلائل ما یشجعنا علی القول: بأن المراد من إطلاق هذه الصفه علی بعض الأنبیاء هو التأکید علی رسوخ و عمق درجه۵.

۱- الشوری: ۵۲.

۲- الضحی: ۷.

۳- سوره طه: ۱۱۵.

۴- سوره الأحقاف: ۳۵.

العصمه فيهم، و قدرتهم الكبيره على التحمل فى مواجهه أعظم التحديات مع الطواغيت و الجبارين، و تحمل المسؤوليات الجسام، و المشاق العظام فى نطاق الدعوه إلى اللّه سبحانه. و قد يكون بعض أولى العزم، حتى مثل موسى و عيسى (عليهما السلام) لم يبعث للناس كافه، و إنما لخصوص بنى إسرائيل، الذين ربما يحتاجون إلى بعض التشريعات الإستثنائيه الخاصه بهم، مع كون العمل فى المسار العام إنما هو شريعه إبراهيم عليه الصلاه و السلام.

و هذا بحث يحتاج إلى توفر تام، و جهد مستقل، نأمل ان يوفقنا اللّه لهما فى فرصه أخرى إن شاء اللّه تعالى.

من الأساطير:

و بعد كل ما تقدم نعلم: أن كل ما يذكر عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من أمور تتنافى مع التسديد، و مع شرع اللّه تعالى، لا أساس له من الصحه. و نذكر هنا على سبيل المثال:

ما رواه البخارى و غيره، من أنه قد قدّم لزيد بن عمرو بن نفيل سفره فيها شاه ذبحت لغير اللّه تعالى. (و عند البخارى إنها قدمت للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم))؛ فأبى زيد أن يأكل منها، و قال: أنا لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، و لا آكل إلا ما ذكر اسم اللّه عليه.

و فى روايه أحمد: إن زيدا مرّ على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هو يأكل مع سفيان بن الحرث من سفره لهما، فدعواه إلى الطعام فرفض، و قال الخ.

قال: فما رؤى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من يومه ذاك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث.

و یذکرون أیضا: ان زید بن عمرو بن نفیل کان یعیب علی قریش ذبائحهم و یقول الخ ... (۱).

و علیه، فزید بن عمرو بن نفیل کان أعقل من النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و اعرف منه- و العیاذ باللّه- لأنه أدرک و عرف قبح اکل ما ذبح علی النصب، و لم یذکر اسم اللّه علیه، أو بلغه ذلک. و لکن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یستطع أن یدرک ذلک، و لا کان علی قرب من مصادر المعرفه، فکان یأکل منه؛ مع أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) اعقل الکل و فوق الکل، و مع أنه قد تربّی فی حجر عبد المطلب، الذی ترک الاصنام، و ابتعد عنها حسبما تقدم. ثم فی حجر عمه أبی طالب،.

و بیتهم کان أرفع بیت فی العرب. و هم أعرف الناس بتعالیم الحنیفیه.

نعم، لقد أدرک زید ذلک برایه، حسبما یرجحه العسقلانی (۲)، و لم یستطع النبی الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أن یدرکه. لقد کانت النبوّه بزید قریب عمر بن الخطاب (۳) أجدر منها بمحمد، نعوذ باللّه من الزلل فی القول و العمل.

و احتمال: أن یکون زید قد أخذ ذلک عن بعض النصاری أو الیهود، کما احتمله البعض.

یحتاج إلی اثبات: أن النصاری کانوا یحرمون اکل ما ذبح علی۷.

۱- راجع: صحیح البخاری ط مشکول المصریه ج ۵ ص ۵۰ و ج ۷ ص ۱۱۸ باب ما ذبح علی النصب و الأصنام، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۳، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۸۹ و راجع فتح الباری ج ۷ ص ۱۰۸ و ۱۰۹ و الروض الأنف ج ۱ ص ۲۵۶ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۳۸ و ۲۳۹ و ۲۴۰ و راجع ص ۲۳۷.

۲- فتح الباری ج ۷ ص ۱۰۹.

۳- البدایه و النهایه ج ۲ ص ۲۳۷.

النصب، أو ما لم يذكر اسم اللّه عليه.

أما اليهود فما كانوا يهتمون بدخول غيرهم فی دينهم. و إذا كان ذلک شائعا عنهم؛ فلماذا لم يعرف به غير زيد.

على أن هناک نص يقول: إن النبی (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (كان لم يأكل مما ذبح على النصب) (۱).

و مهما يكن من أمر، فقد قال السهيلی: (كيف وفق اللّه زيدا الى ترک ما ذبح على النصب، و ما لم يذكر اسم اللّه عليه، و رسوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان أولى بهذه الفضيله فی الجاهليه؛ لما ثبت من عصمه اللّه تعالى له).

ثم أجاب عن ذلک: بأنه ليس فی الروايه: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد اكل من السفره، و بأن شرع ابراهيم إنما جاء بتحريم الميته، لا بتحريم ما ذبح لغير اللّه تعالى. فزيد امتنع عن اكل ما ذبح لغير اللّه برأی رآه لا بشرع متقدم (۲).

و لكنه جواب بارد حقا.

فان إدراک زيد لهذا الأمر الذی وافق فيه نظر الشرع، و عدم إدراكه هو (صلى اللّه عليه و آله و سلم) له مما لا يمكن قبوله، أو الالتزام به.

هذا .. و لماذا يسدد اللّه تعالى نبيه حينما كشف عن عورته حين بناء البيت، و يمنعه عن ذلک- حسبما يدعون-، ثم تبغض اليه الاصنام، و الشعر، و لا يسدده اللّه، و يحفظه من اكل ما ذبح لغير اللّه تعالى؟! الذی۹.

۱- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۴.

۲- الروض الأنف ج ۱ ص ۲۵۶، و راجع: السيره الحلبيه ج ۱ ص ۱۲۳ عنه، و فتح الباری ج ۷ ص ۱۰۹.

یدرک بعض الناس أنه لیس محبوبا للّه تعالی؟!

استلام الاصنام:

و من أساطیرهم أیضا ما ذکروه من أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان یستلم الأصنام بل لقد ذکر البعض: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قال: (أهدیت للعزی شاه عفراء، و أنا علی دین قومی) (۱).

مع أنهم یذکرون: ان زیدا المتقدم و عمر بن الحویرث، و ابا قیس بن هرمه، و قس بن ساعده، و أسعد بن کریب، و عبید اللّه بن جحش، و رباب بن البراء و غیرهم، لم یسجدوا لصنم قط، و حرّموا عباده الاوثان.

فلماذا أدرکوا هم ذلک دونه؟!.

و ایضا فقد سئل (صلی اللّه علیه و آله و سلم): هل عبدت وثنا قط؟

قال: لا.

و قال: ابن حجر: إن الناس قد انکروا حدیث استلامه الاصنام.

و قال أحمد بن حنبل- علی ما فی الشفاء-: إنه حدیث موضوع (۲).

و علی کل حال؛ فان هناک تفاهات کثیره، و أکاذیب عدیده علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، سواء بالنسبه إلی الفتره التی سبقت البعثه، أو التی تلتها. و سیأتی بعض من ذلک، و لکن لابد من الاعتراف:

بأن استقصاءها متعسر بل متعذر؛ و لذا فلا بد من الاقتصار علی ما یسعه المجال، ثم الانصراف إلی ما هو أهم، و أجدر، و أولی.٠.

۱- السیره النبویه لابن هشام ج ۱ ص ۸۶.

۲- راجع السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۵۰/ ۵۱ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۱۲۵ و ۲۷۰.

البحث الثالث: شروط النهضه:

هناك عده أمور تعتبر ضروريه و حتميه فی بناء الحضاره، و حصول النهضه لأی شعب کان، و أیه أمه کانت. و نود أن نشیر إلی بعض مقومات و عناصر ذلک عموما. ثم .. و بمقارنه بسیطه و موجزه، نستطیع أن نتعرف علی جانب من عظمه الاسلام و سموّه، و أصالته.

و من اجل تسهیل تصور ما نرید عرضه علی القاری ء، نقوم بمقارنه محدوده بین واقع و ظروف عرب شمال الجزیره العربیه، و هم اهل الحجاز، و بین واقع و ظروف عرب جنوبها، و هم أهل الیمن.

فنقول:

ألف: لقد عاش الیمنیون فی منطقه غنیه و ثریه، و تستطیع، اذا ما اشتغل أهلها بزراعتها: أن توفر لهم لقمه العیش. و هی بالاضافه إلی ذلک أرض جبلیه، صعبه المسالک، فهی إذن تستطیع فی کثیر من الأحیان أن توفر لهم حمایه طبیعیه، و قدره علی مقاومه الأعداء.

و إذا کان الیمنیون یشتغلون بزراعه أرضهم، و یستفیدون منها، و یعتبرونها المصدر الأول و الاساس لحیاتهم، و استمرار وجودهم؛ فمن الطبیعی أن یتولد فیهم لذلک شعور مبهم بمحبه هذه الارض، و التمسک بها، و الحنین إلیها.

و هذا بالطبع، هو المهم عاده فی حب الناس لأوطانهم، و حنینهم إلیها، حتی إنهم قد یبذلون کل غال و نفیس حتی دماءهم فی سبیل الدفاع

عنهـا، بـل و حتى عن شبر واحـد منهـا؛ فمحبه الوطن تنشـأ غالبا من محبه الارض، و محبه الارض تنشأ (عموما) من الشـعور بأنها تعطيه كل مقومات الحياه، و بأنها تحفظ له استمرار بقائه و وجوده، بالشكل المرضى له، و المقبول عنده.

ب: و كان فى اليمن أيضا حكومه مركزيه مهيمنه تفرض النظام و القانون، و تهتم باشاعه الطمأنينه، و الأمن و السلام.

و إذا كان الانسان يشـعر بالامن، و يعيش فى ظل القانون، و لا يتخوف من أى عـدو يتربص به الغوائل، فانه يجد الفرصه للتفكير فى تغيير الوضع الحياتى الذى يعيشه، إلى وضع أفضل و اكمل.

ج: ثم تتاح الفرصه لآمال و تطلعات هـذا الانسان للتعبير عن نفسـها، و فرض وجودها، فتدفعه إلى بذل المحاوله. و التصـرف فيما تناله قدراته فى توجيهه فى هذا السبيل.

د: ثم يأتى دور الأهم و الأقوى تأثيرا فى النهضه، ألا و هو النظام الأكمل و الاشـمل و الأصلح، الذى يستطيع أن يبنى الانسان من الـداخل، و يحافظ عليه من الخارج، و يزيل من طريقه كل العقبات، التى يمكن أن تعترض سبيل تقـدمه؛ و لتنمو، و تتكامل فى ظـل ذلـك النظام- من ثم- ملكات هـذا الانسان، و خصائصه، و لتجـد طاقاته و امكاناته الفرصه للتأثير فى عمليه التغيير للحاضـر الذى يعيشه، و التخطيط الصحيح و السليم للمستقبل الذى يقدم عليه.

فاذا توفرت كل تلك العناصـر لايه أمه، فانها و لا شك سوف تكون قادره على أن تبنى حضاره، و تصنع لنفسها مستقبلا مغريا و زاهرا و مجيدا.

و قد كانت كل تلك العناصر متوفره فى منطقه اليمن، باستثناء العنصر الأخير منها. و كان فقدانها له بالذات هو السبب فى أنها لم تستطع أن تفيد شيئا من تلك القدرات و الامكانات التى توفرت لها، و لا يحدثنا

التاریخ عن شی ء ذی بال، تمیزت به الیمن فی تاریخها القدیم، سواء علی الصعید الفکری، أو الحضاری، أو غیر ذلک، و لا کان فیها ما یعبر عن نظره واعیه، أو عقلیه متطوره تتلائم مع حجم امکاناتها تلک.

کما أن الدیانه الیهودیه المحرفه، التی سیطرت علیها حقبه من الزمن، لم تستطع أن تقدم لها شیئا یذکر فی مجال النهوض باهلها، و الخروج بهم من ظلمات جهلهم، و التخفیف من شقائهم و آلامهم، تماما کما لم تستطع المسیحیه المحرفه فی الرومان، و الزرادشتیه فی الفرس:

أن تؤثر تأثیرا یذکر فی ذلک.

أما فی الحجاز، فقد کانت کل تلک العناصر مفقوده؛ و لکن عند ما وجد العنصر الاخیر منها- فقط- استطاعت هذه الامه- و ذلک هو الاعجاز حقا- أن تنتقل من أمه متوحشه بدائیه، تتصف بکل صفات الذل و المهانه، إلی امه لا تدانیها، و لن تدانیها أیه أمه أخری علی الاطلاق.

فعرب الحجاز لم یکونوا فی الاکثر أهل زراعه، لان أرضهم لم تکن صالحه لذلک؛ بسبب قله المیاه فیها، حیث لم یکن فیها حتی نهر واحد بالمعنی الصحیح للکلمه (۱). کما أن الامطار تقل فیها بشکل ملحوظ. و کل ما کان هناک هو بعض الینابیع، التی کانت تظهر فی الشتاء، و تجف فی الصیف، فیرحلون عنها بحثا عن غیرها. هذا عدا عن أن الارض نفسها کان فیها القلیل مما یصلح للزراعه.

إذن، فلا شی ء یشد العربی إلی هذه الارض، أو یربطه بها، و یجعله یحبها، و یتفانی فی سبیلها. بل کان مصدر حیاتهم و رزقهم هو:

السیف، و الماشیه، و الابل بصوره عامه، و لهذا نری أن اکثر ما یعزّ علیهم، و له مکانه فی نفوسهم هو هذه الأمور بالذات؛ فنری الشاعر العربی یتغنی بالجمل، و السیف، و الفرس، و یتغزل بالریاح الطیبه، التیا.

۱- راجع: المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام ج ۱ ص ۱۵۷ فما بعدها.

تخفف عنه بعض ما يعانيه من آلام؛ نتيجه حرّ منطقته، ثم هو يناجى القمر و النجوم كثيرا أيضا.

و إذا مـا رأينـاه يبكى- أحيانـا- الـديار و الاطلال، فليس ذلك إلا لأنها كانت فى وقت ما مصـدر أنس له، أو لأنه هو نفسه كان حضريا.

و لأن العربى هـذا قد اتخذ الغزو و السلب وسيله من وسائل العيش؛ فاننا نراه يهتم بالتغنى بمواقفه هذه، و يفتخر باسـتمرار بشـّنه الغارات فرسانا و ركبانا.

و من الجهه الاـخرى، فـانه دائمـا يتوقع أن يغزى، و أن تشنّ عليه الغـارات؛ و لاـ يشـعر بوجود سـلطه تسـتطيع أن تحميه، فهو فى خوف دائم، و رعب مستمر.

و إذا كان الامن غير متوفر له، فكيف يمكن أن تتوفر له الفرصه للتفكير فى حياته، و محاوله الخروج من واقعه، و تحسين ظروف عيشه، ثم التخطيط للمستقبل بواقعيه، و أناه، ثم العمل بهدوء و اطمينان على تنفيذ خططه، و تحقيق آماله؟!

و من الجهه الثالثه، كيف و أنى يمكن لآماله أن تنمو، و لطموحاته أن تتجسد؟ و هو فى كل يوم يفقد أملا، و يتحمل ألما.

و خلاـصه الامر: إنه لا سـلطه مركزيه تسـتطيع أن تفرض هيبتها و هيمنتها بيسـر و فعاليه، بل إن ذلك قـد يتعـذر بالنسبه إلى أمه تعيش حياه التنقل و الغاره، و تتحول باستمرار من مكان إلى مكان.

و قـد كـان العرب يتجنّبون الالتحـام بالجيوش المنظمه،؛ لتفوقها عليهم، فاذا تعقبتهم تلك الجيوش هربوا الى الباديه، و اعتصـموا بها.

و كذلك يفعلون اذا واجهوا الجيش و وجدوا فيه قوه (۱).۳.

۱- راجع: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسـلام ج ۵ ص ۴۱۳ و ۴۱۴ و ۴۲۰. و راجع: تاريخ التمدن الإسـلامى المجلد الأول، الجزء الأول ص ۷۰ و حياه محمد لهيكل ص ۳۹ و محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميه للخضرى ج ۱ ص ۳۳.

و إذن .. فهم كـانوا يفقـدون كـل اسـباب النهضه و التقـدم، و لا يملكون منها حتى الامل بالتغيير، فضـلا عن ارادته، و العمل من أجله. هذا فضـلا عن أن الصـفات الذميمه، و العادات السـيئه، التى كانت تهيمن عليهم جماعات و أفرادا لم تكن تسمح لهم بأيه نهضه، أو أى تقدم نحو الافضل، إن لم تكن تزيد من بلائهم و شقائهم، و تدفعهم خطوه بل خطوات إلى الوراء.

و لكنهم مع ذلک كله، عندما وجدوا الرساله السـماويه الحقه، استطاعت تلک الرساله، و ذلک الرسول- و فى فتره و جيزه جدا- ان تنقـل هـذه الامه من حضـيض الـذل و المهـانه إلى أوج العظمه، و العزه و الكرامه، و أن تغير فيهـا كل عاداتها و مفاهيمها، و تخفف، بل و تقضى على كل أسباب شقائها، و آلامها. و ذلک هو الاعجاز حقا.

نعم لقـد اسـتطاع الاسـلام فى فتره لا تتجاوز سـنواتها عـدد أصابع اليدين أن يحدث انقلابا حقيقيا و جذريا فى عقليه و مواقف و سلوک تلک الامه، و فى مفاهيمها، و ان ينقلها من العدم إلى الوجود، و من الموت إلى الحياه.

و لو أن المسيحيه و اليهوديه و غيرها من الأديان و المذاهب كان فيها أدنى صلاح، و مع توفر كل الظروف الملائمه لنجاحها فى تغيير الاوضاع السـيئه آنذاک- لعبرت عن نفسـها، و لأثبتت وجودها، مع أن المسـيحيه قد كانت فى العرب أيضا قبل الاسـلام، و كـذلک اليهوديه، و لكنهـا لم تسـتطع أن تغير من عقليه العربى، و سـلوكه، و مفـاهيمه عن الحيـاه و المسـتقبل شـيئا، بل بقى يئد البنات، و يشن الغارات، إلى غير ذلک من أفعال و صفات.

بل إنهم ليذكرون أن القبيله العربيه الفلانيه التى كانت تدين

بالمسيحيه ما كانت تعرف من المسيحيه غير شرب الخمر، كما سيأتى.

كما أن اليهود قد عاشوا بينهم، و كان العرب يحترمونهم جدا، و يعتبرونهم وحدهم مصدرا للمعرفه و العلم- كما تقدم فى الجزء السابق- و لكنهم لم يكن لهم فى سلوكهم، و عقليتهم، أثر يذكر.

البحث الرابع: العوامل المساعده على انتصار الاسلام و انتشاره:

اشاره

و بعد ذلك الموجز الذى قدمناه لابد أن نشير إلى بعض العوامل و الظروف التى ساعدت على انتصار الاسلام و انتشاره، فى منطقه لها تلك الصفات و المميزات المشار إليها فى البحث السابق.

و بعض تلك العوامل يرجع إلى شخصيه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و بعضها يرجع إلى الرساله نفسها، و بعضها يعود إلى أمور أخرى، خارجه عن هذا و ذاك. و يمكن أن نلخص ما نريد الاشاره إليه فى الامور التاليه:

۱- منطلق الدعوه: مكه:

أ: إنه يلاحظ أن الاسلام قد انطلق من أقدس بلد لدى الانسان العربى، بل ولدى غيره أيضا، و هو المكان الذى تهوى إليه ثمار الافئده من كل مكان. و هو ملتقى لكل العواطف، و محل آمال الناس، و غايه رجائهم.

ب: يقول البوطى: (البقعه الجغرافيه للجزيره العربيه ترشحها للقيام بعب ء مثل هذه الدعوه؛ بسبب أنها تقع- كما قلنا- فى نقطه الوسط بين الأمم المختلفه التى من حولها. و هذا مما يجعل اشعاعات الدعوه

الاسلامیه تنتشر بین جمیع الشعوب و الدول المحیطه بها فی سهوله و یسر (۱)).

و طبیعی: أن هذا الدین لو کان ظهر فی بلاد کسری؛ فان اتباع قیصر لا یتبعونه، و کذلک العکس؛ و ذلک بسبب المنافسه القائمه بین الامبراطوریتین و الحواجز النفسیه الحاکمه و المهیمنه علی الأمتین.

ج: لقد بدأ (صلی اللّه علیه و آله و سلم) دعوته فی مکان بعید عن نفوذ الدولتین العظیمتین: الرومان، و الفرس، و غیرهما من الدول ذات القوه.

إذن، فلاـ قوه قاهره تستطیع أن تضرب الضربه الحاسمه، و تقضی علی دعوته فی مهدها؛ و ذلک لأن المحیط الذی بدأ فیه دعوته، و الحجاز عموما، کانت تسیطر علیه الروح القبلیه، و یطغی علیه التعصب القبلی.

و القوی فیه متکافئه: تقریبا، و کانت القبائل المتعدده کثیره- فبطون قریش وحدها کانت عشره أو تزید- یرقب بعضها بعضا، و یخشی بعضها بأس بعض.

هذا کله، عدا عن أنها کانت تعرف: أنها إذا أرادت أن تنتهک حرمه الحرم، و یحارب بعضها بعضا؛ فان مکانتها و احترامها- و بالتالی مصالحها الحیویه، سوف تتعرض لدی سائر العرب لنکسه قاسیه، إن لم تکن قاضیه.

۲- خصائص شخصیه الرسول صلی الله علیه و آله وسلم :

أ: لقد کان صاحب هذه الدعوه: محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من قریش، أعظم قبائل العرب خطرا، و قوه، و نفوذا، و التی کان ۰.

۱- فقه السیره ص ۳۰.

ینظر إلیها من کل أحد بعین الاجلال و الاکبار، و بالأخص هو من البیت الهاشمی منها، الذی کان یمتاز بالنزاهه و الطهر، و له السیاده و الزعامه، و السؤدد فی مکه، و له الشرف الرفیع الذی لا یدانیه و لا ینازعه فیه أحد.

فمحمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إذن لیس بحاجه إلی الشرف و الزعامه؛ لیجعل من ادّعاء النبوّه وسیله للوصول إلیها، و الحصول علیها.

و قد کان واضحا- لو قیست الأمور بالمقاییس العادیه- أن دعواه تلک لسوف تجرّ علیه الکثیر من المتاعب و المصائب، و یکون بذلک قد فرط بکل ما لدیه من رصید إجتماعی فی هذا المجال، فإستمراره فی دعوته مع وضوح اخطارها له یعتبر امرا غیر منطقی، لو کان ما یدعیه لا واقعیه له.

کما أن کل أحد یکون علی استعداد لقبول الدعوه من بنی اسماعیل، الذین هم مهبط الوحی، و معدن الطهر. و سیأتی إن شاء اللّه تعالی فی مباحث عرض الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) دعوته علی القبائل. أنه لما عرض دعوته علی بنی عامر بن صعصعه، و رفضوا إلاـ أن یجعل الامر فیهم بعده، و رفض هو، و عادوا إلی بلادهم، و تحدثوا بما کان لشیخ لهم، وضع ذلک الشیخ یده علی رأسه، ثم قال: یا بنی عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ و الذی نفس فلان بیده، ما تقوّلها إسماعیلی قط، و إنها لحق؛ فأین رأیکم کان عنکم (۱).

ب: تلک الخصائص و الممیزات فی الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نفسه، و التی اشار إلیها جعفر بن أبی طالب بقوله: (بعث اللّه إلینا رسولا منا، نعرف نسبه، و صدقه، و أمانته و عفافه). حتی لقد لقّب ب (الصادق الأمین) فقد کان لذلک أثر کبیر فی ظهور دعوته، و انتصار و انتشار رسالته. و قد کان تحلّیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بهذه.

۱- سیأتی ذلک مع مصادره فی الجزء الثانی من هذا الکتاب، فی فصل: حتی بیعه العقبه.

المواصفات ضروريا؛ لأن فقدانها موجب لريبهم، كما قال تعالى: (إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ).

هذا كله، بالاضافه إلى ما قد تمدّحه اللّه عليه من خلقه العظيم، فقال: (وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (۱).

و مع ذلک فاننا نود أن نخص بالذکر هنا ما یلی:

۱- اننا نجد البعض یسلم استنادا إلی شهاده الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نفسه، فقد ورد أن رجلا دخل علی جمل؛ فأناخه فی المسجد؛ و عقله، ثم قال لهم: أیکم محمد؟ و النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) متکی ء بین ظهرانیهم.

فقلنا: هذا الرجل الابیض المتکی.

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟

فقال له (صلی اللّه علیه و آله و سلم): قد أجبتک.

فقال الرجل: إنی سائلک فمشدّد علیک فی المسأله؛ فلا تجد علی فی نفسک.

فقال: سل عما بدالک.

فقال: أسألک بربک و رب من قبلک، أ اللّه أرسلک إلی الناس کلهم؟

فقال: اللهم نعم.

فقال: أنشدک باللّه، أ اللّه أمرک أن تصلی الصلوات الخمس فی الیوم و اللیله؟.

قال: اللهم نعم.م.

۱- سوره القلم/ ۴ و ثمه احتمال آخر فی الآیه الشریفه راجع مقالا لنا بعنوان: فلسفه الأخلاق فی الإسلام فی کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام.

قال: انشدك اللّه ... إلى أن قال:

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، و أنا رسول من ورائى من قومى، و أنا ضمام بن ثعلبه الخ. (۱)

فان عدم قدره ضمام على تمييزه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن أصحابه، لخير دليل على خلق النبى العظيم، و على أن الاسلام لا يعترف بتلك الفوارق المصطنعه بين الحاكم و رعيته، و لا يعتبر أن الحكم يعطى للحاكم امتيازا، و إنما هو مسؤوليه.

كما أن اسلام ضمام استنادا إلى شهاده النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه ليعتبر الذروه فى الثقه به (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و تأثير هذه الثقه فى قبول دعوته، و انتشار رسالته.

۲- هذا مع ما كانت تعرفه قريش فيه، من وفور العقل، و حسن التدبير، و أصاله الرأى- و قد تقدمت قضيه رفع الحجر الاسود إلى موضعه عند بناء البيت، و حلّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) المشكله التى كانت تواجههم.

ثم ما ظهر له من الآيات و البراهين، حين ولادته، و بعدها، و كونه ابن الذبيحين، الأمر الذى جعل له قدسيه خاصه فى نفوس الناس.

نعم، إن كل ذلك قد وضع قريشا، و سائر الناس أمام الأمر الواقع، فكان كل من يحاول تكذيبه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يجد نفسه أمام صراع داخلى، و وجدانى؛ لأن وجدانه و ضميره كان يقول له: انت الكاذب الحقيقى، و هو الصادق الامين، و هو محل الثقه المطلقه، و انت۴.

۱- البخارى هامش فتح البارى ج ۱ ص ۱۳۹- ۱۴۱، و ليراجع فتح البارى نفسه أيضا. للإطلاع على العديد من المصادر، و البدايه و النهايه ج ۵ ص ۶۰ عن ابن إسحاق و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۳۸۴.

مظنه الخيانه، و هو صاحب الرأى و التدبير، و العقل الكبير، و أنت القاصر المقصر فى ذلك. و هكذا الحال فى سائر صفاته الغرّ، و أخلاقه الفضلى.

۳- و قد عزز ذلك و قواه: أن كل أحد كان يعرف أميته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و أنه لم يتلق العلم و المعرفه من أحد. و ها هو لا يستطيع أحد على وجه الارض أن يدعى المعرفه بجزء مما جاء به، فضلا عن بيئته المتناهيه فى الجهل و الضياع، فلم يكن ثمه مجال للارتياب فى صدقه، و صحه دعوته، إلا من مكابر، لا يرى إلا نفسه، و لا يفكر الا فيها.

و حتى لو كان قارئا، فماذا عساه يجد فى كتب السابقين، و هل يمكن ان يقاس ذلك بما جاء به (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من المعارف العاليه، و التشريعات المعجزه، بلسان القرآن، الذى يعجز الجن و الإنس عن ان يأتوا بسوره من مثله؟!

۴- ثم هو لم يسجد لصنم قط؛ فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه، بأنك أنت كنت بالامس تسجد للاصنام، و تعبد الاوثان؛ فلماذا تكفر بها اليوم؟!. فان كانت عبادتها تخالف العقل و الفطره، فأين كان عنك عقلك، و لماذا شذت بك فطرتك؟!.

۵- ثم يأتى بعد ذلك اسلوب دعوته المتطور، على وفق الحكمه، و على حسب مقتضيات الأحوال، و فى حدود الاهداف الرساليه، التى لا بد من التقيد بها، و فى حدودها.

۶- ثم هناك اصراره، و صبره، و تحمله لكل المشاق و الآلام، و رفضه لكل المساومات، حتى إنهم لو وضعوا الشمس فى يمينه، و القمر فى شماله على أن يترك هذا الأمر، ما تركه. بل هو لا يقبل منهم أن يسلموا شرط أن يعطيهم فرصه زمنيه للتزود من عباده أوثانهم، مما أوضح لهم: أن المسأله تتجاوز حدود اختياره، و أن رب السماء هو الذى يرعى

هذا الامر، و يريده منهم.

۳- الحاله الاجتماعيه:

و يأتى بعد ذلك كله دور الحاله الاجتماعيه التى كانت سائده آنذاك، حيث كان الناس يعيشون حياه الشقاء و البلاء، بكل ما لهذه الكلمه من معنى، كما دلت عليه كلمات الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقدمه، فى أوائل هذا الجزء عن الحاله الاجتماعيه عند العرب- و هى لا- تختلف كثيرا عما عند غيرهم- و نضيف إلى ذلك هنا ما قاله جعفر (رحمه اللّه) لملك الحبشه، حينما ذهب عمرو بن العاص ليخدعه عنهم:

(كنا قوما أهل جاهليه، نعبد الاصنام، و نأكل الميته، و نأتى الفواحش، و نقطع الارحام، و نسى ء الجوار، و يأكل القوى منا الضعيف) (۱).

فهذه الحاله الاجتماعيه القاسيه التى كانت تهيمن على الأمه، و ذلك الضياع الذى يسيطر عليها قد هيأ الانسان الجاهلى نفسيا، لقبول الحق، و التفاعل معه، و جعله يتطلع للدعوه التى يجد فيها الحق و الخير، و يعرف: أنها تستطيع أن تخفف من شقائه و آلامه، و تنقذه من واقعه المزرى و المهين ذاك. و قد عبر جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) عن ذلك، لملك الحبشه، بعد عبارته المتقدمه، فقال:

(فكنا على ذلك حتى بعث اللّه الينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه و أمانته، و عفافه فدعانا إلى اللّه؛ لنوحده، و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه، من الحجاره و الاوثان. و أمرنا بصدق الحديث، و أداء۴.

۱- راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۰ و قاموس الرجال ج ۲ ص ۳۷۱ و البدايه و النهايه ج ۳ ص ۷۳ و ۷۴.

الامانه، وصله الرحم، و حسن الجوار، و الکف عن المحارم و الدماء.

و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و اکل مال الیتیم، و قذف المحصنه إلخ (۱)).

و قد عبر أهل المدینه علی لسان أسعد بن زراره عن أملهم فی أن یحلّ (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بدعوته تلک مشاکلهم المستعصیه، حیث یذکر المؤرخون: أن الأوس و الخزرج ما کانوا یضعون السلاح فی لیل و لا نهار (۲)، فمن الطبیعی إذن أن یشتاقوا إلی الخروج من وضع کهذا إذ:

نعمتان مجهولتان: الصحه و الامان.

و سیأتی الحدیث عن ذلک حین الکلام علی دخول الاسلام إلی المدینه.

هذا، و لا بد من الاشاره هنا إلی أن الاندفاع نحو الاسلام، إنما کان ظاهرا و قویا فی جمله الضعفاء و العبید، و الفقراء. أما اولئک المستغلون و المستکبرون و أصحاب الاموال، و الاطماع، من أمثال: أبی جهل، و أبی سفیان؛ فقد کانوا هم الذین یهتمون بالقضاء علی الدعوه، و منعها من الانتشار. و إن المطالع لتاریخ الاسلام فی مکه لیجد الکثیر من الشواهد، التی تؤید ما ذکرناه هنا. مع تأکیدنا علی أن ذلک لا یختص بما جری بالنسبه لنبینا (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بل هو ینسحب علی غیره من الانبیاء السابقین. و قد عبر القرآن عن هؤلاء المخالفین من الطبقه الارستقراطیه ب (الملأ) فی اکثر من مورد، و اکثر من مناسبه.

۴- نوع معجزته «صلی اللّه علیه و آله و سلم»:

و مما ساعد علی انتشار الاسلام و انتصاره نوع المعجزه التی جاء۵.

۱- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۹۰ و راجع: البدایه و النهایه ج ۳ ص ۷۳ و ۷۴.

۲- البحار ج ۱۹ ص ۸ و ۹ و ۱۰ و اعلام الوری ص ۵۵.

بها (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فان هذا القرآن قد حیّر العرب، لیس فقط بما یتضمنه من قوانین عامه و شامله، و من معان و اخبارات غیبیه، و من قصص فیها العبر و العظات، رأی فیها غیر المسلمین تصحیحا دقیقا لما جاء منها فی کتبهم، و غیر ذلک من علوم و معارف. و إنما قهرهم و بهرهم فیما کانوا یعتبرون أنفسهم، و یعتبرهم العالم بأسره قمه فیه، اکمالا للحجه، و حتی لا یبقی مجال لأی خیار؛ لأن خروجه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی بیئه کهذه، بحجه کهذه، لا بد أن یجعلهم یذعنون و ینقادون للحق، و إلا فلسوف یراهم کل أحد، و یرون أنفسهم أیضا معاندین للحق، و مناصرین للباطل.

نعم، لقد بهرهم هذا القرآن و حیرهم، و لم یترک لهم مجالا للخیار فإما الجحود علی علم. (و جحدوا بها و استیقنتها أنفسهم)، و اما الایمان و التسلیم.

و إذا کنا نعلم: أن من ممیزات العربی، و بحکم حیاته و طبیعته: أنه کان یعیش حیاه الحریه بکل ما لهذه الکلمه من معنی، و لم تلوّث فکره و عقله الافکار و الشبهات و الآراء المصطنعه- کما کان الحال بالنسبه لسائر الأمم، کالرومان و الفرس و غیرهما، الذین کانوا یحاولون فلسفه أدیانهم البعیده عن الفطره، و المنافره لها، و إظهارها بمظاهر معقوله و مقبوله-

إذا کنا نعلم و نری ذلک، فان هذا القرآن قد جاء منسجما مع فطره العربی، و متلائما مع طبعه و سجیته، و مع صفاء نفسه و قریحته، تماما کما کانت الدعوه نفسها منسجمه مع فطرته و روحه، و یستجیب لها عقله، و ضمیره و وجدانه، لأنه کان یعیش علی الفطره، و الاسلام دین الفطره: (فطره اللّه التی فطر الناس علیها، لا تبدیل لخلق اللّه، ذلک الدین القیم) (۱).٠.

۱- الروم: ۳۰.

و لـذلك نراه سـرعان مـا صـار يبـذل ماله، و ولـده، و دمه فى سبيل هـذه الـدعوه، و يقتل حتى أباه، و أخاه من أجلها. و لسوف نتحدث إن شاء اللّه تعالى عن سر اعجاز القرآن فيما يأتى من فصول.

۵- بشائر اليهود و النصارى به صلى الله عليه و آله وسلم :

اشاره

و أيضا، فان بشائر أهل الكتاب بقرب ظهور نبى فى المنطقه العربيه، قد سهّل هو الآخر قبول دعوته، و انتشار رسالته.

فقـد جـاء فى التوراه المتـداوله: (و هـذه هى البركه، التى بارك بها موسـى رجل اللّه بنى اسـرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، و أشرق لهم من ساعير، و تلألأ من جبل فاران) (۱).

فالمجيى ء من سـيناء كنايه عن تكليم اللّه لموسـى (عليه السـلام) فى سيناء، وساعير هى جبال فلسطين، و هو إشاره لعيسى (صلى اللّه عليه و آله و سـلم). و فـاران اسم قـديم لأـرض مكه (۲)، التى لم يظهر فيهـا الاـ نبينا الاعظم محمـد (صـلى اللّه عليه و آله و سلم)، الذى انزل عليه القرآن.

و النبى محمد (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم) هو من نسل ابراهيم (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم)، الذى جعلها أرض غربته، تقول التوراه: (و أعطى لك و لنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان، ملكا أبديا) (۳).

فالمقصود بأرض غربه ابراهيم خصوص مكه، لأنها هى التى اسكن أهله فيها.

و أرض كنعان و إن كانت هى بلاد الشام و لكن المقصود فيها هنا۸.

۱- سفر التثنيه، الإصحاح ۳۳ الفقره ۱.

۲- معجم البلدان للحموى ج ۴ ص ۲۲۵.

۳- سفر التكوين الإصحاح ۱۷، الفقره ۸.

عموم بلاد العرب، بضرب من التجوز، لأن ابراهیم لم یهاجر إلی الشام، و لا أسکن اهله فیها (۱).

و جاء فی الانجیل قوله: (و هذه شهاده یوحنا حین أرسل الیهود من أورشلیم کهنه و لاویین؛ لیسألوه: من أنت؟ فاعترف، و لم ینکر، و أقرّ:

أنی لست أنا المسیح. فسألوه: إذن ماذا؟ إیلیا؟ فقال: لست أنا. النبی أنت؟ فأجاب: لا (۲)).

فالمراد بایلیا لیس الیاسا- کما ربما یدّعی- و ذلک لأنه قد کان قبل عیسی بقرون، فلابد أن یکون المقصود به رجلا یأتی بعد عیسی. و کذلک الحال بالنسبه إلی النبی الذی سألوه عنه.

و من المعلوم أنه لم یأت بعد عیسی غیر نبینا محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و اوصیائه (علیهم السلام) فلعل المقصود بالنبی هو محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و بایلیا وصیّه علی (علیه السلام).

هذا و بشارات العهدین به (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کثیره جدا، فمن أرادها فلیراجع الکتب المعده لذلک (۳) مع الأخذ بعین الاعتبار: أن التوراه و الانجیل الموجودین فعلا-قد نالتهما ید التحریف و التزویر، کما یظهر لمن راجع کتاب: الهدی الی دین المصطفی، و الرحله المدرسیه، للمرحوم البلاغی. و اظهار الحق لرحمه اللّه الهندی، و غیر ذلک.

و یکفی أن نذکر هنا: أن القرآن قد قرّر: أن أهل الکتاب (یعرفونهک.

۱- کما یفهم من مراجعه تاریخ حیاته فی کتب التاریخ؛ فراجع علی سبیل المثال کتاب: قصص الأنبیاء لطباره.

۲- إنجیل یوحنا الإصحاح الأول، الفقره ۱۹- ۲۱.

۳- راجع کتاب: أنیس الإعلام (فارسی)، و الرحله المدرسیه و الهدی إلی دین المصطفی، و رسول الإسلام فی الکتب السماویه، و غیر ذلک.

کما یعرفون ابناءهم، و ان فریقا منهم لیکتمون الحق، و هم یعلمون (۱)).

و قال تعالی: (الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ، الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِیلِ، یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ، وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ (۲)).

و لو أن اهل الکتاب کان یمکنهم اثبات خلاف هذا النص القرآنی، لبادروا إلیه، و لما عرضوا أنفسهم للحروب و البلایا، فی سعیهم الدائب لإطفاء نور اللّه، هم و مشرکوا مکه، الذین کانوا یتعاونون معهم تعاونا وثیقا.

بل إن اهل الکتاب انفسهم کانوا یتوعّدون العرب، و یقولون لهم: (لیخرجنّ نبی، فیکسرن أصنامکم، فلما خرج رسول اللّه کفروا به) (۳).

و یقول مغلطای: إنه لما شاع قبل ولادته: أن نبیا اسمه محمد، هذا إبّان ظهوره، سمی جماعه أبناءهم محمدا، رجاء أن یکون هو، منهم محمد بن سفیان بن مجاشع إلخ. ثم عد جماعه من المسمّین بهذا الاسم) (۴).

و لما دعا رسول الإسلام بعض المدنیین- قبل الهجره- إلی الإسلام، قال بعضهم لبعض: یا قوم، إن هذا الذی کانت الیهود یدعوننا به، أن یخرج فی آخر الزمان، و کانت الیهود إذا کان بینهم شی ء، قالوا:

(إننا ننتظر نبیا یبعث الآن یقتلکم قتل عاد و ثمود، فنتبعه، و نظهر علیکم معه الخ (۵)).٠.

۱- البقره: ۱۴۷.

۲- الأعراف: ۱۵۷.

۳- البحار ج ۱۵ ص ۲۳۱.

۴- راجع: سیره مغلطای ص ۷.

۵- الثقات، لابن حبان ج ۱ ص ۹۰.

مناطق سكنى أهل الكتاب:

و بعـد، فـإن النصـارى لم يتوغّلوا فى قلب الجزيره العربيه، بـل كـانوا يسـكنون على اطرافهـا: الحيره، و بلاد الشام، و كانت بعض القبائل العربيه تدين بالنصرانيه، دون ان يلتزموا بطقوسها الدينيه الا بصوره ضعيفه كما سنرى.

أمـا اليهود، فقـد كـانوا أولا هم حكام يثرب، بعـد أن قـدموها من بلاد فلسـطين، فرارا من الاضـطهاد الـذى حاق بهم، ثم قـدمها الأوس و الخزرج القحطانيون من اليمن، و تغلبوا عليها، و حصروا اليهود- و هم ثلاث قبائل:

بنو النضير، و قينقاع، و قريظه- فى مناطق معينه فى المدينه و اطرافها، و كانوا يسكنون فدكا و تيماء أيضا.

و يـذكر هيكل: أنه كان يحظر على اليهود و النصارى سـكنى مكه، إلا أن يكون أجيرا، لا يتحدث بشـى ء من امر دينه و من أمر كتابه. ثم يستثنى فى موضع آخر: العبيد منهم (۱).

و لكننـا نجـد: أنه كـان يسـكنها المتنصـره من العرب كورقه بن نوفل و اضـرابه، و على كل حال، فان هـذا الامر لا يهمنا تحقيقه كثيرا.

اهل الكتاب و هيمنتهم العلميه على العرب:

و مـا يهمنـا هنـا: هو الاشـاره إلى أن العرب كـانوا ينظرون إلى أهل الكتاب نظر التلميـذ إلى معلمه، و يعتبرونهم مصـدر الثقافه و المعرفه لهم، حتى إننا لنجـد فى التاريـخ: أن العربى كان إذا أراد الاسـلام يستشـير حبرا، أو راهبا فى ذلک. بل نجد قبيله بكاملها تذهب إلى يهود فدک و تسألهم عن۶.

۱- راجع: حياه محمد، لمحمد حسين هيكل ص ۶۵ و ۶۶.

رسول اللّه، بعد أن عرض دعوته عليهم (۱).

كمـا و يعرض الاسـلام على كنـده؛ فيأبونه؛ فيسـتدل بعضـهم على صـدق هـذا النبى بأن اليهود قـد قالوا: إنه سوف يظهر نبى من الحرم قد أظل زمانه (۲).

و اسلام أهل المدينه كان فى مبدئه مستندا إلى نظير هذه الحجه، كما أشرنا، و سنشير إليه ان شاء اللّه تعالى (۳).

و عن ابن عباس، قال: (كان هذا الحى من الانصار- و هم اهل وثن- مع هذا الحى من اليهود، و هم اهل كتاب، فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم. و كانوا يقتدون بكثير من فعلهم (۴).

و قد اسلم وفد أهل الحيره، و كعب بن عدى، فلما توفى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ارتابوا؛ فثبت كعب على الاسلام، قال: ثم خرجت أريـد المدينه، فمررت براهب كنا لا نقطع أمرا دونه (۵). إلى آخر كلامه، الذى ذكر فيه حصول اليقين له، بسبب كلام الراهب.

و ليلاحظ بدقه قوله: (كنا لا نقطع أمرا دونه)!

و أيضا، فقد تقدم فى الفصل الاول من هذا الجزء و سيأتى (۶): أن ۶

۱- راجع: البدايه و النهايه ج ۳ ص ۱۴۵، و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ۱۰۲.

۲- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ۱۰۳.

۳- سيأتى ذلک فى الجزء الثانى فى فصل: حتى بيعه العقبه حين الكلام حول دخول الإسلام إلى المدينه.

۴- الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ۱۰۹ عن أبى داود. و قال: و انظر تفسير ابن كثير ج ۱ ص ۲۶۱.

۵- الإصابه ج ۳ ص ۲۹۸ عن البغوى، و ابن شاهين، و ابن السكن، و ابن يونس فى تاريخ مصر، و أبى نعيم.

۶- سيأتى ذلک فى فصل: غدر اليهود، و الاغتيالات عن البدايه و النهايه ج ۴ ص ۶

أبا سفيان قد سأل كعب بن الاشرف عن: أن أى الدينين أرضى للّه تعالى، دينه أم دين محمد.

و قالت قريش لبعض يهود بنى النضير، و هم: سلام بن أبى الحقيق و حيىّ بن أخطب، و كنانه بن الربيع، حين ذهبوا إلى مكه ليحرّضوا الاحزاب على حرب المسلمين، قالت لهم قريش: (يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، و العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد؛ أفديننا خير أم دينه، قالوا: بل دينكم خير من دينه، و انتم أولى بالحق منه، فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم، و نشطوا لما دعوهم إليه الخ) (۱).

و نحن، و إن كنا نعلم أن زعماء قريش كانوا يعلمون الحق، و لكنهم كانوا يكتمونه عنادا و استكبارا لقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ. و لكن الذى يلفت نظرنا هو هذا الاستغلال لنفوذ اليهود، و هيمنتهم العلميه، و اعتبارهم مصدرا للمعارف الدينيه.

و بالمناسبه فان التاريخ يعيد نفسه، فان نظره المسلمين إلى الاوروبيين الآن تشبه تماما، ما كانت عليه فى الجاهليه.

و أخيرا، فقد قال الحلبى و ابن هشام: (لا يخفى: أن كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث، و عقبه بن أبى معيط، إلى احبار يهود بالمدينه.

و قالوا لهما: اسألاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، و أخبراهم بقوله؛ فانهم أهل الكتاب الأول) (۲) ثم ذكر ما جرى بينهم و بين اليهود، ثم ما جرى لهم مع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى مكه.

و الخلاصه: أن اخبارات أهل الكتاب تلك قد غرست فى ذهن ۱.

۱- سيره ابن هشام ج ۳ ص ۲۲۵/ ۲۲۶. و ستأتى بقيه المصادر فى غزوه الخندق.

۲- السيره الحلبيه ج ۱ ص ۳۱۰، و سيره ابن هشام ج ۱ ص ۳۲۱.

العربی: أن نبیا سوف یخرج من منطقته، مما سهل علیه قبول دعوته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و الاذعان للحق الذی جاء به؛ لأن الناس- باستثناء اصحاب المطامح و الأهواء، و الطواغیت منهم- لصفاء و سلامه طباعهم، و کونهم أقرب الی الفطره، و عدم تلوث فکرهم بالشبهات و الفلسفات المعقده کانوا یتقبلون الحق، و یذعنون له. و قبلیّتهم و عاداتهم إنما کانت تمنع فقط من انقیاد بعضهم لبعض، بسبب غلظتهم، و انفتهم، و بعد هممهم. و لکن لم یکن ذلک یمنعهم من قبول الحق، و الإذعان لإراده السماء (۱).

۶- الفراغ العقائدی و السیاسی: أ: الفراغ العقائدی:

لقد کان العرب یعانون من فراغ عقائدی هائل، عبر عنه أمیر المؤمنین (علیه السلام) بقوله المتقدم: (بعثه، و الناس ضلال فی حیره، و حاطبون فی فتنه، حیاری فی زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل).

و یکفی أن نذکر: انهم حتی عبادتهم للاصنام قد کانت ملوّنه باللون القبلی، فلکل قبیله بل لکل بیت وثن، و طریقه.

و کثیرا ما کانت دوافعهم إلی عباده تلک الاصنام عاطفیه، بعیده عن اسالیب التبریر العقلی، و المنطقی، فارتباط العربی بهذا الصنم إنما هو لأن هذا الصنم مرتبط بتاریخ أبیه أو جدّه. فالعربی یعتز بنسبه بحسب طبعه، و بما ینسب إلیه، قال تعالی حکایه لذلک عنهم: (بَلْ قالُوا: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلی أُمَّهٍ، وَ إِنَّا عَلی آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ (۲)).۲.

۱- راجع: البیان و التبیین للجاحظ ج ۳ ص ۱۲۷.

۲- الزخرف: ۲۲.

و مما يدل على أن عبادتهم للاصنام لم تكن عن تعقل و قناعه هو أن الذين كانوا يرجعون إلى فطرتهم، و الى عقولهم سرعان ما يـدركون منافرتها للفطره، و لأحكام العقل السليم، و يرغبون بالخروج من هـذا الجو، و لذلك نجد المؤرخين يذكرون: أن عبد المطلب قـد رفض عباده الاوثان، كما و يـذكرون: أن ورقه بن نوفل، و عثمان بن الحويرث، و زيد بن عمرو بن نفيل، و عبيد اللّه بن جحش قـد تبرموا من عبـاده الاوثـان، و عبروا عن ضـعف ثقتهم فيهـا، فاجتمعوا و تشاوروا فتنصـر الأولان، و بقى الآخران فى حيرتهم و شكهم (۱).

ب: الفراغ السياسـى: فـإن أرض العرب القـاحله، و الجو الحـار الـذى تتميز به، و حياتهم المتنقله من مكان الى مكان، و قـدرتهم على تحمل المشاق. قد جعل السيطره عليهم شبه مستحيله حسبما قدمنا. بل جعلهم بحسب طبيعه ظروفهم الحياتيه قادرين على توجيه الضـربات القاصـمه لكل دخيل، و جعله فى رعب دائم، و خوف مسـتمر، الأمر، الـذى اسـهم بشـكل فعال فى ابعاد أطماع المسـتعمرين عن منطقتهم، مع قنـاعه المسـتعمر بـأنه سوف لا ـ يجنى الكـثير من النفع، فى مقابـل الكـثير من الضـرر الـذى سوف يتعرض له، و لا ـ سـيما مع علمه بـأن حب الانطلاـق فى البـاديه بلا ـ رقيب و لا حسـيب مغروس فى دم العربى، و فى روحه، و فى أعماق أعماقه، و لا يتنازل عن ذلك بأى ثمن كان.

فكل ذلك قد جعل المنطقه فى فراغ سياسـى محسوس، بل إن شـمالى الجزيره العربيه لم يتعرض لأى حكم أجنبى أصلا نعم قد تعرض جنوبها و هو اليمن لسلطه الاحباش لفتره قصيره (۲).۸

۱- راجع: البدايه و النهايه ج ۲ ص ۲۳۷- ۲۳۸ و حياه محمد لهيكل ص ۸۹، و غير ذلك.

۲- راجع: مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير على ص ۸.

و هـذا الفراغ السياسى قـد جعلهـا بعيـده عن نفوذ الأديـان الكبرى بشـكل فعال، و لو بفرض من السـلطه الحاكمه، كالنصـرانيه و الزرادشتيه، و حتى عن التـأثر بـاليهوديه التى كـانت تعيش بينهم و معهم، فبقيت المنطقه بعيـده عن الشـبهات و الافكـار الغريبه و الـدخيله، و إن كـان قـد تسـرّب إليها بعض اليهود فرارا من الرومان، و لكن لم يكن لهم أى نشاط دينى، أو لعله كان، و لكنه لم يثمر، إذ لم يكن ثمه سـلطه تدعمه سياسـيا و اعلاميا، و لذلك فقد اشـرنا الى أنهم يذكرون أن نصارى تغلب ما كانوا يتمسكون من النصرانيه إلا بشرب الخمر (۱) بل إن جميع نصارى العرب كانوا كذلك (۲).

و ما ذلك إلا لأن النصرانيه بعيده عن عقل و فطره الانسان، و لا تستطيع أن تتّصل بروحه و وجدانه لتفرض هيمنتها على أفعاله، و سلوكه.

أما الاسـلام دين الفطره الذى اسـتطاع بفتره و جيزه أن يصـنع أمثال أبى ذر، و عمار، و سـلمان، فانه يتصل أولا بعقل الانسان، ثم بروحه و وجـدانه، حتى يحوله إلى انسان إلهى بكل ما لهذه الكلمه من معنى، و قد اسـتطاع أن يجعل من هؤلاء المتوحشـين إلى الامس القريب، و الذين لا يلتزمون بنظام، و لا يحكمهم قانون، اكثر الامم اتّباعا للنّظم، و اشدها إيمانا و اخلاصا للقانون الالهى.

كمـا و يلاحـظ أن من رباهـم النبى و الائمه فى فترات وجيزه جـدا. مع محـدوديه إمكاناتهم لم تسـتطع الحكومات الاخرى، حتى التى تنسب نفسـها إلى الاسـلام أن تأتى بأمثالهم، رغم توفر كل الامكانات لها، الأمر الـذى يشـير بوضوح إلى الدور الكبير الذى يضطلع به القائد و الحاكم الحق۷.

۱- المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۷۲ و ج ۷ ص ۱۸۶ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۲۸۴.

۲- المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۷۲ و ۷۳ و ج ۷ ص ۱۸۶ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۲۱۷.

فی تربیه المجتمع، و فی تزکیته.

قال المعتزلی: (و الغالب علی أهل الحجاز الجفاء و العجرفیه، و خشونه الطبع. و من سکن المدن منهم، کأهل مکه، و المدینه، و الطائف؛ فطباعهم قریبه من طباع أهل البادیه بالمجاوره.

و لم یکن فیهم من قبل حکیم و لا فیلسوف، و لا صاحب نظر و جدل، و لا موقع شبهه، و لا مبتدع نحله الخ) (۱).

و خلاصه الأمر: إن صفاء نفوس عرب الحجاز و عدم تلوثها بالافکار، و الانحرافات و الشبهات الغریبه عن الفطره، بالاضافه إلی الفراغ العقائدی، و عدم معقولیه شرکهم، و عبادتهم للاوثان، ثم الحاله الاجتماعیه السیئه التی کانوا یعانون منها- کل ذلک قد اسهم اسهاما کبیرا فی نشر الدعوه الاسلامیه، و قبولها.

و لذلک تری أن کثیرا منهم کانوا یسلمون بمجرد سماعهم کلامه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و اطلاعهم علی أصول دعوته و اهدافها، أو بمجرد ان یتلو علیهم القرآن.

و إذا ما رأینا ساداتهم و کبراءهم- عموما- کانوا یجحدون بهذه الدعوه الحقه، فلیس ذلک لأنهم لم یجدوا فیها ما یقنعهم، بل لأنهم وجدوها تضر بمصالحهم الدنیویه، و تصدهم عن مطامعهم اللاانسانیه؛ فهم مصداق لقوله تعالی: (وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ (۲)).

و لذلک نلاحظ: أن الناس ما کانوا یتطلبون الاستدلال علی التعالیم و الافکار الدینیه کثیرا، فی أول الأمر؛ لأن صفاء نفوسهم، و سلامه فطرتهم، و عدم ارباکها و ارهاقها بالأفکار، و الفلسفات، و الشبهات کان۴.

۱- شرح النهج للمعتزلی ج ۷ ص ۵۱.

۲- النمل / ۱۴.

كافيا لادراك حقانيه الدعوه، و سلامه افكارها. و كانت الآيات انما تحاول إرجاعهم إلى الفطره و تدعوهم إلى التفكير، و التعقل.

و لكن بعد أن دخلت الفلسفات و الافكار الغريبه، و الشبهات المغرضه، إلى فكر و عقل هذا الانسان، و حجبت فطرته، و أربكت تفكيره و أرهقت عقله، صار الناس يحتاجون اكثر فأكثر إلى الادله، و يتطلبونها من الائمه، بحسب نسبه تلوث فطرتهم بالشبهات و الافكار الغريبه.

۷- الحياه الصعبه، و التضحيه بالنفس:

و كانت بدائيه العرب، و حياتهم الصعبه، التى يعانون منها، قد جعلتهم اكثر اقداما على التضحيه فى سبيل الدعوه التى يؤمنون بها عن قناعه وجدانيه راسخه، و يتفاعلون معها تفاعلا روحيا خالصا.

و ذلك لأنهم لم ينعموا بحياه النعيم و الرفاهيه، التى لا تعب فيها و لا نصب، و لا آلام؛ ليصبح لهم تعلق شديد بالحياه، و حب، بل و عشق لها، فان من الملاحظ: أنه كلما كانت الحياه رخيه ناعمه مرفهه، كلما ازداد تعلق الانسان بها، و حبه لها. و كلما كان العكس، سهل عليه تركها، و التخلى عنها.

كما أن الدعوه التى سوف يتعرض أفرادها لمختلف أنواع الضغوط النفسيه، و الاقتصاديه، و الاجتماعيه و اقساها، بحاجه ماسه إلى جماعه قادرين على مواجهه تلك الضغوط، و تحمل تلك الآلام، و الصبر على التعذيب، و الجوع و الاضطهاد، بمختلف انواعه.

و قد كان العرب- عموما- كذلك؛ لأنهم قد عانوا من مشاق الحياه و الطبيعه ما عانوا. و أصبحت الآلام و المتاعب و المصاعب هى الصفه المميزه لحياتهم بل هى خبزهم اليومى و غير ذلك هو الاستثناء. فهم أقدر من غيرهم على تحمل ما ينتظر أتباع هذه الدعوه؛ لأن المنعمين لا

یستطیعون عـاده تحمل المشاق، و مواجهه الصـعوبات فان الشـجره البریه اصـلب عودا، و أبطأ خمودا؛ و لـذلک نجـد: أن بعض المسـلمین کانوا یودّون لو یجعلون امتیازا لأحدهم، و هو ابن عمیر لأنه کان منعما قبل أن یسـلم، و حینما أسلم تعرض للمشاق و الآلاـم، فـذلک جعلهم یشـعرون بـأنه قـد تحمـل من المصـاعب و الآلاـم مـا یوجب الرثاء و الرحمه له؛ و ما ذلک إلا إنطلاقا من الناحیه التی اشرنا الیها آنفا.

۸- بقایا الحنیفیه فی العرب:

و بعـد، فـان ممـا ساعـد علی ذلـک أیضـا، وجـود بقایـا الحنیفیـه- دیـن ابراهیم کالحـج و آدابه- فی الجزیره العربیه، و فی مکه بالذات؛ لأن العرب، و هم أولاد اسماعیل، قد توارثوا عنه الدین الحق و کانوا یعتزون بذلک، و قد قال اللّه تعالی لهم: مِلَّهَ أَبِیکُمْ إِبْراهِیمَ .. و لکنهم علی مر السـنین بدؤا یخلطون هذا الحق بکثیر من الباطل، شأن سائر الأمم، عند ما یغشاها الجهل، و تسـتبد بها الاهواء، و الانحرافات.

ثم تسـرب إلیهم الشـرک، و عبـاده الاوثـان، حسـبما قـدمنا، ثم الکثیر من الاـمور الباطله، و الاخلاق الـذمیمه، و الفواحش، حتی اصـبحوا فی الجاهلیه العمیاء، و حتی أدی بهم الامر الی الحاله التی وصفها لنا أمیر المؤمنین (علیه السلام) فیما تقدم، غیر أن بقیه منهم- و ان کانت قلیله جدا- قد بقیت متمسـکه بعقیده التوحید، و ترفض عباده الاوثان. و تعبد اللّه علی حسب ما تراه مناسـبا، و قریبا إلی تعالیم دین ابراهیم. و من هؤلاء عبد المطلب، و أضرابه، من رجالات بنی هاشم الأبرار.

و کـان من بقایـا الحنیفیه تعظیم الـبیت، و الطـواف به، و الوقـوف بعرفه، و التلـبیه (۱) و هـدی البـدن، و إن کـانوا یطبقون ذلک مشوها و ممسوخا،ع.

۱- ذکر الیعقـوبی فی تـاریخه ج ۱ ص ۲۵۴- ۲۵۷ ط صـادر تلبیـات کـل قبیله، و أعطی نبـذه عن شـعائرهم فی مکه، فمن أراد فلیراجع.

و يقحمون فيه ما ليس منه. و كانت هذه المعالم تضعف رويدا رويدا، مع الزمن، حتى لم يبق منها إلا الاسماء، و الرسوم الشوهاء.

و قد روى عن الامام الصادق (عليه السلام) ما مفاده: إن العرب كانوا أقرب الى الدين الحنيفى من المجوس؛ فان العرب يغتسلون من الجنابه، و الإغتسال من خالص شرايع الحنيفيه. و هم أيضا يختتنون، و هو من سنن الانبياء، كما أنهم يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، و يوارونهم فى القبور، و يلحدونهم، و يحرمون نكاح البنات و الأخوات، و كانوا يحجون إلى البيت و يعظمونه، و يقولون: بيت ربنا، و يقرون بالتوراه و الانجيل، و يسألون أهل الكتب، و يأخذون منهم. و كانت العرب فى كل الاسباب اقرب إلى الدين الحنيفى من المجوس (١).

إذن، فقد كان ثمه ذكريات بعيده فى ضمير و وجدان الانسان العربى، تربطه بالحنيفيه السهله السمحاء، دين آبائه و أجداده- و هو الذى يعتز بالانساب وصفائها، بحكم ما يتعرض له من الغزو و السبى الموجب للتهمه أحيانا- و إذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد بعث ليتمّمها؛ فمن الطبيعى أن يكون لهذه الذكريات أثر فى نظره كثير من الناس إليه، و إلى ما جاء به بإيجابيه و واقعيه.

٩- الخصائص و العادات العربيه:

و لقد كان لبعض الخصائص، و الاخلاق، و العادات العربيه، اثر كبير فى نشر دعوه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، التى هى دعوه الحق و الخير و شمولها. و إن كان الاسلام الذى استفاد من تلك الخصائص و العادات و الأخلاق، قد حاول إلى جانب ذلك تركيزها من حيث المنطلقات و الأهداف على أسس صحيحه و مقبوله. و أما إن كانت مرفوضه٨.

١- راجع: الاحتجاج، للطبرسى ج ٢ ص ٩١/ ٩٢ و البحار ط مؤسسه الوفاء ج ٧٨ ص ٨.

إسلاميا، فانه- و إن كانت قد أفادته تلقائيا، و من دون أن يتطلب هو ذلك- كان يحاول القضاء عليها، و استئصالها، بالحكمه و الموعظه الحسنه، كلما سنحت له الفرصه، و واتاه الظرف.

فمثلا: لقد استفاد الاسلام كثيرا من شجاعه العربى، و استهانته بالصعاب، فى الدفاع عن الاسلام.

و أيضا، فقد كان للتعصب القبلى بعض الفوائد الهامه، حتى ليذكرون أنه بعد الهجره الى المدينه؛ كان الأوس و الخزرج: (يتصاولان مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا فيه عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) غناء الإ قالت الخزرج: و اللّه، لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى الاسلام؛ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. قال: و إذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك) (١).

و أما قبل الهجره فى مكه، فقد كان للقبليه أثر كبير فى منع قريش و غيرها مده طويله من المضايقات لكثير ممن اعتنقوا الاسلام، ثم من محاوله الاعتداء على حياته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، أو على حياه اكثر المسلمين آنذاك، و إن كانت تواجههم بالمضايقات أحيانا، و احيانا بالتعذيب القاسى، إن لم يكن لهم عشيره يرهب جانبها، حتى أذن اللّه تعالى لهم بالهجره إلى المدينه.

و لذلك نلاحظ: أن أبا طالب (رحمه اللّه) قد استفاد كثيرا من العامل القبلى، حتى إن بنى هاشم مسلمهم و كافرهم قد قبلوا بمحاصره قريش لهم. و كانوا معه فى شعب ابى طالب كما سيأتى. و تجد فى شعر أبى طالب الكثير من التأكيد على عامل القرابه بين بنى هاشم و طوائف من۶.

١- تاريخ الطبرى ط الاستقامه ج ٢ ص ١٨۴ د و راجع الكامل لابن الأثير ط صادر ج ٢ ص ١۴۶.

قریش. الأمر الذی کان له أثر کبیر فی حفظ حیاته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من کید أعدائه کما قلنا.

بل إننا نجد المشرکین حتی فی عدائهم له (صلی اللّه علیه و آله و سلم)!، و حتی حینما تآمروا علیه لیقتلوه- و کان ذلک هو سبب هجرته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- قد أخذوا بعین الاعتبار العلاقات القبلیه، و ردّات الفعل التی سوف تنجم عنها فاختاروا عشره اشخاص، من کل قبیله رجلا، لیضربوا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بسیوفهم فی آن واحد و سیأتی ذلک إنشاء اللّه تعالی.

و فی المدینه ایضا کان ثمه أثر کبیر لکرم ضیافه العربی، و لوفائه بالعهد و الذمار، و لحسن الجوار، و لحریته، و حمیته، و انفته و عزته، و اعتداده بنفسه، و قوه إرادته، و للشجاعه، و الاقدام، و حتی لصفات القوه و الغلظه، التی ولدتها فیهم حیاه الغزو و الحرب، و جعلتهم قادرین علی التخلی عن العواطف فی سبیل دینهم و عقیدتهم، حتی لقد کانوا یقتلون ابناءهم، و آباءهم، و اخوانهم.

۱۰- دور أبی طالب، و علی (ع) و أموال خدیجه «علیها السلام»:

ثم إننا یجب أن لا ننسی الدور الذی اضطلع به الرجل العظیم، أبو طالب شیخ الابطح (علیه السلام)، الذی و فّر للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) حمایته المطلقه من کل أعدائه و مناوئیه.

ثم هنالک العامل الاقتصادی الذی وفرته له زوجته أم المؤمنین خدیجه صلوات اللّه و سلامه علیها، و التی کانت تمتلک- حسبما یری البعض- عصب الاقتصاد فی الجزیره العربیه کلها.

و قد أنفقت کل تلک الأموال علی المسلمین، فی الظروف الحرجه

التی واجهوها، إبّان اضطهاد قریش و حصارها الاقتصادی لهم.

و مما یدل علی أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان یتولی الانفاق علی المسلمین، من أموال خدیجه و أبی طالب (۱) قول أسماء بنت عمیس لعمر (۲) حین عیّرها بأنه سبقها بالهجره، و إنها حبشیه حجریه- علی ما نقل عن صحیح مسلم و غیره- قالت له: (کنتم مع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یطعم جائعکم، و یعظ جاهلکم (۳)).

و أخیرا، فیجب أن لا ننسی دور وصی و أخی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، أمیر المؤمنین (علیه السلام)، حسبما سیظهر ان شاء اللّه- و لو بنحو محدود- فی مطاوی هذه السیره العطره.

نعم لقد کان لکل ذلک دور هام فی حفظ الدعوه، و انتصارها، و انتشارها، کما لا یخفی علی الناقد البصیر، و المتتبع الخبیر.

و ثمه أسباب أخری قد ساعدت علی ظهور الاسلام، و انتشاره، و انتصاره، یمکن استجلاء بعضها من مطاوی التاریخ الاسلامی.

و نحن نکتفی هنا بهذا القدر؛ لنوفر الفرصه لعرض حیاه النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بعد البعثه، و بشکل موجز و واضح قدر الامکان.۴.

۱- البحار ج ۱۹ ص ۱۶ و أموال خدیجه أمرها أشهر من أن یذکر فراجع أمالی الشیخ الطوسی ج ۲ ص ۸۱/ ۸۲ و البحار ج ۱۹ ص ۶۱ و ۶۲.

۲- ستأتی مصادر ذلک فی فصل: هجره الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم ، حین الکلام حول ثروه أبی بکر.

۳- قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۳۸۰ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۳۶۱ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۰۵ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۷۲ و فتح الباری ج ۷ ص ۳۷۲ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۳۵ ط سنه ۱۳۰۹ ه، و کنز العمال ج ۲۲ ص ۲۰۶ عن أبی نعیم، و الطیالسی، و مسند أحمد ج ۴ ص ۳۹۵ و الأوائل ج ۱ ص ۳۱۴.

تنبیه هام و ضروری:

إن کـل مـا ذکرنـاه آنفـا لا یعنی: أن ظهور الاسـلام، و انتشاره فی الجزیره العربیه قـد کان أمرا طبیعیا، بحیث إنه لو توفرت هـذه العوامل لأی دعوه أخری، فانها تستطیع أن تحقق نفس النتائج التی حققها الاسلام.

بـل الامـر علی العکس من ذلـک تماما، فان ظهور الاسـلام، و انتصاره فی هـذه المنطقه هو بـذاته معجزه له، و دلیل علی حقانیه الاسـلام؛ و ذلک لأن الیهودیه قد کانت موجوده، و کانت هذه الظروف أیضا موجوده، و لکنها لم تستطع أن تؤثر أثرا یذکر فی عقلیه العربی، و لا فی سلوکه، و تصرفاته (۱).

و کـذلک الحـال بالنسـبه للنصـرانیه، التی کـانت تهتم فی تنصـیر کـل من تقـدر علی تنصـیره. ثم هنـاک الزرادشتیه و غیرها من الادیان.

و هـذا معناه: أن لنفس المبدأ، و الرساله، و القائد دورا هاما جدا، بل و الدور الأول و الاساس فی عملیه التغییر و فی النجاح و فی استمراره.

و بـدون ذلـک، فـان کـل نجـاح- لـو کـان- فلسوف یکون محـدودا جـدا، و لظروف معینه، و لسوف ینتهی بمجرد انتهـاء تلک الظروف.

و قد رأینا الاسـلام رغم ما عاناه من مصائب و بلایا حتی علی أیدی أبنائه- کان و لا یزال یزداد قوه و فعالیه علی مر الزمن، و فی مختلف الظروف و الأحوال، و لم یؤثر فقـدان تلک الظروف و العوامل، و لا تحولها و تقلبها لا فی الاسـلام، و لا فی فعالیته، إن لم نقل: إنه قد زاد فی ذلک بشکل ظاهر.

و الـذی یفسـر لنـا هـذه الظاهره، هو ما ذکرناه آنفا من أن الاسـلام یسـتطیع أن یسـتوعب طاقات الانسان، و یحولها و یطورها فی مصلحهن.

۱- و إن کان دین الیهود مقصورا علیهم و لا یتعداهم إلی غیرهم من الأممیین.

الرساله و الحق. كما أنه يستطيع أن يتلائم مع الظروف المختلفه، فهو يملك لكل داء دواء، و لكل مشكله حلا، و لكل ظرف ما يناسبه، على عكس غيره من الدعوات الجامده، و المحدوده.

و لذلك، فان الاسلام عند ما نجح فى الجزيره العربيه، و إن كان قد استفاد من بعض الظروف، و حوّل و طوّر الاوضاع السائده فى صالحه، إلا أنه كان فى نفس الوقت لا يجد فى المنطقه التى ظهر فيها الكثير من المميزات الهامه التى من شأنها أن تساعده فى مهمته. و لو لاها فان أى دعوه أخرى لا تستطيع أن تنجح. و لكن فقدها لم يؤثر على الاسلام، كما أن امتلاك اعدائه لها لم يؤثر عليه أيضا.

و هذا أحد أسرار عظمه الاسلام و سموّه. وفقنا اللّه للعمل فى سبيله، و الاهتداء بهديه، إنه ولى قدير.

القسم الثانی من البعثه حتی الهجره

اشاره

الباب الأول: من البعثه الى الاعلان بالدعوه

اشاره

ص: ۲۴۲

الفصل الأول: البعثه و المعجزه

اشاره

عمر النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» حین البعثه:

لقد بعث (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بعد عام الفیل بأربعین عاما، أی حینما بلغ الاربعین من عمره الشریف، علی قول أکثر أهل السیر، و العلم بالأثر. و کان قبل ذلک یسمع الصوت و لا یری الشخص حتی تراءی له جبرائیل و هو فی سن الاربعین.

و قیل: بل کان عمره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) حین بعثته إثنین، و قیل: ثلاثا. و قیل خمسا و أربعین سنه (۱).

و ربما لا یکون بین هـذه الأقوال منافاه إذا کان القائلون بها یأخذ بعضـهم، و بعضـهم الآخر لا یأخذ السـنوات الأولی، و هی فتره الدعوه الإختیاریه، أو فقل: السریه بنظر الإعتبار و التی قد اختلف فی مقدارها من ثلاث إلی خمس سنوات (۲).۳.

۱- راجع فی ذلـک کلا أو بعضا سیره مغلطای ص ۱۴، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۲۴، و تاریـخ الطبری ج ۲ ص ۴۲ و ۴۳، و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۴، و فی الطبری ج ۲ ص ۴۲ روایه تفید: ان عمره صلی الله علیه و آله وسلم کان حینئذ عشرین سنه، و هی روایه لا یرتاب أحد فی بطلانها. و راجع مشاهیر علماء الأمصار ص ۳.

۲- البحار ج ۱۸ ص ۱۷۷ و ۱۹۴ عن إکمال الدین ص ۱۹۷ و التمهید فی علوم القرآن ج ۱ ص ۸۱/ ۸۲ و راجع: تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۹ و سیره ابن هشام ج ۱ ص ۲۸۰، و المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۴۳.

أو لعل بعضهم لم يكن يرى أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) مرسل فی تلک الفتره إلی الناس کافه، أو أنه کان مکلفا بدعوه الاقربین فقط.

کما أن ذلک لعله هو سبب الإختلاف الظاهری فی مده بقاء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی مکه داعیا إلی اللّه فیها قبل الهجره، حیث قال بعضهم إنه: (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بقی عشر سنین. و قال آخرون: ثلاث عشره سنه.

تاریخ البعثه، و کیفیه نزول القرآن:

و المروی عن أهل البیت (علیهم السلام)- و أهل البیت أدری بما فیه و أقرب إلی معرفه شؤون النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الخاصه-:

أن بعثه النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کانت فی السابع و العشرین من شهر رجب. و هذا هو المشهور بل ادعی المجلسی الإجماع علیه عند الشیعه، و روی عن غیرهم أیضا (۱).

و قیل: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بعث فی شهر رمضان المبارک، و اختلفوا فی أی یوم منه (۲) و قیل فی شهر ربیع الأول، و اختلف أیضا فی أی یوم منه (۳).۸.

۱- راجع السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۳۸ عن أبی هریره، و سیره مغلطای ص ۱۴ عن کتاب العتقی عن الحسین، و منتخب کنز العمال هامش مسند أحمد ج ۳ ص ۳۶۲، و مناقب ابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۷۳ و البحار ج ۱۸ ص ۲۰۴ و ۱۹۰.

۲- راجع: تاریخ الطبری ج ۲ ص ۴۴ و سیره ابن هشام ج ۱ ص ۲۵۶، و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۲/ ۲۳ ط صادر و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۶.

۳- المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۳۹، و سیره مغلطای ص ۱۴، و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۲ و التنبیه و الإشراف ص ۱۹۸، و مروج الذهب ج ۲ ص ۲۸۷، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۳۸.

و استدل القائلون بأنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد بعث فی شهر رمضان المبارک، و لیس فی رجب بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إنما بعث بالقرآن، و القرآن قد أنزل فی شهر رمضان، قال تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ (۱)، و قال: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ (۲).

ثم ان هنا اشکالا آخر لا بد من الاشاره الیه؛ و حاصله: أن الآیتین المتقدمتین، و إن کانتا تدلان علی نزول القرآن دفعه واحده علی أحد الاحتمالین فی معنی الآیتین، إلا أن قوله تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ، وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا (۳) یدل علی نزول القرآن متفرقا؛ لأنه عبر فیها ب (نزّل)، الدال علی النزول التدریجی، و فیما تقدم عبر بأنزل، الدال علی النزول الدفعی بالاضافه إلی انه یقول فیها: فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ. و بالاضافه إلی قوله تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِدَهً (۴) حیث دلت الآیه علی نزول القرآن تدریجا.

و أیضا، یجب ان لا ننسی هنا: ان بعض الآیات مرتبط بحوادث آنیه، مقیده بالزمان، کقوله تعالی: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها (۵) و کاعتراض الکفار الآنف و غیر ذلک.

هذا کله عدا عن أن التاریخ المتواتر یشهد بأن نزول القرآن کان تدریجا، فی مده ثلاث و عشرین سنه، هی مده الدعوه.

و قد اجیب عن إشکال التنافی بین ما دل علی النزول الدفعی و النزول التدریجی؛ بأن النزول الدفعی کان إلی البیت المعمور؛ حسبما نطقت به الروایات الکثیره، ثم صار ینزل تدریجا علی الرسول الأعظم (صلی۱.

۱- سوره القدر: ۱.

۲- سوره البقره: ۱۸۵.

۳- الإسراء: ۱۰۶.

۴- الفرقان: ۳۲.

۵- المجادله: ۱.

اللّه علیه و آله و سلم) (۱).

و إذن، فلیکن نزوله الدفعی کان لیله القدر و نزوله التدریجی قد بدأ فی السابع و العشرین من شهر رجب، و لا یبقی ثمه منافاه.

و جواب آخر، یعتمد علی القول بأن القرآن قد نزل أولا دفعه واحده علی قلب النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، لکنه لم یؤمر بتبلیغه، ثم صار ینزل تدریجا بحسب المناسبات.

و ربما یستأنس لهذا الرأی ببعض الشواهد التی لا مجال لها (۲).

و رأی ثالث یقول: إن بدء نزول القرآن کان بعد البعثه بثلاث سنوات، أی بعد انتهاء الفتره السریه للدعوه، کما ورد فی عدد من الروایات، و نص علیه بعضهم (۳) و علی هذا فلا یبقی تناف بین بعثته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و سلم فی شهر رجب، و بین نزول القرآن فی شهر رمضان المبارک (۴).

أما نحن فنقول:

أولا: قال اللّه تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِدَهً (۵) فاستعمل التنزیل و أرید به النزول جمله واحده؛ فقولهم:

(تستعمل نزل فی خصوص التدریجی) لا یصح.۲.

۱- راجع: تفسیر المیزان ج ۲ ص ۱۵.
۲- راجع: تفسیر المیزان ج ۲ ص ۱۸ و تفسیر الصافی ج ۱ المقدمه التاسعه، و تاریخ القرآن للزنجانی ص ۱۰.
۳- راجع: التمهید فی علوم القرآن ج ۱ ص ۸۲/ ۸۳ عن الکافی ج ۲ ص ۴۶۰، و تفسیر العیاشی ج ۱ ص ۸۰ و الاعتقادات للصدوق ص ۱۰۱، و البحار ج ۱۸ ص ۲۵۳، و مستدرک الحاکم ج ۲ ص ۶۱۰ و الاتقان ج ۱ ص ۳۹ و تفسیر شبر ص ۳۵۰، و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۴ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۳۴.
۴- التمهید ج ۱ ص ۸۱ و ۸۳.
۵- الفرقان: ۳۲.

ثانیا: إن تتبع الآیات القرآنیه یعطی عدم ثبوت الفرق المذکور بین:

(الانزال) و (التنزیل) مثلا. قد ورد فی القرآن قوله تعالی: وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَیْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ (۱) مع أن الکتاب المقروء إنما ینزل دفعه واحده.

کما و یلاحظ: أنه یستعمل کلمه (نزل) تاره، و کلمه (أنزل) مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً.

و مثل ذلک کثیر، لا مجال لنا لتتبعه فعلا. و کل ذلک یدل علی عدم صحه هذا الفرق بین هاتین الصیغتین و قد أشار إلی هذا الجواب بعض المحققین أیضا (۲).

و ثالثا: قولهم: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد بعث بالقرآن، غیر مسلم. و لتکن الروایات الوارده عن أهل البیت، و القائله بأنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد بعث فی شهر رجب موجبه لوهن قولهم هذا.

و رابعا: روایات نزول القرآن إلی البیت المعمور لا مجال لإثباتها من طریق أهل البیت (علیهم السلام) و لا إلی الاطمینان إلی صحتها، کما ذکره الشیخ المفید (۳)

و أما نزول القرآن أولا دفعه واحده علی قلبه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؛ فإن إثباته مشکل، و لا یمکن المصیر إلیه إلا بحجه.

و خامسا: حدیث نزول القرآن بعد البعثه بثلاث سنوات، إستنادا إلی ما ورد من أن القرآن قد نزل خلال عشرین سنه، لا یمکن الإطمینان إلیه، إذ یمکن أن یکون ذلک قد جاء علی نحو التقریب و التسامح، و لم یرد۸.

۱- الإسراء: ۹۳.

۲- هو العلامه السید مهدی الروحانی حفظه اللّه.

۳- تصحیح الاعتقاد ص ۵۸.

فی مقام التحدید الدقیق- و من عاده الناس: أن یلقوا الزائد القلیل، أو أن یضیفوه فی إخباراتهم، و لیس فی ذلک اخبار بخلاف الواقع؛ لأن المقصود هو الاخبار بما هو قریب من الحد، لا بالحد نفسه، مع إدارک السامع لذلک، و التفاته إلیه.

نعم یمکن أن تکون معانی القرآن و حقائقه قد نزلت علی قلبه الشریف لیکون (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إنسانا کاملا، یربی نفسه علی تلک المعانی.

و لکن هذا ایضا یبقی مجرد احتمال، و یحتاج إلی إثبات.

و النتیجه هی: أنه لا مانع من أن یکون (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد بعث و صار نبیا فی شهر رجب، کما أخبر به أهل البیت (علیهم السلام) و هیئ لیتلقی الوحی القرآنی. إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا (۱)، ثم بدأ نزول القرآن علیه تدریجا فی شهر رمضان المبارک.

کما أنه لا مانع من ان تکون حقائق القرآن و معانیه قد نزلت علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) دفعه واحده، ثم صار ینزل علیه تدریجا.

و یؤید هذا الإحتمال الأخیر روایه رواها المفضل عن الإمام الصادق (علیه السلام) تفید ذلک فلتراجع (۲) و یؤیده أیضا: ما ورد من أنه کان له ملک یسدده، و یأمره بمحاسن الأخلاق. و أن الملک کان یترائی له، قبل ان ینزل علیه القرآن (۳) و أن جبرئیل قد لقیه الخ ..

و یری بعض المحققین (۴): أنه یمکن الجمع بین الآیات، بأن یقال:ه.

۱- المزمل: ۵.
۲- البحار ج ۹۲ ص ۳۸ و ج ۱ ص ۵۳.
۳- التمهید فی علوم القرآن ج ۱ ص ۸۳ و یحتمل أیضا: أن یکون القرآن قد نزل فی شهر رمضان فی لیله القدر دفعه، لکنه لم یؤمر بتبلیغه، ثم صار ینزل علیه تدریجا لأجل التبلیغ فی المناسبات المقتضیه لذلک.
۴- هو العلامه السید مهدی الروحانی حفظه اللّه.

إن شروع نزول القرآن كان فی لیله مبارکه، هی لیله القدر من شهر رمضان، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ (شهر رمضان الذی أنزل فیه القرآن). و کان أول ما نزل حسب روایات أهل البیت (علیهم السلام)، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ.

و الاستدلال بهذه الآیات: علی أن القرآن نزل أولا- دفعه إلی البیت المعمور أو علی قلب النبی، ثم صار ینزل تدریجا فی مده عشرین، أو ثلاث و عشرین سنه و ذلک إعتمادا علی قرینه الحال، حیث إن المسلمین یرون نزوله تدریجا.

هذا الإستدلال غیر صحیح، لأن من الممکن أن یکون المراد بالإنزال و التنزیل واحد و هو بدء النزول، فإنه إذا شرع نزول المطر فی الیوم الفلانی، و استمر لعده أیام، فیصح أن یقال مثلا- سافرت یوم أمطرت السماء، أی فی الیوم الأول من بدء نزوله. و کذلک الحال بالنسبه للقرآن؛ فإنه إذا بدأ نزوله فی شهر رمضان، فی لیله القدر، فیصح أن یقال مجازا مع وجود القرینه، و هی النزول التدریجی: نزل القرآن فی شهر رمضان، و یکون المراد أنه قد بدأ نزوله التدریجی فیه.

و قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ محتف بقرینه حالیه؛ یعلمها کل أحد و هو نزول خصوص أول سوره (إقرأ) و استمر ینزل تدریجا بعد ذلک. و هذا کما صح أن یقال: کما أنزلناه من السماء، مع أن المطر ینزل تدریجا. و ما ذلک إلا لأهمیه ذلک الیوم و خطره، و کل حادث خطیر له امتداد زمنی، إنما یسجل یوم شروعه، فإذا قیل مثلا: متی کانت دوله العباسیین، فسیکون الجواب بذکر سنه التأسیس قطعا.

و أما حدیث البخاری فی بدء الوحی و الدال علی اقتران نزول القرآن بالنبوه فسیأتی أنه باطل لا یصح.

ثم إنه یمکن تقریب کلام هذا المحقق بنحو آخر و هو أن قوله تعالی:

أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ إنما هو حکایه عن أمر سابق، و لا یشمل هذا الکلام الحاکی له إلا بضرب من العنایه و التجوز، و لا الذی یأتی بعده، و إلا لجاء التعبیر بصیغه المضارع، أو الوصف فإنه یکون حینئذ هو الاوفق (۱).

و لعل ابن شهر آشوب کان ینظر إلی هذا حین قال فی متشابهات القرآن: (و الصحیح: أن القرآن فی هذا الوضع لا یفید العموم، و إنما یفید الجنس، فأی شی ء نزل فیه؛ فقد طابق الظاهر) (۲).

هذا و لکن قد ورد ما یؤید نزول القرآن دفعه واحده أولا، ثم صار ینزل تدریجا بعد ذلک؛ فقد روی عن الإمام الصادق (علیه السلام) قوله: یا مفضل، إن القرآن نزل فی ثلاث و عشرین سنه، و اللّه یقول: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ. و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ و قال: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِدَهً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ.

قال المفضل: یا مولای فهذا تنزیله الذی ذکره اللّه فی کتابه، و کیف ظهر الوحی فی ثلاث و عشرین سنه؟

قال نعم یا مفضل، أعطاه اللّه القرآن فی شهر رمضان و کان لا یبلغه إلا فی وقت استحقاق الخطاب، و لا یؤدیه إلا فی وقت أمر و نهی فهبط جبرائیل بالوحی، فبلغ ما یؤمر به و قوله: لا تحرک به لسانک لتعجل به (۳).

و لکن ما سبق یضعف درجه الإعتماد علی هذه الروایه.۸.

۱- قد أشار إلی ذلک فی: التمهید فی علوم القرآن ج ۱ ص ۸۴.
۲- التمهید فی علوم القرآن ج ۱ ص ۸۵.
۳- البحار ج ۸۹ ص ۳۸.

بدء الوحی و أول ما أنزل:

لقـد کان بدء الوحی فی غار حراء، و هو جبل علی ثلاثه امیال من مکه و یقال: هو جبل فاران، الذی ورد ذکره فی التوراه إلا إن الظاهر هو أن فاران إسم لجبال مکه، کما صرح به یاقوت الحموی، حسبما تقدم، لا لخصوص حراء.

و کان (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) یتعبـد فی حراء هـذا، علی النحو الـذی ثبتت له مشـروعیته، و کان قبل ذلک یتعبد فیه عبد المطلب.

و أول ما نزل علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هو قوله تعالی:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۱).

و هذا هو المروی عن أهل البیت (علیهم السـلام) (۲)، و روی أیضا عن غیرهم بکثره. و یدل علیه أیضا سـیاق الآیات المذکوره. (۳)

و ربما یقال: إن أول ما نزل علیه (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) هو فاتحه الکتاب (۴)، و لا سـیما بملاحظه: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد صلی فی الیوم الثانی هو (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و علی (علیه السلام)، و خدیجه (علیها السلام)، حسبما ورد فی الروایات.

و لکن من الواضح: أن ذلک لا یثبت شـیئا؛ إذ یمکن أن تنزل الفاتحه بعد سوره إقرأ، بلا فصل، ثم یصـلی و یقرؤها فی صـلاته. کما أن۴.

۱- سوره العلق: ۱ و ۲ و راجع تفسیر البرهان.

۲- تفسیر البرهان ج ۱ ص ۲۹.

۳- الدر المنثور ج ۶ ص ۳۶۸ و الاتقان ج ۱ ص ۲۳.

۴- الدر المنثور ج ۱ ص ۲۴.

من الممکن أن تکون صلاتهم آنئذ غیر مشتمله علی فاتحه الکتاب، ثم وجبت بعد ذلک و إن کان لم یذکر أحد ذلک.

أما قوله: عن الـذی لا یقرأ بفاتحه الکتاب: لا صـلاه له (۱) و قوله (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم): کل صـلاه لا یقرأ فیها بفاتحه الکتاب فهی خداج (۲).

فهو لا ینافی ذلک إذ یمکن أن یکون ذلک تشریعا حادثا بعد ذلک.

هذا کله عدا عن أنهم یروون: أن سوره الفاتحه قد نزلت بعد المدثر (۳) أی بعد عده سنوات من البعثه.

هذا، و ثمه قول آخر، و هو أن أول ما نزل علیه (صـلی اللّه علیه و آله و سلم) هو سوره المدثر (۴)! و ستأتی الإشاره إلی أنها قد نزلت بعد المرحله الإختیاریه أو فقل: السریه، کما أنهم یروون روایات عدیده تنافی قولهم هذا (۵).

و علی کل حال، فإن تحقیق هذا الأمر لا یهمنا کثیرا، فلا بد من توفیر الفرصه للحدیث عن الأهم فالأهم.

و لا بأس بأن نعطف الکلام هنا إلی الحدیث عن معجزته (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم)، و هی القرآن، و سر إعجازه، فان ذلک ربما تکون له أهمیته البالغه، لمن یرید أن یقرأ سیره النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و یستفید منها: عقیده، و شریعه، و أدبا، و سلوکا.۲.

۱- الوسائل ج ۴ ص ۷۳۲.
۲- الوسائل ج ۴ ص ۷۳۳.
۳- الاتقان ج ۱ ص ۲۴.
۴- الاتقان ج ۱ ص ۲۳، و البخاری، و غیره و الأوائل للطبرانی ص ۴۳ و ستأتی الروایه.
۵- راجع تفسیر المیزان ج ۲ ص ۲۲.

مع العلم بأن كثيرا من الأحداث قد جاءت مرتبطه بالقرآن، و كانت سببا فى نزول طائفه من آياته و لا بد من الإستدلال به عليها، فنقول:

إعجاز القرآن:

لقد تحدى اللّه أعداء الإسلام بأن يأتوا بمثل القرآن، فلما عجزوا تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن، فعجزوا عن ذلك أيضا، ثم صعد تحديه لهم، و طلب منهم أن يأتوا بسوره واحده من مثله، فلو أنهم استطاعوا أن يأتوا و لو بقدر سوره الكوثر، التى هى سطر واحد، لثبت بطلان هذا الدين الجديد من أساسه، ما دام أنه هو قد قبل بهذا التحدى مسبقا، و لكانوا قد وفروا على أنفسهم الكثير من الويلات، التى أقدموا عليها بإعلانهم الحرب على النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و التى أدت إلى إزهاق النفوس الكثيره، و هدر الطاقات العظيمه، و غير ذلك من مصائب و كوارث، انتهت بهزيمتهم، و انتصار الإسلام و قائده الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

فما هى تلك الخصيصه التى فى القرآن، و التى جعلتهم يعجزون عن مجاراته، و حتى عن أن يأتوا ب (سوره من مثله)؟!.

بل ما هى تلك الخصيصه التى سوغت التحدى بالقرآن للإنس و الجن معا دون اختصاص بزمان دون زمان، قال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (١).

ربما يقال: إنها اخباراته الغيبيه الصادقه، سواء بالنسبه إلى الماضين كقوله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ، ما كُنْتَ٨.

١- الإسراء: ٨٨.

تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هذا (۱). أو بالنسبه لتنبؤاته المستقبليه، کقوله تعالی: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ فِی بِضْعِ سِنِینَ (۲). و کاخباره بنتائج حرب بدر العظمی، و غیر ذلک (۳).

و ربما یقال: إنه لتضمن القرآن للمعارف العلمیه، التی تنسجم مع العقل و البرهان. و اخباراته عن سنن الکون و أسرار الخلیقه، و أحوال النظام الکونی، و غیر ذلک من أمور لا- یمکن الوصول إلیها إلا بالعلم و المعرفه الشامله و الواسعه، ألأمر الذی لم یکن متوفرا فی البیئه التی عاش فیها النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کقوله تعالی: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ و غیر ذلک من الآیات التی تشیر إلی دقائق و حقائق علمیه، فی مختلف العلوم و الفنون.

و ربما یقال: إن إعجازه إنما هو فی نظامه التشریعی الذی جاء به، و الذی لا یمکن لرجل عاش فی بیئه کالبیئه التی عاش فیها الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و عانی من الظروف و الأحوال الإجتماعیه، و مستوی الثقافه فی ذلک العصر، أن یأتی بمثل ذلک مهما کان عظیما فی فکره، و ذکائه، وسعه أفقه.

و لربما نجد الإشاره إلی هذین الرأیین فی قوله تعالی: قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۴).۶.

۱- هود ۴۹ و لیراجع أیضا سوره یوسف ۱۰۲ و سوره آل عمران ۴۴ و غیر ذلک.

۲- أول سوره الروم.

۳- راجع: البیان للخوئی ص ۸۱- ۸۴.

۴- یونس: ۱۶.

و أخيرا، فلربما يقال: إن إعجاز القرآن هو فی عدم وجود الإختلاف فيه، و لذلک تری أنه قد تحداهم بذلک فقال: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (۱).

و ثمه إشارات أخری لجزئيات ربما يدخل أكثرها فما قدمناه ...

و لعل فيما ذكرناه كفايه.

و ثمه قول آخر، أكثر شيوعا و معروفيه و لا- سيما بين القدماء. و هو إعجاز القرآن فی الفصاحه و البلاغه. و قد كتبوا فی هذا الموضوع الشی ء الكثير قديما و حديثا.

اما نحن فنقول: إن هذا الأخير هو السر الأعظم فی اعجاز القرآن الكريم حقا. و هو يستبطن سائر الجوانب الإعجازيه المذكوره آنفا و غيرها مما لم نذكره (۲).

لماذا الأخير فقط:

و أما لماذا هذا الأخير فقط دون سواه فإن ذلک واضح، حيث إننا نقصد ب (البلاغه) معنی أوسع مما يقصده علماء المعانی و البيان، و هذا المعنی يستبطن جميع وجوه الإعجاز و ينطبق عليها، و بيان ذلک يحتاج إلی شی ء من البسط فی البيان فنقول:

إنه إذا كان الرسول (صلی اللّه عليه و آله و سلم) قد أرسل للناسن.

۱- النساء: ۸۱.

۲- حيث يجد كل فريق فی هذا القرآن ما يناسب فكره و عقليته و يراه معجزا حقا؛ فالإخبارات الغيبيه و النظام الكامل الذی أتی به و غير ذلک من أمور لا تخفی مما يمكن لأهل كل لغه أن يدركوها هی من مصاديق البلاغه لهم. و حتی الفصاحه و البلاغه فإن بالإمكان لغير العربی أن يدركها أيضا بتعلم اللغه العربيه و معرفه سر القرآن أو الاعتماد علی النقل القطعی ممن قد اطلع علی بعض جوانب إعجاز القرآن.

کافه فلا بد أن تکون معجزته بحیث یستطیع کل من واجهها: أن یدرک إعجازها، و أنها أمر خارق للعاده و أنها صادره عن قدره علیا، و قوه قاهره، تهیمن علی النوامیس الطبیعیه، و تقهرها. و إلا فإنه إذا جاء شخص مثلا إلی بلد، و ادعی أنه یعرف اللغه الفلانیه، و لم یکن أحد فی البلد یعرف شیئا من تلک اللغه، و لا سمع بها، فإنهم لا یستطیعون أن یحکموا بصدقه و لا بکذبه، إذ لیس لهم طریق لاثبات هذا الصدق أو الکذب.

و أما إذا ادعی أمرا لهم خبره فیه، و استطاعوا ان یتلمسوا فیه مواقع خرقه للنوامیس الطبیعیه فلا بد لهم من التسلیم له و القبول بدعوته، لأن ذلک یکون قاطعا لعذرهم، و موجبا لخضوع عقولهم لما یأتی به.

و بکلمه .. لا بد أن تکون معجزه النبی فی کل عصر متناسبه مع خبرات ذلک العصر، و لکل من أرسل إلیهم؛ لیمکن إثبات إعجازها لهم، و إقامه الحجه علیهم. و إذا کان القرآن قد تحداهم أن یأتوا بسوره واحده من مثله، فلا بد أن یکون وجه الإعجاز فیه ساریا لیصل حتی إلی أصغر سوره فیه.

و إذا نظرنا إلی ما ذکروه آنفا، فإننا نجد أن بعض السور لا تشتمل علی شی ء مما ذکروه. مع ان التحدی به وارد.

اضف الی ذلک: أن الاخبار بالغیب مثلا لا یمکن ان یکون قاطعا لعذر من ألقی إلیهم إلا بعد تحقق المخبر عنه. و قد یطول ذلک إلی سنوات عدیده. أما من یأتون بعد ذلک فلربما یصعب علیهم الجزم بتحقق ما أخبر به.

أما القضایا العلمیه- فلربما لا یکون من بینهم من له الخبرات اللازمه فی تلک العلوم؛ لیمکن إدراک الإعجاز فیها؛ فإن ذلک رهن بتقدم العلم، و تمکن العلماء من استجلاء تلک الحقائق من القرآن.

و حتی لو أدرک ذلک بعضهم، فلربما یحمله اللجاج، أو غیر ذلک

من مصالحه الشخصيه (بنظره) على إنكار ذلك و إخفائه- كما كان الحال بالنسبه الى أهل الكتاب، الذين كانوا يعرفون النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما يعرفون أبنائهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه و الإنجيل.

و لكن الاحبار و الرهبان أخفوا ذلك و أنكروه، لمصالح شخصيه، أو لغير ذلك، مما وجدوا فيه مبررا للاقدام على خداع أنفسهم، و خداع غيرهم.

و هكذا يقال بالنسبه للإعجاز التشريعى، و غير ذلك من أمور.

و يبقى سؤال.

ما هو وجه الإعجاز فى القرآن إذن؟

و فى مقام الإجابه على هذا السؤال نقول:

بلاغه القرآن:

قبل كل شى ء ينبغى التذكير بأن ما ذكرناه آنفا.

لا يعنى أن الإخبار بالغيب، و غير ذلك مما ذكرناه، و مما لم نذكره، غير موجود فى القرآن. بل هو موجود فيه بأجلى مظاهره و أعظمها، و هى معجزات أيضا لكل أحد و لكننا نقول: إن ذلك ليس هو الملاك الأول و الأخير لإعجاز القرآن، و إنما ملاك الإعجاز فيه هو أمر يستطيع كل أحد أن يدركه، و أن يفهمه- و هو أمر تشتمل عليه حتى السوره التى لا تزيد على السطر الواحد، كسوره الكوثر مثلا. و هو أيضا أمر يجده كل أحد، مهما كان تخصصه، و مهما كان مستواه الفكرى، و أيا كان نوع ثقافته، و فى أى عصر، و فى أى ظرف. و هو كذلك أمر يشمل كل ما تقدم، و سواه مما لم نذكره، و يضمه تحت جناحيه؛ و ذلك الأمر هو:

البلاغه:

فأما أن ما تقدم يرجع: إلى البلاغه؛ فلأن حقيقه البلاغه- كما

عرفوها- هی: مطابقه الکلام لمقتضی الحال، أو للاعتبار المناسب.

و القرآن مطابق لمقتضـی الحال دائما و فی کل زمان، و الی الابـد و مع کل شـخص؛ لأنه خطاب لهم جمیعا، و معجز له جمیعا؛ فحین یخبر عن الغیب، فإنمـا اقتضـی الحال ذلک. و کـذلک حین یکشف عن أسـرار الکون، و خفایا الطبیعه، و یشـیر الی بعض الحقـائق العلمیه، و کـذلک أیضـا حین یضع أعظم تشـریع، و أروع نظـام عرفته الإنسانیه، إلی غیر ذلک مما تقـدم ذکره و ما لم نذکره.

بـل أن تکون ظروف نشأه الرسول الاـعظم هی تلک، فإن ذلک له أهمیه کبری فی قبول الـدعوه، و الإذعان لها. و کـذلک فان الکلام الـذی یختلف صـدره و ذیله، أو یختلف من وقت لآخر. مع کون الهـدف واحدا، و المخاطب و المتکلم واحدا. لا یمکن أن یکون بلیغا، و لا مطابقا لمقتضی الحال، کما یقولون.

الإعجاز بالبلاغه کیف؟ و لماذا؟!

و أما کیف عجزت الإنس و الجن، عن مجاراه هـذا القرآن. و کیف أمکن اعتبار البلاغه القرآنیه هی سـر الإعجاز فیه؛ فان ذلک یحتاج إلی توسع فی القول، و بسط فی البیان، فنقول:

إن لدلاله الکلام علی المعنی فی مقام التفهم و التفهیم شروطا:

منها: أن یکون اللفظ الذی یلقیه المتکلم قادرا علی تحمل المعنی المطلوب، بأی نحو من أنحاء التحمل، سواء من حیث مفردات الجمله، أو من حیث نوعیه ترکیبها، أو من جهه المقایسه بینها و بین غیرها.

و منها: أن یکون المستوی الفکری و الثقافی للمتکلم بحیث یستطیع أن یقصد تلک المعانی التی یقدر اللفظ علی تحملها.

و منها: أن یکون ذلک المعنی منسجما أیضا مع نوعیه اختصاص

ذلک المتکلم، و مع مرامیه و أهدافه.

و منها: قدره المخاطب او المخاطبین علی استیعاب مقصود المتکلم، و لو علی امتداد الزمن.

هذه هی الشروط التی لابد أن تتوفر فی عملیه التفهم و التفهیم بین کل متکلم و مخاطب.

و لکن ذلک یحتاج إلی توضیح و تطبیق بالنسبه لما نحن بصدده، فنقول:

التوضیح و التطبیق:

و فی مجال التوضیح و التطبیق نقول:

إن اللغه العربیه بما لها من خصائص و ممیزات أقدر اللغات إطلاقا علی تحمل المعانی، فنجد أنهم یذکرون للجمله المؤلفه من کلمتین فقط عشرات الخصائص و الممیزات التی تشیر کل منها إلی العدید من الآثار المحتمله، التی یمکن للفظ أن یتحملها بالنسبه للمعنی المدلول، فالمسند إلیه مثلا تاره یکون إسما جامدا، و أخری مشتقا. و تاره یکون ظاهرا، و أخری مضمرا، مقدما أو مؤخرا، محذوفا أو مذکورا، منکرا أو معرفا، و التعریف لکل واحد منها له أنحاء، لکل منها آثار و إشارات لخصوصیات فی المعنی.

و کذا الحال فی جانب المسند، الذی تاره یکون فعلا- بأقسامه الثلاثه- و أخری إسما، جامدا، أو مشتقا، معرفا أو منکرا، مقدما أو مؤخرا، مذکورا أو محذوفا، إلی آخر ما هنالک. و کل واحده من هذه لها آثار مختلفه و متعدده یحتمل إرادتها أیضا.

فمثلا قد یکون ذکره للتحقیر أو عکسه، أو للتبرک به، أو إیهام

استلذاذه، أو للتنبيه على غباوه السامع، أو للتقرير، أو للايضاح إلى غير ذلك.

و قد يحذف للتعظيم، أو للتحقير، أو للاستغناء عنه، او لإيقاع السامع فى حيره، إلى غير ذلك مما هو مذكور فى محله.

و كذا سائر الخصوصيات التى ذكرناها، و مالم نذكره أكثر بكثير.

هـذا بالاضـافه الى الاسـتعارات، و الكنايـات، و التعريضـات، و الإشـارات، و غير ذلـك ممـا تكفـل لبيـانه علم المعانى و البيان و البديع.

حتى إنهم ليذكرون العديد من الإمتيازات لقوله تعالى: فِي الْقِصاصِ حَياةٌ على ما كان أبلغ كلام عند العرب. و هو قولهم: (القتل أنفى للقتل).

و يكفى أن نشـير الى أن جمله زيـد قائم، إذا لوحظ المسـند اليه فيها فإنه ظاهر، و مقدم، و معرف بالعلميه. و كل من هذا الثلاثه يقع على حالات كثيره. و كذا الحال بالنسـبه للمسـند و هو كلمه- قائم. ثم لا بد من ملاحظه الهيئه التركيبيه، و موقعها من غيرها، و مع مالها من متعلقات.

و هكـذا يتضح أن الجمله الواحده ربما تفيد معنى له العديد من الخصوصـيات الهامه، فكيف إذا لوحظت تلك الجمله مع غيرها من الهيئات التركيبيه الأخرى، ثم أريد استخلاص المعانى من المجموع.

هذا كله، بالإضافه الى لزوم معرفه أساليب العرب، و طرائق استعمالاتهم للكلام و مقاماتها، فإن ذلك يفيد كثيرا فى الوقوف على معانى القرآن، و فهم مراميه.

و قـد روى أن بعضـهم كان فى مجلس الإمام السـجاد (عليه السـلام)؛ فقال له: يا ابن رسول اللّه، كيف يعاتب اللّه، و يوبخ هؤلاء الاخلاف على قبائح اتاها أسلافهم، و هو يقول: لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى؟!

فقال زین العابدین (علیه السلام):

(إن القرآن نزل بلغه العرب، فهو یخاطب فیه أهل اللسان بلغتهم؛ یقول الرجل التمیمی، قد أغار قومه علی بلد، و قتلوا من فیه: أغرتم علی بلد کذا، و فعلتم کذا؟!

و یقول العربی: نحن فعلنا ببنی فلان، و نحن سبینا آل فلان، و نحن خربنا بلد کذا، لا یرید أنهم باشروا ذلک، و لکن یرید هؤلاء بالعذل، و أولئک بالافتخار: أن قومهم فعلوا کذا.

و قول اللّه عز و جل هذه الآیات انما هو توبیخ لأسلافهم، و توبیخ العذل علی هؤلاء الموجودین؛ لأن ذلک هو اللغه التی نزل بها القرآن؛ و لأن هؤلاء الأخلاف أیضا راضون بما فعل أسلافهم، مصوّبون لهم؛ فجاز أن یقال: أنتم فعلتم؛ إذ رضیتم قبح فعلهم (۱).

و لا بد أیضا من معرفه خصوصیات الألفاظ و أسرار إختیاراتها لمواقعها. و قد روی: انه لما نزل قوله تعالی: إِنَّکُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ قال إبن الزبعری: فنحن نعبد الملائکه و الیهود تعبد عزیرا، و النصاری تعبد عیسی (علیه السلام) فأخبر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فقال: یا ویل أمه، أما علم إن ما لما لا یعقل و من لمن یعقل الخ (۲).

هذا، و لقدره اللغه العربیه علی تحمل المعانی الدقیقه و العمیقه، نجد أن اللّه تعالی قد اختارها لتکون لغه القرآن، و قد نوه بذلک، و وجه إلیه الأنظار و الافکار، و دعا الی استخلاص المعانی الدقیقه من کتابه الکریم۴.

۱- الاحتجاج ج ۲ ص ۴۱ و البحار ج ۴۵ ص ۲۹۶.

۲- راجع: الکنی و الألقاب ج ۱ ص ۲۹۴.

فقال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۱) و قال: كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۲) و قال: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (۳) إلى غير ذلك من الآيات؛ فلننظر بدقه إلى قوله: لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و إلى قوله: لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ و إلى قوله: مُبِينٌ فإنه كله يشير الى ما ذكرنا.

و بالنسبه للمستوى الفكرى، و هو الشرط الثانى نقول: لو قال شخص عادى لا اطلاع له على شى ء من العلوم: (كل شى ء يحتاج الى عله). فإننا لا نفكر فى مقصوده كثيرا، بل ينتقل ذهننا مباشره إلى أن مراده هو المؤثر الظاهرى فى وجود الشى ء؛ فإذا أراد شخص أن يقول: لعله أراد العله الغائيه أو الماديه، أو الصوريه، أو قصد بالعله السبب، أو العله التامه و نحو ذلك. فإننا نقول له فورا: لا، إن كلامه لا يدل على ذلك و لا ينظر إليه.

ولكن- لو قال نفس هذه الكلمه إبن سينا مثلا؛ فإننا لا بدّ أن نفكر لنعرف: هل أراد بالعله واحدا مما تقدم أم لا؟. و هل أراد بالشى ء البسيط أم المركب؟! و هل؟ و هل؟، إلى آخر ما هنالك من احتمالات، يمكن لابن سينا أن يقصدها من كلمه كهذه.

و إذا كان القائل طبيبا مثلا فإننا لا بد أن نفتش عن معان تتناسب مع اختصاصه و نوع ثقافته. و حتى أهدافه، فان كل ذلك يؤثر تأثيرا كبيرا فى تفهيم المعنى، و معرفه نوعه و مستواه، حيث لا بد و ان ينسجم مع تلك الاهداف، و يتلائم مع المستوى الثقافى و الفكرى للمتكلم.

و أما إذا كان القائل يمتاز بسعه الافق و الشموليه، كأمير المؤمنين۹.

۱- يوسف: ۲.

۲- فصلت: ۳.

۳- الشعراء: ۱۹۹.

(علیه السلام)؛ فإننا لا بد و أن نعد أنفسنا لطرح أی احتمال، یتناسب مع شخصیه و مستوی و ثقافه و اهداف أمیر المؤمنین (علیه السلام). و لا بد أن نبحث الأعوام و السنین لنتمکن من التقرب- و لو بشکل محدود- إلی مرامیه و أهدافه؛ لأن فهم جمیع الخصوصیات التی یرمی إلیها المتکلم لا یمکن إلا من قبل من یدانی ذلک المتکلم فی سعه الافق، و الشمولیه، و عمق الفکر، و الغوص فی لجج الحقائق. و أین یمکن أن یوجد من هو مثل علی فی مستواه العلمی الشامخ، سوی معلمه و أستاذه، النبی الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، ثم الائمه من ولده؟

و لعل إلی هذا یشیر ما روی عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): یا علی، ما عرف اللّه إلا أنا و انت، و لا عرفنی إلا اللّه و أنت، و لا عرفک إلا اللّه و أنا (۱).

و بعد هذا فقد أصبح من الواضح: أن اللّه سبحانه و تعالی، و هو محیط بالکائنات، و مهیمن علی کل الموجودات. و لیس لعلمه حد محدود، و لا لصفته نعت موجود، إذا اختار اللغه العربیه لیحملها بعض مرامیه و أهدافه- و هی اللغه القادره علی التحمل بشکل مذهل و هائل، و لا تضارعها فی ذلک أیه لغه أخری- فإن هذا الإنسان المحدود فی ملکاته، و قدراته، و طاقاته النفسیه، و الفکریه، و غیرها، لا یمکنه حتی و لو بقی أبد الدهر، و حتی لو استعان بکل مخلوق و موجود، و سخر کل ما لدیه من طاقات و إمکانات- لا یمکنه- أن یکتشف إلا القلیل القلیل من المعارف القرآنیه، و لن یکون بإمکانه أن یأتی هو و کل من معه بمثل هذا القرآن، و لو کان بعضهم لبعض ظهیرا.

إذن، فلا بد أن نبقی ننتظر- باستمرار- أن یکتشف الإنسان کل۴.

۱- مدینه المعاجز ص ۱۱۶ عن تأویل الآیات الباهره فی الأئمه الطاهره و مستدرک البحار ج ۷ ص ۱۸۱ و ۱۸۰ و البحار ج ۳۹ ص ۸۴.

جدید فی هذا القرآن، تبعا لتقدم معارفه، و نمو قدراته الفكريه و الثقافيه.

و هـذا تاريـخ القرآن عبر القرون و الأجيال، خير شاهد و دليل على ما نقول؛ حيث إننا نلاحظ: أن كل عصـر يمتاز بتقدم علم أو علوم، و يتـألق فيه نجمهـا، و يقوى سـلطانها، ثم تعود تـدريجا لتتراجع أمـام زحف علم أو علوم أخرى لتحتل هی بـدورها أيضـا مكان الصـداره فی البحث و العمق و التحقيق و هكذا و لكن هذا القرآن العظيم يبقى هو المهيمن فی العصور كلها على العلوم و العلمـاء جميعـا، و يـدرک الكـل أنه فوق مسـتواهم، و لاـ تبلغه عقولهم، و لاـ تناله قـدراتهم، و يجـدون فيه ما يوجب خضوعهم لعظمته، و يدركون انه لا يزال فيه ما يعجزون عن إدراكه، و الإحاطه به، فضلا عن مجاراته.

كما أنه مع اختلاف الثقافات، و الإتجاهات، و المسـتويات على مرّ العصور؛ فإن الكل يجدون هذا القرآن مطابقا لمقتضـى الحال دائما و منسجما معه، و هذا هو الإعجاز حقا!!

و خلاصه الأمر: هـذه المئات من السـنين تمر، و الاجيال تأتی و تـذهب، و الإنسان لا يزال يكتشف المزيد من معارف القرآن، و أسـراره، و مراميه. و كلما توصل إلى شـی ء، فإنه يجـد أن هذا القرآن- ليس فقط قد جاء بمعارف و مرام لا تتناسب مع عقليه و ثقافه عصـر نزوله، الأمر الـذی يؤكـد على أنه من عنـد اللّه تعالی- و إنما يتجاوز ذلک كله، ليثبت لكل أحـد: أن أغواره لا تزال تحتضن المزيد من المعانی و الاسـرار، التی يرى هذا الإنسان نفسه عاجزا عن الوصول إليها و الحصول عليها. الصحيح من السيره النبی الأعظم، مرتضى العاملی ج ۲ ۲۶۴ التوضيح و التطبيق: ..... ص : ۲۵۹

و أكثر من ذلک، فلقد أصبح معروفا: أن الإنسان كلما أعاد قراءه هذا القرآن؛ فإنه يجده جديدا عليه فی معانيه و مراميه، و ذلک بسـبب اختلاف حالات و توجهات الإنسان، و نوعيه الصور الحاضره آنيا لديه، و الاجواء و الحالات النفسيه المهيمنه عليه. و هذه خصوصيه ثابته فی

القرآن لاـ تتغیر و لاـ تتبـدل علی مر الـدهور و العصور، و سیأتی انه کلمـا ذهب قرن یأتی قرن آخر؛ فیطلعون علی معنی جـدید للآیـات القرآنیه و لاـ یزال النـاس علی ذلـک الی یوم القیـامه، علی اعتبـار أنه کلما ترقت البشـریه فی مـدراکها و معارفها، کلما کانت أقدر علی اکتشاف معارف القرآن، و استکناه أسراره. و عن أمیر المؤمنین (علیه السلام) حول القرآن: فیه علم ما مضی، و علم ما یأتی إلی یوم القیامه. و حکم ما بینکم. و بیان ما أصبحتم فیه تختلفون (۱)

و عنه (علیه السلام): (لو شئت لأوقرت سبعین بعیرا من تفسیر فاتحه الکتاب) (۲).

و عنهم (علیهم السلام): (ظاهره أنیق، و باطنه عمیق).

و عنهم (علیهم السلام): (ظاهره حکم، و باطنه علم) (۳) و ما یشیر إلی هذا المعنی کثیر جدا لا مجال لاستقصائه.

و لعل إلی جمیع ذلک یشیر ما ورد عن الإمام الصادق (علیه السلام) و عن الإمام الحسین (علیه السلام): کتاب اللّه علی أربعه أشیاء، علی العبـاره، و الإشاره، و اللطائف، و الحقائق؛ فالعباره للعوام، و الإشاره للخواص، و اللطائف للأولیاء، و الحقائق للأنبیاء (۴).۹.

۱- البحار ج ۹۲ ص ۸۲ عن تفسیر القمی ج ۱ ص ۴.
۲- البحار ج ۹۲ ص ۱۰۳ عن أسرار الصلاه و ص ۱۰۴ عن الغزالی: أنه (ع) لو أذن له اللّه و رسوله لشرح معانی ألف الفـاتحه حتی یبلغ أربعین و قرا أو جملا.
۳- أصول الکافی ج ۲ ص ۴۳۸.
۴- البحار ج ۹۲ ص ۱۰۳ و ۲۰ و ج ۷۸ ص ۲۷۸ عن کتاب الأربعین، و عن الدره الباهره، و جامع الاخبار ص ۴۸/ ۴۹.

ترجمه القرآن و تفسيره:

و مما تقـدم نعرف: أن ترجمه القرآن و تفسـيره غير ممكنين لهذا الإنسان المحدود بحدود الزمان و المكان، و غير المحيط بكل العلاقات الكونيه، و لا المطلع على النواميس الطبيعيه، فى مختلف المجالات.

نعم، يمكن لمن يتصـدى لترجمه القرآن أو لتفسـيره أن يقول: هـذا ما فهمته من القرآن، بحسب ما توفر لـدى من أدوات تساعد على اكتشاف المعانى، من المفردات و الهيئات التركيبيه، و بحسب مسـتوى ثقافتى و معارفى و قدراتى المحدوده بالنسبه الى اللّه الذى ليس لعلمه حد.

للقرآن ظهر و بطن:

قد تقدم آنفا عن أمير المؤمنين (عليه السـلام): لو أردت أن أوقر على الفاتحه سبعين بعيرا لفعلت او بما معناه. و يظهر صدق قوله هذا مما ذكرناه.

و يمكن بعـد هـذا: أن نفهم معنى قولهم (عليهم السـلام): إن للقرآن ظهرا و بطنا، أو أكثر، و قـد روى هـذا المعنى من طرق غير الشيعه أيضا.

و فسر بما يشير إلى ما ذكرناه.

ففى خطبه منسوبه له (صـلى اللّه عليه و آله و سلم): (له ظهر و بطن، فظاهره حكم، و باطنه علم، لا تحصى عجائبه، و لا يشبع منه علماؤه) (۱).

و عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (ما فى كتاب اللّه آيه إلا و لها ظهر و بطن، و لكل حد مطلع) (۲). ص

۱- كنز العمال ج ۲ ص ۱۸۶، و ليراجع ج ۱ ص ۳۳۷، و حياه الصحابه ج ۳ ص ۴۵۶ عنه و عن العسـكرى، و راجع: نور القبس ص ۲۶۸/ ۲۶۹.

۲- الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص ۲۳ و فى الهامش عن المشكاه ص

قال ابن المبارک: (سمعت غیر واحد فی هذا الحدیث: ما فی کتاب اللّه آیه إلا و لها ظهر و بطن، یقول: لها تفسیر ظاهر، و تفسیر خفی، و لکل حد مطلع، یقول: یطلع علیه قوم فیستعملونه علی تلک المعانی، ثم یذهب ذلک القرن، فیجی ء قرن آخر، فیطلعون منها علی معنی آخر، فیذهب علیه ما کان علیه من کان قبلهم؛ فلا یزال الناس علی ذلک إلی یوم القیامه) (۱).

و عن إبن عباس قال: (إن القرآن ذو شجون، و فنون، و بطون، و محکم، و متشابه، و ظهر و بطن، فظهره التلاوه، و بطنه التأویل) (۲).

و عن الحسن البصری: ما أنزل اللّه عز و جل آیه الّا و لها ظهر و بطن، و لکل حرف حد، و کل حد مطلع (۳).

و عن إبن مسعود: (إن القرآن نزل علی سبعه أحرف ما منها حرف و له ظهر و بطن و إن علی بن أبی طالب عنده منه الظاهر و الباطن (۴). ص

۱- الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعیم بن حماد ص ۲۳.
۲- الاتقان ج ۲ ص ۱۸۵ عن ابن أبی حاتم.
۳- کنز العمال ج ۱ ص ۴۸۸ عن أبی عبید فی فضائله، و عن أبی نصر السجزی فی الإبانه.
۴- حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۶۵ و الاتقان ج ۲ ص ۱۸۷، و هامش الموافقات ج ۳ ص ۳۸۲ عن کتاب المصابیح، و مصابیح السنه ج ۱ ص ۱۷۶ و فی هامشه عن موارد الظمآن ص ۴۴۰- ۴۴۱ و عن غیره، و جامع البیان ج ۱ ص ۹ و کشف الأستار ج ۳ ص ۹۰ و نزل الأبرار ص ۷۳ و أسمی المناقب ص ۸۲، و مجمع الزوائد ج ۷ ص

و أوضح من ذلک فی الدلاله علی ما ذکرناه، ما نقل عن أبی الدرداء: (لا تفقه کل الفقه حتی تری للقرآن وجوها کثیره) (۱).

و قال علی (علیه السلام) لابن عباس، حینما أرسله لحجاج الخوارج: (القرآن حمال ذو وجوه) (۲).

و راجع ما یروی عن الإمام ابی جعفر (علیه السلام) حول أن للقرآن ظهرا و بطنا فی المصادر المعدّه لذلک (۳).

بل قال بعضهم: إن الاخبار تدل علی أن (للقرآن بطونا سبعه أو سبعین) (۴)۳.

۱- المصنف للصنعانی ج ۱۱ ص ۲۵۵، و الاتقان ج ۲ ص ۱۸۵ عن ابن سبع فی شفاء الصدور، و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۲۱۱ و الطبقات الکبری ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۴ و الغدیر ج ۳ ص ۹۹ و ج ۲ ص ۴۵ عن أبی نعیم و عن مفتاح السعاده ج ۱ ص ۱۰۰.

۲- نهج البلاغه ج ۲ ص ۱۵۰ بشرح عبده قسم الکتب و الوصایا رقم ۷۷.

۳- المحاسن للبرقی ص ۲۷۰ و البحار ج ۹۲ ص ۷۸- ۱۰۶ و تفسیر العیاشی ج ۱ ص ۱۱ و تفسیر البرهان ج ۱ ص ۱۹- ۲۱ و تفسیر الصافی ج ۱ ص ۲۹ و ۳۱. و معانی الأخبار ص ۲۵۹ و الغدیر ج ۷ ص ۱۰۸ عن ابن مسعود، و میزان الحکمه ج ۱ ص ۹۵.

۴- کفایه الأصول آخر مبحث استعمال اللفظ فی أکثر من معنی و وسائل الشیعه للکاظمی ص ۱۳.

و قد ألفوا كتبا فيما تضمنه القرآن من علم الباطن (۱).

و إذن فلماذا ينسب القول بأن للقرآن بطنا و ظهرا إلى الشيعه فقط؟!

و لماذا أيضا يشنعون على الشيعه إذا تفوهوا بهذا الأمر، أو كتبوه، إذا كانت الروايات الداله عليه موجوده عند غيرهم، كما هي موجوده عندهم؟!

و إذا كان معنى الظهر و البطن: هو أن يكون ذلك المعنى الذي يزاح عنه الستار مما يمكن للفظ أن يتحمله، و للمتكلم أن يقصده ليكون بالنسبه للبعض بمنزله البطن لهذا المعنى المكشوف؛ فأى محذور عقلى أو شرعى يحصل من الإلتزام بهذا؟!

وليكن للقرآن بطون سبعه أو سبعون، أو أكثر، يكتشفها هذا الإنسان كلما ترقى في مدارج المعرفه، أو يكشفها له الأئمه الراسخون في العلم، الذين أشار إليهم القرآن الكريم.

التقوى تعين على فهم القرآن:

و بعد، فإن من الواضح: أن الطهاره من الذنوب تعين على فهم القرآن، ففى دعاء ختم القرآن عن زين العابدين (عليه السلام) قال:

(و اجعل القرآن لنا فى ظلم الليالى مؤنسا، و من نزغات الشيطان، و خطرات الوساوس حارسا، و لأقدامنا عن نقلها إلى المعاصى حابسا، و لألسنتنا عن الخوض فى الباطل من غير ما آفه مخرسا، و لجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا، و لما طوت الغفله عنا من تصفح الإعتبار ناشرا، حتى توصل الى قلوبنا فهم عجائبه، و زواجر أمثاله الخ) (۲).ن.

۱- التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۱۷۹.

۲- الصحيفه السجاديه ص ۱۳۶ الدعاء عند ختم القرآن.

المحكم و المتشابه:

هذا و قد أشير الى وجود المحكم و المتشابه فى القرآن فى قوله تعالى: (مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ، هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ، وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ؛ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ، ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ، وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ) (۱).

هـذا، مع العلم بـأن اللّه تعـالى لاـ يريـد أن ينزل لعبـاده كتابـا فيه الألغـاز و الاحـاجى، بل هو كما قال تعالى: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ، وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (۲). و قال: أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۳).

إذن، فلاـ بـدّ أن يراد بالمتشـابه معنى ينسـجم مع واقع القرآن و أهـدافه، و لعـل التأمل فيما قـدمناه يسـهل علينا فهم المراد منه؛ و لأجل إيضاح ذلك نقول:

إن المتشـابه هو الكلام الـذى لا ينبى ء ظاهره عن المراد، بل يحتمل من لم يكن راسـخا فى العلم فيه وجوها من المعانى، التى لا يكـون بعضـها منسـجما مع أهـداف و مبـادى ء المتكلم، و لكن لو دقق فى اللفـظ و فى خصوصـياته، و جمع بين بعضـها البعض لأمكنه إدراك عدم إمكان تحملها لذلك المعنى الفاسد.

و لأجـل ذلـك، نجـد الـذين فى قلوبهم زيغ يحاولون انتهاز الفرصه للتشـبث بهـذا النوع من الآيات ابتغاء الفتنه و ابتغاء تأويله، و عطف اتجاهه؛ ليلائم أهواءهم، و من أجل الطعن فى القرآن و الإسلام، و لو ردوه إلى۲.

۱- آل عمران: ۷.

۲- سوره ص: ۲۹.

۳- سوره يوسف: ۲.

الرسول، و الی أولی الامر منهم لعلمه الذین یستنبوطونه (۱)؛ لأنهم یردون المتشابه الی المحکم الـذی یبین أهداف و مرامی اللّه تعالی، و یوجه التعبیر فی المتشابهات لیفید المعنی المقصود، و یبین بعض ما خفی من وجوهه و خصوصیاته.

لابد من وجود المتشابه فی القرآن:

و ینقل الرزای: أن من الملاحده من طعن فی القرآن لاشتماله علی المتشابه، إذ کیف یکون مرجعا للناس فی کل عصر، مع وفره دواعی الإختلاف فیه؛ حیث یجد کل صاحب مذهب فیه مأربه؛ فان هذا لا یصدر عن الحکیم (۲).

و لعل ما ذکرناه فیما تقدم یکفی فی الإجابه عن هذه الترهات. و نزید هنا ما ذکره العلامه الطباطبائی، فإنه قال ما حاصله:

إنه کـان لاـ محیص عن وقوع التشـابه فی القرآن، لأـنه کـان یجری فی تعـابیره الرقیقه مع اسـالیب القوم، مع سـمو معنـاه، و عمق مغزاه، فی مقابل انحطاطهم فی المستوی الفکری و الثقافی.

و قد جاء القرآن بمفاهیم جدیده، کانت غریبه عن نوعیه أفکار و مفاهیم المجتمع البشـری آنذاک، و لا سیما فی جزیره العرب، البعیـده عن الثقـافه و المعرفه، فی حین التزامه فی التعبیر عن تلـک المقاصـد العالیه بنفس الأسالیب التی کانت معروفه فی ذلک العهـد، الأمر الـذی ضاق بتلک الألفاظ التی کانت موضوعه للتعبیر عن معان محسوسه، أو قریبه من الحس، و محدوده فی نطاق ضیق، تتناسب مع ذهنیه العربی و ثقافته و التعبیر عن معان مبتذله- لقد ضاق الأمر بتلک الألفاظ- عن أن تحیط بتلک۱.

۱- النساء: ۸۳.

۲- تفسیر الرازی ج ۷ ص ۱۷۱.

المفاهیم الرحبه الآفاق، البعیده الاغوار، و جاء استعمال تلک الألفاظ للتعبیر عن هذه المقاصد العالیه غریبا عن المألوف العام، و عن ذهنیه الإنسان العادی.

و من ثم، فقد قصرت أفهامهم عن إدراک حقائقها و دقائقها، و لا سیما حین رأوا: أن القرآن یستعمل فی التعبیر عن مقاصده صنوف المجاز، و الإستعارات، و التشبیهات، و الکنایات، و دقائق الإشارات، و استعمل مختلف خصائص اللغه العربیه، سواء منها ما یتعلق بالمفردات، أو بالهیئات الترکیبیه؛ لیمکن إخضاع تلک المعانی السامیه للقوالب اللفظیه المحدوده و المألوفه.

و کان ذلک سببا فی تقریب تلک المعانی الی أفهام العامه، من حیث أنه أخضعها للقوالب اللفظیه، المأنوسه و المألوفه لدیهم، و سببا فی بعدها، من حیث عدم قدره تلک القوالب اللفظیه علی استیعاب معان لم تکن هی مستعده للتعبیر عن مثلها (۱). إلا بالتوسل بلطائف الاشارات و الکنایات، و دقائق الخصائص اللفظیه للتعبیر عنها، حسبما أشرنا الیه من قبل؛ فصعب علی الإنسان العادی إدراک تلک المقاصد العالیه، و اشتبه علیه الأمر؛ فکان لابد له من الاستعانه بالراسخین فی العلم، الذین اختصهم اللّه بفضله و کرمه لإیضاح مقاصده و أهدافه و مرامیه، ممن کانوا علی مستوی رفیع من عمق الفهم، و سلامه التفکیر، و نفذت بصیرتهم الی الحقائق الراهنه، فنالوها، و هم أئمه أهل البیت الأطهار (علیهم السلام).

التأویل:

لقد أشیر الی التأویل فی القرآن الکریم، و أن ثمه من یعرف هذاک.

۱- راجع: التمهید فی علوم القرآن ج ۳ ص ۱۹- ۲۲ و المیزان للعلامه الطباطبائی ج ۳ ص ۵۸- ۶۲ و عن تفسیر المنار ج ۳ ص ۱۷۰. و قد نقلنا کلامهم بتصرف، فلیلاحظ ذلک.

التأويـل، و هم الراسـخون فى العلم، و ان كـانوا يعترفون بعجزهم عن إدراك كل الملابسات التى يمكن ان تكتنف هـذا المعنى المقصود، إلاـ إذا أوقفهم اللّه تعـالى على ذلك. قال تعالى: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا (۱).

و قـد رأينـا: أن بعض الفئـات الضاله تحاول الإسـتفاده من موضوع التأويل بما يخـدم أهـدافها الهـدامه، و مـذاهبها الضاله؛ فجاؤا بالتأويلات التى تضـحك الثكلى، حتى إنك لتجد بعض الأحزاب المنحرفه من الذين يعتنقون الماركسيه، و يتظاهرون بالاسلام، يحـاولون تفسير الاسـلام و القرآن بحيث ينسـجم مع الماركسـيه التى تنـاقضه أساسا، فيقولون- مثلا- فى قوله تعالى: قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاهَ، وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَهً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ (۲)- يقولون-: إن المراد بهـذا اليـوم ليس هو يوم القيـامه، و إنمـا المراد به اليوم الـذى تتحقق فيه الاـشتراكيه، و يزول النظـام الطبقى، و تنتفى فيه الملكيه الشخصيه (۳).

بل قالوا: إن المقصود بالمعاد فى الإسلام و القرآن، هو القضاء على النظام الطبقى فى المجتمع ليس إلا.

الى غير ذلك من ترهات بعيده عن روح الإسلام و القرآن، جاء بها هؤلاء و غيرهم من الفئات الضاله.

و الحقيقه هى: أن هـذا ليس هو التأويـل الـذى أشـار إليه القرآن، و إنمـا هو التفسـير بـالرأى الـذى ورد النهى عنه بشـده من قبل المعصومين).

۱- آل عمران: ۷.

۲- ابراهيم: ۳۱.

۳- راجع كتاب: توحيد عاشورى (فارسى).

(علیهم السلام). و هذا بعینه هو اتباع ما تشابه من القرآن، ابتغاء الفتنه، و ابتغاء تأویله.

و أما التأویل الذی لا یعلمه إلا اللّه و الراسخون فی العلم، الذین هم أهل البیت (علیهم السلام)، حسب نص الروایات (۱) فهو معرفه ما یؤول إلیه الأمر، بحسب ما تضمنه الکلام من إشارات و دلالآت؛ کقوله: هذا تأویل رؤیای.

و بعباره أخرى: التأویل هو الکشف عن المرامی و المعانی التی یشیر الیها اللفظ، بما له من خصوصیات، فی مفرداته، و هیئاته الترکیبیه، و بعد مقایسته بغیره و ملاحظه مدى انسجام ذلک المعنى مع مبادی ء و أهداف المتکلم نفسه.

و إذا ما أرید الوصول إلى واقع المعنى، من الآیات القرآنیه بما له من خصوصیات و أحوال؛ فلا بد من الرجوع إلى من یتمکن بما أوتی من معارف و علوم، حتى أصبح من الراسخین فی العلم، للکشف عن المعانی القرآنیه الدقیقه، التی یخفى على غیر الراسخین کیفیه تحمل اللفظ لها.

و إن کان بالنسبه إلیهم ربما یکون من البدیهات. فیرجعون ذلک المتشابه الى ذلک المحکم.

و من هنا تبرز الحاجه المستمره الى هؤلاء الراسخین فی العلم، الذین ورد فی الروایات أنهم- بالذات- أئمه أهل البیت صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین.

فالتأویل هو الکشف عما تؤول إلیه المعانی، بواسطه معرفه سائر خصوصیاتها و مرامیها.۰.

۱- راجع تفسیر نور الثقلین: ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۲، و تفسیر البرهان: ج ۱ ص ۲۷۰.

الحروف المقطعه فی القرآن

و قد کثر الحدیث عن الحروف المقطعه الوارده فی فواتح السور القرآنیه، و تعددت و تشعبت الأقوال فی ذلک، حتی عدّ المفسرون ما یقرب من عشرین قولا حول المراد منها، نذکر منها ما یلی:

۱- هی من المتشابه الذی لا یعلم تأویله إلا اللّه سبحانه.

۱- هی أسماء للسور التی وقعت فی أوائلها.

۳- إنها أسماء لمجموع القرآن.

۴- إنها أسماء للّه سبحانه ف (ألم) معناها: أنا اللّه العالم و (ألمر) معناها: أنا اللّه أعلم و أری. و هکذا.

۵- إنها أسماء للّه مقطعه لو أحسن تألیفها لعلم إسم اللّه الأعظم، ف (ألر، و حم، و ن). تصیر: الرحمان. و هکذا.

۶- إن هذه الحروف شریفه لکونها مبانی کتبه المنزله و أسمائه الحسنی و صفاته العلیا، و أصول لغات الأمم .. و قد أقسم اللّه تعالی بهذه الحروف.

۷- إنها إشارات إلی آلآئه سبحانه، و بلائه، و مده الأقوام و أعمارهم و آجالهم (۱)!

۸- إنها إشاره إلی بقاء هذه الأمه بحسب حساب الجمل.

۹- إنها تسکیت للکفار الذین تواصوا فیما بینهم أن: (لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فیها)؛ فکانوا إذا سمعوا هذه الحروف استغربوها، و تفکروا فیها، فیقرع القرآن مسامعهم.۰.

۱- هناک روایه تشیر إلی شی ء من ذلک أیضا، فراجع: المحاسن للبرقی ص ۲۷۰ و البحار ج ۹۲ ص ۹۰.

۱۰- إنها للإشاره الى معان فى السوره؛ فكلمه (ن) إشاره الى ما تشتمل عليه السوره من النصر الموعود و كلمه (ق) إشاره الى القرآن، أو الى القهر (۱).

إلى غير ذلک من أقوال لا مجال لتتبعها.

و لعل آخر ما يمكن أن يعتبر رأيا فى هذا المجال .. هو ما ذكره بعض المتاخرين، و اعتبر بمثابه (إعجاز مدهش جديد للقرآن الكريم يكتشفه عالم مصرى). و هو: أن هذه الحروف المقطعه تدخل كعنصر هام و حاسم فى موضوع الإعجاز العددى للقرآن ..

و نحن لا نريد أن نسى ء الظن فيما يتعلق بهذا الرأى، على اعتبار أنه يعتمد الرقم (۱۹)، و يتخذه محورا فى مجمل استنتاجاته، و هو الرقم المقدس عند طائفه البهائيه الضاله ..

كما أننا لا نريد المبالغه فى التشاؤم إلى حد أن نعتبر أن ذلک يهدف إلى صرف الأنظار عن دقائق المعانى القرآنيه الباهره الى الإهتمام بالظواهر و القوالب اللفظيه.

لا.. لا نريد ذلک .. فإننا نأمل أن يكون ثمه قدر كبير من حسن النيه، و سمو الهدف. و إنما نريد أن نؤكد على أن بعض الباحثين (۲) قد تتبع هذه النظريه بالبحث و التمحيص، حتى خرج بنتيجه حاسمه، مفادها: الجزم بخطأ هذه النظريه، و ذلک لعدم صحه الأرقام التى قدمتها، و اعتبرتها أساسا صالحا للتدليل على قيمتها العلميه.

فقد قال هذا المحقق الذى رمز لنفسه ب «أبو محمد»:

قولهم: كلمه (اسم) تتكرر ۱۹ مره بالضبط.ى.

۱- تفسير الميزان ج ۱۸ ص ۶، ۷.

۲- هو العلامه المحقق السيد مهدى الروحانى.

أقول: ذكر فى المعجم المفهرس عدد ۱۹ تحت كلمه إسم و ذكر أن كلمه (بسم) تكررت ثلاث مرات فى قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها، و بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ. و إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ.

و ذكر كلمه (إسمه).

و قال: إنها تكررت خمس مرات.

و قولهم: إن كلمه الرحيم تتكرر ۱۱۴ مره نقول: بل تتكرر ۱۱۵ مره بالضبط.

و قالوا: إن حرف (ن) قد تكرر فى سوره القلم ۱۳۳ أى ۱۹* ۷

و نقول: بل يتكرر ۱۲۹ مره فقط. و لو كررنا المشددات مثل أن فإن المجموع يصير أكثر من ذلك بكثير.

و قالوا: إن حرف صلى الله عليه و آله وسلم يتكرر فى كل من: سوره الاعراف التى أولها (المص) و سوره ص، و سوره مريم التى أولها (كهيعص) ۱۵۳ أى ۱۹* ۸

و نقول: إن عدد الصادات فى سوره الأعراف هو ۹۰ صادا، و لعله قد اشتبه على واحد أو إثنان، و فى سوره مريم ۲۴ (كذلك) و فى سوره ص ۲۷ مره فليس المجموع ۱۵۳ و لا فى كل واحده منها ۱۵۳ أيضا (۱)

أما العلامه الطباطبائى قدس سره، فقد أورد على الاقوال التى سلفت باستثناء هذا الاخير، حيث لم يذكره قدس سره .. بأن:

دعوى كون الحروف المقطعه من المتشابهات لا يصح، و ذلك لأن التشابه من صفات الآيات التى لها دلاله لفظيه على مداليلها، و ليست الحروف المقطعه من هذا القبيل.۲.

۱- راجع مجله المنطلق اللبنانيه سنه ۱۳۹۹ ه العدد الخامس ص ۸۲.

و أما سائر الأقوال، فإنما هی تصویرات لا تتعدی الاحتمال، و لا دلیل یدل علی شی ء منها، و أما الروایات التی ربما یستظهر منها بعض التأیید لبعض تلک الأقوال، فقد ردها رحمه اللّه تعالی بضعف السند تاره و لضعف الدلاله أخری، حیث لا یوجد فیها تقریر من النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لما فهمه الآخرون منها أو لأن مفاد الروایه أن هذه الحروف من قبیل الرمز لمعان تکرر بیانها، و لا حاجه لاستعمال الرمز فی التعبیر عنها.

ثم استظهر رحمه اللّه: أن هذه الحروف هی رمز بین اللّه سبحانه و بین رسوله، خفی عنا، لا سبیل لأفهامنا العادیه إلیها إلا بمقدار أن نستشعر أن بینها و بین المضامین المودعه فی السور ارتباطا خاصا، حیث وجد رحمه اللّه تشابها فی سیاق و فی مضامین السور التی اشترکت حروف معینه فی فواتحها، کالطواسین و الحوامیم، و المیمات و الراءات و نحو ذلک.

و نقول:

إننا لا نستطیع الموافقه علی ما ذکره رحمه اللّه تعالی، فإن القرآن لیس کتاب الغاز، أو أحاجی، و إنما أنزله اللّه تعالی: هُدیً لِلنَّاسِ (۱)، لِیَدَّبَّرُوا آیاتِهِ (۲)، بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ (۳)، قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۴)، کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (۵).۳.

۱- سوره البقره: ۱۸۵.

۲- ص ۳۸.

۳- سوره الشعراء، ۱۹۹.

۴- سوره یوسف: ۲.

۵- فصلت: ۳.

و قـد لاحظ بعض المحققين: أن تعقيب هـذه الأحرف بأن هـذا الكتاب مبين و واضح، و أنه قرآن عربى لقوم يعملون، أو لعلكم تعقلون، لا ـ ينـاسب كون تلـك الألفـاظ رموزا، أو من قبيـل الألغـاز و الأحـاجى، قـال تعـالى فى سوره يوسف: الر، تِلْـكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

و مهما يكن من أمر، فإن لـدينا من الشواهـد و الـدلائل ما يكفى لإعطاء فكره عن المراد من هذه الحروف. و نسـتطيع بيان ذلك فى ضمن النقاط التاليه:

۱- إننـا فى نفس الوقت الـذى نعتبر فيه أن مـا سـنذهب إليه ليس هو المقصود النهائى من هـذه الأحرف، فإننا نؤكـد على أننا لا نستعبد إراده سائر المعانى، مما ذكر أو لم يذكر منها، إذ دل الدليل على إرادتها أيضا، فإن للقرآن ظهرا و بطنا، و لعل لإختلاف الآزمنه، و تقدم الفكر و العلم، تأثيرا فى فهم الكثير من المعانى الأخرى، التى يمكن أن تكون هذه الأحرف مشـيره إليها، أو داله عليها كبير، بنحو من أنحاء الإشاره و الدلاله.

۲- إننا نلاحظ: أننا لم نجـد فى التاريـخ ما يشـير إلى أن أيا من الصـحابه أو من غيرهم من المشـركين أو من أعـداء الإسـلام قد تصدى للسؤال أو الإستفهام عن معانى هذه الأحرف، و عما ترمى إليه ..

و لو سـلمنا جـدلا أن سـكوت الصـحابه يمكن أن يكون ناشـئا عن إيمانهم العميق. و عن وصولهم الى درجه التسـليم و الخضوع لكـل مـا يـأتى به النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم) نتيجه لمـا رأوه من الآيـات الباهره، و المعجزات القاهره- رغم أن ذلك لا ينطبـق على كـثيرين غيرهم .. و رغم عـدم منافـاه ذلـك للسؤال الاسـتفهامى عن أمر كهـذا- فإننـا لا ـ نسـتطيع أن نفسـر سـكوت المشـركين و غيرهم من أعـداء الإسـلام عن أمر كهـذا. و هم فى موقع التحـدى و المجـابهه، و يحـاولون التشـبث و لو بالطحلب للطعن فى

الإسلام و النبوه و القرآن.

فسكوتهم هذا- و الحاله هذه- لا- يعنى إلا أنهم قد فهموا منها معنى قريبا إلى أذهانهم، و أن ذلك المعنى الذى فهموه كان يكفى للإجابه عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات ..

۳- إننا نجد: أن هذه الحروف قد وردت فى تسع و عشرين سوره.

سته و عشرون منها نزلت فى مكه، و ثلاث منها نزلت فى المدينه. و حتى هذه السور التى نزلت فى المدينه يلاحظ: أن إثنتين منها قد نزلتا فى أوائل الهجره، حيث كان الوضع الدينى و الإيمانى فيها لا يختلف كثيرا عنه فى مكه، و لا سيما مع وجود اليهود و شبهاتهم و مؤامراتهم إلى جانب المشركين فيها.

و واحده منها و هى سوره الرعد قد نزلت بعد ان كثر الداخلون فى الإسلام رغبا أو رهبا، و كثر المنافقون حتى ليرجع إبن أبى بثلث الجيش فى غزوه أحد .. و أصبح اليهود و غيرهم ممن و ترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكريا و فكريا، و عقائديا بشكل سافر .. فجاءت سوره الرعد لتكرر التحدى بهذه المعجزه: القرآن، كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدى و إيمانى جديد فى المسلمين، و مواجهه غيرهم بالواقع الذى لا يجدون لمواجهته سبيلا إلا بالتسليم و البخوع و الإنقياد له.

و هذا ما يفسر لنا السر فى أننا نجد أسلوب و أجواء سوره الرعد لا تختلف كثيرا عن أجواء و أسلوب غيرها من السور المكيه، و أن هنالك توافقا فيما بينها فى إدانه و ضرب كل أساليب التضليل أو التزوير، و الصدود عن الحق ..

و نستطيع بعد كل ما تقدم أن نصل إلى النتيجه التاليه، و هى:

أن ورود هـذه الحروف فی خصوص السور المكيه، و فی ثلاث سور نزلت فی أجواء لا تخلتف كثيرا عن أجواء مكه ليدل دلاله قاطعه علی أنها إنما جاءت فی مقام التحـدی للمشـركين، و لأعداء الإسـلام .. و أن عدم اعتراض هؤلاء، أو حتی عدم سؤالهم، و كـذلك عـدم سؤال أی من الصـحابه المـؤمنين عن معـانی هـذه الحروف إنمـا يشـير الی انهم إنمـا فهموا منهـا معـان قريبه إلی أذهـانهم، كافيه للإجابه علی ما ربما يختلـج فی نفوسـهم من أسـئله حولها. و ليس ذلك إلا ما ذكرنا من التحـدی بهـذا القرآن، المركب من أمثـال هـذه الحروف التی هی تحت اختيـار الجميع، مع أنه يعجز عن مجاراته و الإتيان بمثله و حتی بسوره من مثله، الجميع.

۴- إننا إذا راجعنا الآيات التی وقعت بعد هذه الحروف، فإننا نجد:

ألف: أن جميع السور الـتی وقعت الحروف المقطعه فی فواتحهـا باسـتثناء سورتين أو ثلاث نجـد الأيـات الـتی وقعت بعـد هـذه الحروف تتحدث عن الكتاب و آياته، أو القلم أو القرآن، و نحو ذلك كقوله تعالی:

المص. كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ (الاعراف).

الر. كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ (إبراهيم).

حم. وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الزخرف).

الر. كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود).

حم. وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ (الدخان)

ص. وَ الْقُرْآنِ ذِی الذِّكْرِ

ن. وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ.

و حتى تلك السور الاثنتان أو الثلاث يمكن أن يكون فى تلك القصه، أو التنبؤات، أو الحكم التى تـذكر بعد هذه الحروف من الاعجـاز مـا يكفى لأـن يجعل تركيبها من أمثال تلك الحروف المـذكوره، و عجز الغير عن الإتيان بمثلها كافيا عن التصـريح فى ذلك ..

ب: إننا نجـد أن الآيات التى وقعت بعد الأحرف المقطعه قد صدّرت باسم الإشاره ليكون خبرا عن الحروف المقطعه، لأنه إشاره لما قبله. و لا يصح أن يكون إشاره لما بعده لأن ما بعده ليس الالف ليكون بدلا أو عطف بيان له .. و ذلك مثل قوله تعالى:

الر. تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (يوسف).

الر. تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ (الحجر)

الر. تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (يونس).

و كذلك الحال بالنسبه لسوره الرعد، و الحجر و غيرها من السور.

أما مثل قوله تعالى: الم. ذلِكَ الْكِتابُ فالكتاب بدل أو عطف بيان.

ج: ما هو من قبيل قوله تعالى:

حم. تَنْزِيـلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. كِتـابٌ فُصِّلَتْ آيـاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (فصـلت). فإن قوله تنزيل خبر لقوله: حم. كما قاله الفراء، و كما هو الظاهر ..

و جعـل كتـاب خبرا لتنزيـل، لاـ يستسيغه الـذوق السـليم، و لاـ ينسـجم مع المعنى المقصود، و لاـ سيما مع تنوين كلمه تنزيل و تنكيرها. و كذلك

الحال فی قوله تعالی:

الم. تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (السجده).

حم. تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (المؤمن).

و كذا الحال فيما ورد فی أول سوره الجاثيه و الاحقاف ..

و قد أعرب المفسرون، و غيرهم هذه الموارد على ان كلمه (تنزيل) خبر لمبتدأ محذوف، أو نحو ذلک مع إن إعرابها على النحو الـذی ذكرناه هو الأنسب و الأظهر، و إن كان إعرابهم لا ينافی ما ذكرناه أيضا، فإن تقـدير كلمه (هو)، أو كلمه: (هـذا) المقـدره مبتدأ ظاهرها الإشاره إلى ما قبلها أيضا ..

د: قوله تعالی:

حم عسق. كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الشورى).

فإن قوله (كـذلک) يشاربها فی القرآن عاده إلى ما قبلها. أی كتلک الحروف التی سبقت يوحی إليک اللّه تعالی، أی أن آيات اللّه هی من جنس هذه الأحرف.

ه: و بعـد، فلقـد جاء فی روايه عن الإمام العسكری صلوات اللّه و سلامه عليه، أنه قال: كـذبت قريش و اليهود بالقرآن، و قالوا: سحر مبين تقوله.

فقال اللّه: الم. ذلِكَ الْكِتابُ أی يا محمـد هـذا الكتاب الذی انزلناه عليک هو الحروف المقطعه التی منها (ألف، لام، ميم) و هو بلغتكم و حروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، و استعينوا على ذلک بسائر شهدائكم.

ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله: قل: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً .. (۱).

و ضعف هذه الروايه لا يضر ما دامت مؤيده بما قدمناه من الشواهد و الدلائل .. هذا على الرغم من أننا نجد فى كلام المجلسى ما يشير إلى إمكان الاعتماد على روايات تفسير العسكرى .. مع أننا لا نجد ما يبرر الوضع و الجعل فى أمر كهذا ..

آخر ما نقوله حول الحروف المقطعه:

و أخيرا فإنه يمكن أن تكون فى القصه التى تذكر بعد هذه الحروف المقطعه، أو فى الحكم، أو التنبؤات من الإعجاز ما يكفى لأن يجعل تركبها من الحروف المذكوره فى بدايه السوره، و عجز الغير عن الاتيان بمثلها كافيا فى ذلك.

و مع كل ما قدمناه، فإننا نعود و نؤكد على أن ما ذكرناه ليس هو كل المراد من هذه الحروف، فقد يكون لها إشارات و مرامى أخرى تضاف الى ما ذكرناه، و لا مانع مع صحه كثير من الإحتمالات التى ذكرت فى معانيها. و لربما يكون لاختلاف الأزمنه تأثير فى فهم هذه المعانى، كما أشرنا إليه حين الكلام حول أن للقرآن ظهرا و بطنا.۶.

۱- معانى الأخبار ص ۲۲، و تفسير البرهان ج ۱ ص ۵۴ و تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۴۳ و البحار ج ۹۲ ص ۳۷۷ و تفسير الميزان ج ۱۸ ص ۱۶.

ص: ۲۸۶

الفصل الثانی: روایات بدء الوحی

اشاره

ما روی فی بدء الوحی:

روی البخاری و مسلم و غیرهما، عن الزهری، عن عروه بن الزبیر، عن عائشه فی بدء الوحی، ما ملخصه: أن الملک جاء للنبی، صلی الله علیه و آله وسلم و هو فی غار حراء، فقال: إقرأ. قال: ما أنا بقاری ء، قال: فأخذنی فغطنی حتی بلغ منی الجهد، ثم أرسلنی، فقال: إقرأ: فقلت: ما أنا بقاری ء، فأخذنی فغطنی الثانیه، حتی بلغ منی الجهد، ثم ارسلنی، فقال: إقرأ.

فقلت: ما أنا بقاری ء. فأخذنی فغطنی الثالثه، ثم أرسلنی؛ فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ.

فرجع بها رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم یرجف فؤاده؛ فدخل علی خدیجه بنت خویلد، فقال زمّلونی، زمّلونی، حتی ذهب عنه الروع؛ فقال لخدیجه- و قد أخبرها الخبر-: لقد خشیت علی نفسی. فقالت خدیجه: کلا و اللّه، ما یخزیک اللّه أبدا، إنک لتصل الرحم، و تحمل الکل، و تکسب المعدوم، و تقری الضیف، و تعین علی نوائب الحق، فانطلقت به خدیجه، حتی أتت به ورقه بن نوفل، بن أسد، بن عبد العزی، ابن عم خدیجه، و کان امرءا قد تنصر فی الجاهلیه، و کان یکتب الکتاب العبرانی، فیکتب من الإنجیل بالعبرانیه ما شاء اللّه أن یکتب، و کان شیخا کبیرا قد

عمی، فقالت له خدیجه: یا بن عم إسمع من ابن أخیک. فقال له ورقه:

ماذا تری؟ فأخبره رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم خبر ما رأی. فقال له ورقه: هذا الناموس الذی نزل اللّه علی موسی، یا لیتنی فیها جذعا، لیتنی أکون حیا إذ یخرجک قومک. فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : أو مخرجیّ هم؟ قال: نعم، لم یأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودی، و إن یدرکنی یومک أنصرک نصرا مؤزرا.

ثم لم ینشب ورقه أن توفی. و فتر الوحی (۱).

و ثمه روایات کثیره أخری متناقضه و متعارضه، و نذکر منها علی سبیل المثال:

۱- هناک روایه تقول: إن خدیجه أرسلته مع أبی بکر الی ورقه بن نوفل فأخبره صلی الله علیه و آله وسلم أنه یسمع نداء خلفه: یا محمد، یا محمد، فینطلق هاربا فی الارض، فأمره ورقه أن یثبت؛ لیسمع ما یقول ثم یخبره، ففعل فناداه: یا محمد، قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ حتی بلغ، وَ لَا الضَّالِّینَ قل لا إله إلا اللّه. فأخبر ورقه؛ فبشره بأنه هو الذی بشر به إبن مریم؛ فلما توفی ورقه قال صلی الله علیه و آله وسلم : لقد رأیت القس فی الجنه، علیه ثیاب الحریر؛ لأنه آمن بی و صدقنی (۲).

۲- و روایه أخری تقول: بعد أن ذکرت: أن خدیجه أخبرت ورقه۵.

۱- صحیح البخاری ط مشکول ج ۱ ص ۵- ۶ و ج ۹ ص ۳۸، و صحیح مسلم ج ۱ ص ۹۷، و لیراجع تاریخ الطبری ج ۲ ص ۴۷، و المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۲/ ۳۲۳، و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۸۲، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۲ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۴۲/ ۲۴۳ و راجع: الأوائل ج ۱ ص ۱۴۵/ ۱۴۶.
۲- البدایه و النهایه ج ۳ ص ۹/ ۱۰ و الروض الأنف ج ۱ ص ۲۷۴/ ۲۷۵ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۳/ ۸۴ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۰، و سیره مغلطای ص ۱۵.

بالأـمر، فأخبرهـا أنه نبی هـذه الأمه- إنه بعـد مـده التقی بالنبی صـلی الله علیه و آله وسـلم و هما یطوفان، فسأله ورقه عما رأی و سمع؛ فأخبره. فأخبره ورقه انه نبی هذه الأمه (۱)

۳- انه لما أخبر النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) خـدیجه بما رأی، بشـرته بأنه نبی هـذه الأمه، و أن الـذی أخبرها بذلک هو غلامهـا ناصـح، و بحیرا الراهب. و أمرهـا أن تـتزوجه منـذ أکـثر من عشـرین سـنه، و لم تزل برسـول اللّه حـتی طعم، و شـرب، و ضحـک، ثم خرجت إلی الراهب، و کـان قریبا من مکه فأخبرته، فأخبرها: أن جبرئیل هو أمین اللّه، و رسوله إلی الأنبیاء. ثم أتت عداسا، فسألته، فأخبرها بمثل ذلک.

ثم أتت ورقه، فأخبرهـا بمثـل ذلـک. ولکنهـا حلفته أن یکتم الأـمر، فطلب منها أن ترسل إبن عبـد اللّه الیه؛ لیسأله، و یسـمع منه؛ مخافه أن یکون الذی جاءه هو غیر جبرئیل، فإن بعض الشـیاطین یتشبه لیضل و یفسد، حتی یصیر الرجل بعد العقل الرضی مدلّها مجنونا، فرجعت الی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و أخبرته بمقاله ورقه، فنزل قوله تعالی: ن. وَ الْقَلَمِ وَ ما یَسْطُرُونَ. ما أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ. و لکنهـا أصـرت علیه أن یـذهب إلی ورقه، ففعـل، و صـدقه ورقه، فـذاع قول ورقه و تصـدیقه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فشق ذلک علی الملأ من قومه (۲).

۴- إن خـدیجه طلبت منه أن یخبرهـا حین یـأتیه الملـک ففعـل، فأمرته أن یجلس إلی شـقها الأیمن؛ ففعل، فلم یـذهب الملک، فأجلسته فی حجرها، فلم یذهب. فتحسرت فشالت خمارها، و رسول اللّه (صلی اللّه6.

۱- البـدایه و النهـایه ج ۳ ص ۱۲/ ۱۳ و سیره ابن هشـام ج ۱ ص ۲۵۴، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۳۹/ ۲۴۰، و السـیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۱/ ۸۲.

۲- البدایه و النهایه ج ۳ ص ۱۴/ ۱۵ و راجع: الأوائل لابی هلال العسکری ج ۱ ص ۱۴۶.

علیه و آله و سلم) فی حجرها، فذهب الملک، فقالت: ما هذا بشیطان، إن هذا لملک یا ابن عم، فاثبت و ابشر.

و فی روایه: أنها أدخلت رسول اللّه بین جلدها و درعها، و أخرجت رأسه من جیبها؛ فذهب جبرئیل (ع) عند ذلک (۱).

و فی روایه: أن ذلک کان بإشاره ورقه (۲).

۵- و فی روایه: إن ورقه قال لخدیجه: إسألیه من هذا الذی یاتیه، فإن کان میکائیل، فقد أتاه بالخفض و الدعه و اللین و إن کان جبرئیل، فقد أتاه بالقتل و السبی؛ فسألته، فقال: فقال جبرئیل. فضربت خدیجه جبهتها (۳).

۶- و فی روایه: أنه لما أتاه الوحی قال: (... ان الأبعد- یعنی نفسه- لشاعر أو مجنون، لا تحدّث بها قریش عنی أبدا، لأعمدن إلی حالق من الجبل؛ فلأطرحن نفسی منه، فلأقتلنها، و لأستریحن. قال:

فخرجت أرید ذلک) حتی إذا کان فی وسط جبل سمع صوتا من السماء یقول یا محمد أنت رسول اللّه.

ثم تستمر الروایه حتی تذکر: أنه ذکر لخدیجه: أن الأبعد لشاعر أو مجنون. فقالت: أعیذک باللّه من ذلک، ثم التقت بورقه؛ فأرسل إلیه بالثبات، ثم التقی به فی الطواف، فجری له معه ما جری (۴).

و عند السهیلی و غیره: أن خدیجه سألت ورقه، و عداسا، و نسطورا، ۰.

۱- البدایه و النهایه ج ۳ ص ۱۵/ ۱۶، و سیره ابن هشام ج ۱ ص ۲۵۵، و الطبری ج ۲ ص ۵۰ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۸۳، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۱، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۴.

۲- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۲.

۳- تاریخ الیعقوبی ط صادر ج ۲ ص ۲۳.

۴- تاریخ الطبری ج ۲ ص ۴۹/ ۵۰.

عن أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (۱).

۷- و فی روایه: أن عداسا أعطاها کتابا لتضعه على النبی (صلى اللّه علیه و آله و سلم)؛ فان کان مجنونا شفی، و إلّا لم یضره شیئا، فلما عادت إلیه بالکتاب وجدت معه جبرئیل یقرئه الآیات من سوره القلم، ففرحت، و أخذته إلى عداس، فکشف عداس عن ظهره؛ فوجد خاتم النبوه بین کتفیه إلخ .. (۲).

و یروی البعض: أنه (صلى اللّه علیه و آله و سلم) لما أخبرها بجبرئیل کتبت إلى بحیرا الراهب، و قیل: سافرت بنفسها إلیه لتسأله عن الأمر (۳).

۸- و فی روایه: أنه حین ذهب لیتردّى من شواهق الجبال، کان إذا ارتقى بذروه جبل، تبدّى له جبرئیل، و یخاطبه بالرساله، فیسکن جأشه، و تطمئن نفسه (۴).

۹- و یروون أیضا: أنه کان قبل النبوه یتعرض للرعده، و تغمیض العینین، و تربّد الوجه، و لما یشبه الاغماء، و یغط کغطیط البکر. (۵)

۱۰- و فی روایه: انه صلى الله علیه و آله وسلم عاد إلى أهله مسرورا موقنا: أنه قد رأى أمرا عظیما، فلما دخل على خدیجه قال: أریتک الذی کنت حدثتک: أنی رأیته فی المنام؛ فإن جبرئیل استعلن إلی، أرسله إلی ربی عز و جل، و أخبرها بالذی جاءه من اللّه، و ما یسمع منه، فقالت له: أبشر، فو اللّه لا یفعل اللّه بک إلا خیرا، و اقبل الذی جاءک من أمر اللّه، فإنه حق، و أبشر؛۲.

۱- الروض الأنف ج ۱ ص ۲۷۳، و الأوائل لأبی هلال العسکری ج ۱ ص ۱۴۶.

۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۸۴، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۳، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۴۳/ ۲۴۴.

۳- السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۳ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۴۴.

۴- المصنف ج ۵ ص ۳۲۳.

۵- السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۴، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۲.

فإنک رسول اللّه حقا.

ثـم انطلقـت إلى عـداس النصـرانی، غلاـم عتبـه بن ربیعه من أهـل نینـوی، فسـألته عن جبرائیـل؛ فتعجب من ذکر جبرائیـل بتلک الارض، ثم أخبرها بأنه أمین اللّه بینه و بین الأنبیاء. ثم جاءت إلی ورقه إلخ .. (۱).

هـذا غیض من فیض، ممـا قیـل و یقـال حول مـا جری حین بـدء الوحی، و کیفیته و ملابسـاته، من روایـات، و أقاویل متضاربه و متناقضه.

و لننتقـل الآـن إلی الإشـاره الی بعض مـا لنا من مناقشات فی تلک الأراجیف المتقـدمه، متوخین الإیجار و الإختصار مهما أمکن فنقول:

مناقشه روایات بدء الوحی:

إننـا فی مجـال بیـان مـا فی تلـک الروایات من خلل و خطل، لا نسـتطیع أن نسـتوعب کل ما فیها من نقاط ضـعف؛ لأن استیعاب ذلک- کما یبـدو- یحتاج إلی وقت طویل، بل إلی مؤلف مسـتقل .. و لکن ما لا یـدرک کله لا یترک کله، لأننا نرید أن نسـهم بدورنا فی الذب عن مقام النبوه الأقدس، و لو بشکل محدود و مقتضب، و ما نرید أن نشیر إلیه هنا هو:

أولاـ: من حیث السـند. و حیث إن العمـده فی ذلـک هو مـا ورد فی الصـحیحین و غیرهما، عن الزهری، عن عروه بن الزبیر، عن عائشه، فنحن نکتفی بالإشاره الاجمالیه إلی حال هؤلاء، فنقول:

۱- الزهری: کان من أعوان الظالمین، و من الذین یرکنون لهم (۲)، و کان عاملا لبنی أمیه (۳) و یقول المحقق التستری: إنه کان کاتبا لهشام بن۷.

۱- البدایه و النهایه ۳ ص ۱۳.

۲- راجع: سفینه البحار ج ۱ ص ۵۷۲ و ۵۷۳ و معجم رجال الحدیث ج ۱۶ ص ۱۸۲ عن ابن شهر اشوب.

۳- کشف الغمه ج ۲ ص ۳۱۷.

عبد الملک، و معلما لأولاده (۱).

وعده الثقفی من فقهاء الکوفه الذین خرجوا عن طاعه علی (علیه السلام)، و کانوا أهل عداوه له و بغض، و خذلوا عنه (۲).

و جلس هو و عروه فی مسجد المدینه فنالا من علی (علیه السلام)، فبلغ ذلک السجاد (علیه السلام)، فجاء حتی وقف علیهما؛ فقال: أما أنت یا عروه، فإن أبی حاکم أباک، فحکم لأبی علی أبیک و أما أنت یا زهری؛ فلو کنت أنا و أنت بمکه لأریتک کنّ (۳) أبیک (۴).

و نحن لا نستطیع أن نثق بأعوان الظلمه، و بمبغضی علی (علیه السلام)، کیف و قد قال صلی الله علیه و آله وسلم : (من سب علیا فقد سبنی (۵)؟.

۲- عروه بن الزبیر. عن عروه قال: أتیت عبد اللّه بن عمر بن الخطاب (رض)؛ فقلت له: یا أبا عبد الرحمان، إنا نجلس إلی ائمتنا هؤلاء، فیتکلمون بالکلام، نعلم أن الحق غیره؛ فنصدقهم، و یقضون بالجور، فنقویهم، و نحسنه لهم؛ فکیف تری فی ذلک؟ فقال: یا ابن أخی، کنا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم نعد هذا النفاق؛ فلا أدری کیف هو عندکم (۶). ص

۱- راجع ترجمه الزهری فی قاموس الرجال ج ۶.

۲- الغارات للثقفی ح ۲ ص ۵۵۸- ۵۶۰ و راجع: سفینه البحار ج ۱ ص ۵۷۲.

۳- الکن: البیت.

۴- شرح النهج للمعتزلی ج ۴ ص ۱۰۲، و الغارات للثقفی ج ۲ ص ۵۷۸، و البحار ج ۴۶ ص ۱۴۳ و راجع: سفینه البحار ج ۱ ص ۵۷۲.

۵- مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۲۱ و صححه الذهبی فی تلخیص المستدرک هامش نفس الصفحه.

۶- سنن البیهقی ج ۸ ص ۱۶۵، و قریب منه ما فی ص ۱۶۴ من دون ذکر اسم (عروه) و مثله الترغیب و الترهیب ج ۴ ص ۳۸۲ عن البخاری و إحیاء علوم الدین ج ۳ ص

فعروه يعتبر أئمه الجور أئمته، و إبن عمر يحكم عليه بالنفاق.

وعده الاسكافى من التابعين، الذين كانوا يضعون أخبارا قبيحه فى على (عليه السلام (١). و كان يتألف الناس على روايته (٢).

و روى عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان عند الزهرى حديثان عن عروه، عن عائشه فى على (عليه السلام)، فسألته عنهما يوما، فقال: ما تصنع بهما و بحديثهما؟ إنى لأتهمهما فى بنى هاشم (٣).

و كان عروه إذا ذكر عليا نال منه (۴)، و يصيبه الزمع؛ فيسبه، و يضرب إحدى يديه على الأخرى إلخ (۵).

و بعد ذلك كله؛ فإنه لم يثبت سماع الزهرى عنه. و لكن أهل الحديث اتفقوا على ذلك (۶)،

٣- أما عائشه: التى حاربت عليا و عادته، و التى يتهمها الزهرى بأنها لا تؤمن فى بنى هاشم؛ فقد أرسلت هذه الروايه، و لم تبين لنا عمن روتها، فإنهم يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثه، و إن كنا نحن نناقش فى ذلك (٧).

و أخيرا، فإن لنا كلاما طويلا فى بقيه الاسانيد فى الصحاح و غيرهاه.

١- شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۶۳.
٢- صفه الصفوه ج ٢ ص ٨۵، و تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٨٢.
٣- شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۶۴، و قاموس الرجال ج ۶ ص ٢٩٩.
۴- الغارات ج ٢ ص ۵٧۶، و شرح النهج ج ۴ ص ١٠٢.
۵- قاموس الرجال ج ۶ ص ٣٠٠.
۶- تهذيب التهذيب ج ٩ ص ۴۵٠.
٧- سيأتى ذلك إن شاء اللّه فى فصل: حتى بيعه العقبه.

لا مجال له هنا. و نكتفى بهذا القدر، لنشير الى بقيه ما فى الروايه من هنات.

و ثانيا: تناقض الروايات الظاهر لدى كل أحد، و يظهر ذلك بالملاحظه و المقارنه، و نكل ذلك الى القارى ء نفسه. و لو أن الاختلاف كان بالزياده و النقيصه لا مكن قبوله؛ على اعتبار أن أحدهما حفظ دون الآخر، أو تعلق غرضه بهذا النحو من النقل، و ذاك بنحو آخر. و كذا لو كان التناقض فى مورد واحد مثلا، فلربما يمكن الاعتذار عن ذلك بأن من الممكن وقوع الإشتباه غير العمدى من أحد النقله.

و لكن الأمر هنا أبعد من ذلك؛ فإن التناقض و الإختلاف إن لم يكن فى كل ما تضمنته تلك الروايات من نقاط، ففى جلها مما يعنى أن ثمه تعمدا للوضع و الجعل. و قديما قيل: (لا حافظه لكذوب).

هذا كله، مع غض النظر عن المناقضه بين هذه الروايات و بين الروايه التى يذكرها البخارى نفسه فى أول كتابه بعد هذه الروايه مباشره من أن أول ما نزل عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو سوره المدثر.

و يلاحظ انه ليس فى تلك الروايه ذكر لأى شى ء من تلك الأمور الغريبه و العجيبه التى تضمنتها روايه عائشه السابقه عليها؛ فإن عدم ذكرها لشى ء من ذلك يورث الشك و الريب، و يثير أكثر من سؤال عن السبب فى إهمال التعرض لذلك.

و ثالثا: إن روايه الصحاح، بل و سائر الروايات تذكر: أن جبرئيل قد أخذ النبى صلى الله عليه و آله وسلم فغطه، أى عصره و حبس نفسه او خنقه حتى بلغ منه الجهد، أو حتى ظن أنه الموت، ثم أرسله، و أمره بالقراءه؛ فأخبره النبى صلى الله عليه و آله وسلم : أنه لا يعرفها، فلم يقنع منه، بل عاد فغطه، ثم أرسله، و هكذا ثلاث مرات.

و لنا على هذا الكلام العديد من الأسئله.

فإننـا لا نعرف ما هو المبرر لـذلک کله؟ و کیف جاز لجبرئیل أن یروع النبی الأعظم (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم)، و أن یؤذیه بالعصـر و الخنق، إلی حد أنه (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) یظن أنه الموت، یفعل به ذلک، و هو یراه عاجزا عن القیام بما یأمره به و لا یرحمه، و لا یلین له!!

و لماذا یفعل به ذلک ثلاث مرات، لا أکثر و لا أقل؟!.

و لماذا صـدقه فی الثالثه، و لا یصـدقه فی المره الأولی؟ أو الثانیه؟! و إذا کان النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) قد کذب علیه أولا، فکیف بقی أهلا للنبوه؟! و إذا کان قد صدقه فلماذا لم یقتنع جبرئیل بکلامه، و عاد فخنقه حتی لیظن أنه الموت؟!.

و أیضا، هل جاء جبرئیل الیه بکتاب لیقرأه؛ إذ أن قوله (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم): (ما أنا بقاری ء) إنما یصح لو کان (صـلی اللّه علیه و آله و سلم) قد فهم أن جبرئیل یأمره بالقراءه نفسها- لا بتعلم القراءه- کما ذکره السندی (۱).

و إذا کـان المراد: القراءه بمعنی التلاوه؛ فلمـاذا یطلب منه جبرائیـل ذلـک، قبـل أن یتلو علیه شـیئا؟. ثم لماذا یعانـد هو و یرفض ذلک؟!

و بعد هذا کله، لماذا یستسلم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لجبرائیل لیعذبه علی هذا النحو الذی لا مبرر له؟

ثم لماذا یرجع مرعوبا خائفا؟! ألم یکن باسـتطاعته أن یلطمه لطمه یقلع بها عینه؟ کما فعل موسـی بملک الموت من قبل؟! حیث إنه لما جاء لیقبض روحه، لطمه علی عینه فقلعها، کما نص علیه البخاری، و کثیر من المصادر الأخری (۲)!!اه

۱- حاشیه السندی علی البخاری بهامشه ج ۱ ص ۳ ط سنه ۱۳۰۹.

۲- البخاری ط سنه ۱۳۰۹ ج ۱ ص ۱۵۲، أبواب الجنائز، و ج ۲ ص ۱۵۹ باب وفاه

أم يعقل: أنه كان- و العياذ باللّه- جبانا إلى هذا الحد؟! و كانت الشجاعه من مختصات نبی اللّه موسی وحده؟!

و أخيرا، كيف يخاف نبينا هنا، و اللّه تعالى يقول: يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّی لا يَخافُ لَدَیَّ الْمُرْسَلُونَ (١).

قد ورد ان زراره بن أعين سأل الإمام الصادق (عليه السلام): كيف لم يخف رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فيما يأتيه من قبل اللّه أن يكون مما ينزع به الشيطان؟ فقال: ان اللّه إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينه و الوقار، فكان الذی يأتيه من قبل اللّه مثل الذی يراه بعينه (٢).

إشاره:

هذا، و من المضحك المبكی هنا: أن نجد البعض يحاول أن يستدل بهذه الروايه على رأی يكذبه العقل و النقل، و بالذات يكذبه نص القرآن الكريم؛ فنراه يجعل ذلك دليلا على جواز التكليف بما لا يطاق (٣)- كما هو مذهبهم- الأمر الذی يصادم العقل و الفطره، و يخالف القرآن، كما فی قوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها (۴)، و قوله: وَ ما جَعَلَ۶.

١- النمل/ ١٠.
٢- تفسير العياشی ج ٢ ص ٢٠١ و البحار ج ١٨ ص ٢۶٢.
٣- فتح الباری ج ٨ ص ۵۵١، و إرشاد الساری ج ١ ص ۶٣.
۴- البقره: ٢٨۶.

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (۱)، و قوله: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (۲) و غير ذلك كثير.

رابعا: حول ما يذكر من خوفه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و دور زوجته و ورقه و غيرهما فى بعث الطمأنينه فى نفسه نذكر:

ألف: كيف يجوز إرسال نبى يجهل نبوه نفسه، و يحتاج فى تحقيقها الى الاستعانه بإمرأه، أو نصرانى؟ ألم تكن هى فضلا عن ذلك النصرانى اجدر بمقام النبوه من ذلك الخائف المرعوب الشاك؟

و حتى لو قبلنا ذلك، فمن أين علم: أن تلك المرأه و ذلك الرجل قد صدقاه، و قالا الحقيقه؟

و لماذا لم يستطع هو أن يدرك ما ادركته تلك المرأه، و ذلك النصرانى؟! أم يعقل أن يكون كلاهما أكبر عقلا و أكثر معرفه باللّه و تفضلاته منه؟!- نعوذ باللّه من الزلل فى القول و العمل.

و إذا جاز أن يرتاب هو مع معاينته لما يأتيه من ربه، فكيف ينكر على من ارتاب من سائر الناس، مع عدم معاينتهم لشى ء من ذلك؟!.

قال السندى: (مقتضى جواب خديجه، و الذهاب الى ورقه: أن هذا كان منه على وجه الشك. و هو مشكل بأنه لما تم الوحى صار نبيا، فلا يمكن أن يكون شاكا بعد فى نبوته، و فى كون الجائى عنده ملكا من اللّه، و كون المنزل عليه كلام رب العالمين)!!

ثم حاول السندى توجيه ذلك بأنه صلى الله عليه و آله وسلم أراد اختبار خديجه، و أن يمهد لاعلامها بالامر (۳).۳.

۱- الحج: ۷۸.

۲- البقره: ۱۸۵.

۳- حاشيه السندى بهامش البخارى ط سنه ۱۳۰۹ ه ج ۱ ص ۳.

و هو توجيه عجيب، فإننا لم نعهد منه صلى الله عليه و آله وسلم إتباع مثل هذه الأساليب الملتويه فی الوصول الی مقاصده و نحن نجله صلی الله علیه و آله وسلم عن نسبه الكذب اليه على خديجه- معاذ اللّه، ثم معاذ اللّه!!. ثم .. كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقی نفسه من شواهق الجبال، و غير ذلك مما تقدم مما ذكرته روايات الوحی؟!

و أيضا، كيف يبعث اللّه رجلا، قبل أن يربيه تربيه صالحه و يعده إعدادا تاما، بحيث يستطيع أن يكون فی مستوى الحدث العظيم الذی ينتظره؟! نعم، كيف أهمله هكذا، حتى إنه حين بعثته ليبدو مذعورا خائفا، ظانا بنفسه الجنون، يريد أن يلقی بنفسه من شواهق الجبال، حتى كأنه طفل تائه، يملأ قلبه الهم، يحتاج إلی من يطمئنه، و يهديه، و يأخذ بيده، و لو امرأه أو أی انسان عادی آخر؟! هذا كله عدا عن أن ذلك يدل و العياذ باللّه على ضعف إرادته، و ضآله شخصيته.

و أين ذهبت عن ذاكرته تلك الكرامات التی كان يواجهها، دون كل أحد، كتسليم الشجر و الحجاره عليه (۱). و الرؤيا الصادقه، و غير ذلك مما ذكره المؤلفون و المؤرخون؟!.

ب: قال تعالی: (وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ) (۲).

و قال تعالی: (قُلْ: نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ؛ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ) (۳).

و قال: (إِنِّی عَلی بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّی) (۴) و قال تعالی: (قُلْ: هذِهِ سَبِيلِی أَدْعُوا إِلَی اللَّهِ عَلی بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی) (۵).۸.

۱- سيره ابن هشام ج ۱ ص ۲۳۴/ ۲۳۵.

۲- الفرقان: ۳۲.

۳- النحل: ۱۰۲.

۴- الأنعام: ۵۷.

۵- يوسف: ۱۰۸.

إذن، فالنبوه، و تنزيل القرآن، ليس إلا لتثبيت المؤمنين، و لتثبيت فؤاد النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و هذا يتنافى مع قولهم: إن نفسه الشريفه قد سكنت اعتمادا على قول نصرانى، أو امرأه.

كما أن من الواضح: أنه لا حجه بينه فى قول ورقه، أو خديجه، فكيف صح أن يقول: قل هذه سبيلى أدعو إلى اللّه على بصيره أنا و من اتبعنى.

و خامسا: لابد من الاشاره إلى بعض الكلام حول ورقه، و نسطور، و عداس، و بحيرا و غيرهم، ممن ذكرت اسماؤهم فيما تقدم، و عمده الروايات تتجه نحو ورقه، و تركز عليه. لا سيما و أنه هو الذى نص عليه البخارى، و غيره من المصادر الموثوقه لدى غير الشيعه.

١- أما نسطور، و بحيرا، فهما الراهبان اللذان تنسب اليهما القضيه التى جرت للنبى صلى الله عليه و آله وسلم فى صغره، حينما سافر مع أبى طالب إلى الشام، و بصرى حيث بشر نسطور أو بحيرا بنبوه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و أمر بإعادته صلى الله عليه و آله وسلم إلى مكه كما تقدم.

و إذا كان بحيرا أو نسطور فى بصرى- و هى قصبه كوره حوران فى الشام من اعمال دمشق- فيرد السؤال: كيف سافرت خديجه من مكه إلى الشام هذه السفره الطويله؟، أو متى كتبت إليه فاجابها. مع أنهم يقولون:

إنه صلى الله عليه و آله وسلم بعث فى أول يوم، فأسلم على و خديجه (عليها السلام) فى اليوم الثانى، و صليا معه مسلمين مؤمنين بنبوته (١).٧.

١- مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٢ و تلخيصه للذهبى بهامش نفس الصفحه و فرائد السمطين ج ١ ص ٢٤٣. و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٣ ص ٣٢ و المناقب للخوارزمى ص ٢١ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۶۴۰ و تفسير الوصول ج ٢ ص ١۴٧.

و هـل كـان فی ذلـک الزمـان طائرات؟، أو أنها سافرت علی بساط الریـح، أو طویت لها الأرض؟! و لا نـدری، فلعلهم قـد انتقلوا لیسکنوا قرب مکه، لتتمکن خدیجه من استشارتهم فی الوقت المناسب، ثم لا یعود یسمع لهما ذکر أصلا، لأن مهمتهما قد انتهت (!!!).

٢- و عداس، الیس هو الذّی اسـلم علی ید النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی الطائف بعد عشر سنین من البعثه أی بعد وفاه أبی طالب (علیه السلام).

و تروی القصه بنحو یدل أن عداسا لم یکن یعرف النبی صلی الله علیه و آله وسلم قبل ذلک (١) و لا سمع به.

کمـا أن الروایـات تنص علی أن جوابه هو نفس جواب ورقه، و علی أنه کـان- کورقه- راهبـا، کبیر السن، قـد وقع حاجبـاه علی عینیه، و قد ثقل سـمعه إلخ ... و هذه الأوصاف یشارکه فیها غیره ممن سألتهم خدیجه ما عدا ثقل السـمع، الذی عوض عنه ورقه المسکین بالعمی ...

و احتمال أن یکون عدّاس هذا غیر ذاک، لیس له ما یؤیده، أو یشیر الیه.

و یبقی هنا سؤال أخیر، و هو: أنه کیف لم یسمع باسلام هؤلاء:

بحیرا، و عداس، و نسـطور، من حین بعثته صلی الله علیه و آله وسلم ، مع معرفتهم بان النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد بعث، و مع أن سند نبوته قد تلقاه صلی الله علیه و آله وسلم منهم، حسب نص الروایات المتقدمه؟ ...

کما أن روایه عـداس تقول: إنه لما عادت خـدیجه من عنـد عـداس، اذا بجبرئیل یقری ء النبی صـلی الله علیه و آله وسـلم سوره القلم. و هـذا مخـالف لما یـذکره المفسـرون: من أن هـذه السوره إنما نزلت حینما وصف المشـرکون النبی صـلی الله علیه و آله وسلم بأنه مجنون (٢)، و واضح: أن هذا لم یحصل إلا بعد انتهاء۴.

١- سیأتی ذلک فی الجزء الثالث من هذا الکتاب فی فصل: الهجره إلی الطائف.

٢- الدر المنثور ج ۶ ص ٢۵٠، و السیره الحلبیه ج ١ ص ٢۴۴.

فتره الدعوه السریه، و حینما صدع بما یؤمر به، کما هو معلوم.

۳- أما ورقه: فانهم بالاضافه إلی ما ینسبونه الیه من دور هام فی تثبیت نبوه نبینا الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم ، نجدهم یذکرون: أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد قال عن ورقه کلاما یدل علی أنه فی الجنه، و لکنهم اختلفوا فی نص ذلک الکلام.

ففی روایه انه صلی الله علیه و آله وسلم قال: (لا تسبوا ورقه فانی رأیت له جنه، أو جنتین ...) أو (رأیته فی ثیاب بیض) و فی أخری: (لقد رأیت القس- یعنی ورقه- فی الجنه علیه ثیاب الحریر.) و فی ثالثه: (أبصرته فی بطنان الجنه و علیه ثیاب السندس). و فی رابعه: (قد رأیته فرأیت علیه ثیابا بیضا، و أحسبه لو کان من أهل النار لم تکن علیه ثیاب بیض) (۱).

و عده ابن منده فی الصحابه، و عدّه الزین العراقی علی: أنه أول من أسلم، و مال إلیه البلقینی (۲).

و تقدم فی الروایات حول بدء الوحی، التی هی موضع المناقشه:

أنه صدق النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و عرّفه أنه نبی، و وعده النصر، ثم لم ینشب أن توفی.

هذا ما قیل عنه، و لکننا نجد فی مقابل ذلک:

۱- ان ابن عساکر یقول: (لا أعرف أحدا قال: إنه اسلم) (۳).

۲- و ابن الجوزی یقول انه: (آخر من مات فی الفتره، و دفن فی۳.

۱- راجع تلکم النصوص فی مستدرک الحاکم ح ۲ ص ۶۰۹ و تلخیصه للذهبی هامش نفسه الصفحه، و صححاه علی شرط الشیخین، و سیره مغلطای ص ۱۵ عن الحاکم، و المصنف ج ۵ ص ۳۲۴، و نسب قریش لمصعب الزبیری ص ۲۰۷، و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۹، و الروض الأنف ج ۱ ص ۲۷۵، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۰، و أسد الغابه ج ۵ ص ۸۹، و الإصابه ج ۳ ص ۶۳۵، و غیر ذلک.

۲- شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۷۴، و إرشاد الساری ج ۱ ص ۶۷.

۳- الإصابه ج ۳ ص ۶۳۳.

الحجون، فلم یکن مسلما.) و کذا قال غیره (۱).

۳- و ابن عباس یقول: (مات علی نصرانیته) (۲).

۴- لقد مات علی نصرانیته، مع أنه عاش بعد البعثه عده سنوات، فکیف یدخل الجنه إذن. و یدل علی أنه عاش بعد البعثه عده سنوات، ما رواه غیر واحد، من أنه کان یمر ببلال و هو یعذب، و نهاهم عنه فلم ینتهوا؛ فقال: و اللّه، لئن قتلتموه لأتخذن قبره حنانا (۳) و تعذیب بلال إنما کان بعد الاعلان بالدعوه کما هو معروف.

و کیف یصح قول البعض: إنه مات بعد النبوه و قبل الرساله (۴)؟!.

و قد اسلم علی و خدیجه، وصلیا ثانی یوم البعثه، بدعوه منه صلی الله علیه و آله وسلم ، فلماذا بقی ورقه علی نصرانیته هذه السنین المتعدده.

هذا، عدا عن أن البعض قد استنتج مما رواه البخاری و غیره، من أن سوره المدثر کانت أول ما نزل علیه صلی الله علیه و آله وسلم ، و بالذات من قوله: (قم فأنذر)- استنتج-: أن البعثه کانت مقترنه بالنبوه (۵).

۵- قال فی الامتاع و غیره: إن ورقه قد توفی فی السنه الرابعه۱.

۱- الإصابه ج ۳ ص ۶۳۴، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۳/ ۸۴ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۰.

۲- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۰، و الإصابه ج ۳ ص ۶۳۴.

۳- حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۱۴۸، و نسب قریش لمصعب ص ۲۰۸، و إرشاد الساری، ج ۱ ص ۶۷، و فتح الباری ج ۱ ص ۲۶، عن ابن إسحاق، و ج ۸ ص ۵۵۴، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۴ و ۱۲۵، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۲، و الإصابه ج ۳ ص ۶۳۴، و لیراجع نهایه ابن الأثیر ج ۱ ص ۲۶۶، و السیره النبویه لابن کثیر ج ۱ ص ۴۹۲.

۴- السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۴ و غیره.

۵- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۱.

للمبعث أو بعد تتابع الوحی (۱).

۶- نقل عن الواقدی: أنه توفی بعد الأمر بالقتال (۲)- و کان ذلک بعد الهجره.

و علیه فکیف یکون ورقه فی الجنه علیه ثیاب السندس أو الحریر؟!- و کیف یکون هو فی الجنه، و أبو طالب حامی الاسلام و الدین فی ضحضاح من نار؟!.

و بعد ذلک کله، فاننا لم نفهم سبب تردد النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی أن یکون له جنه او جنتان، و لا نفهم أیضا، لماذا قال: و أحسبه لو کان من أهل النار لم یکن علیه ثیاب بیض. أم لعله نسی أنه قد قال: إنه رآه فی الجنه علیه ثیاب السندس أو الحریر؟! أو أن النبی نفسه صلی الله علیه و آله وسلم قد ترقی و تدرج فی التعرف علی مالورقه من مقام؟! أم أن ورقه نفسه قد ترقی فی مدارج القرب و الزلفی؟!.

و أخیرا، فاننا لا ندری بعد ورود تلک الأقوال فیه لماذا لم یحکم المسلمون جمیعا بأنه أول من أسلم، لا علی و لا خدیجه، و لا غیرها؟! و لماذا لا یعدونه من جمله الصحابه؟!.

و کیف یقولون: إنه توفی و هو علی نصرانیته، ثم کیف یدخل هذا النصرانی الجنه؟!.

کانت تلک بعض الاسئله التی تحتاج إلی جواب. و أنی؟!.

وثمه أسئله أخری:

هذا غیض من فیض مما یرد علی تلک الروایات، و بقی فیها الکثیر۷.

۱- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۰ و ۲۵۲ عن کتاب الخمیس عن الصحیحین، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۴.

۲- إرشاد الساری ج ۱ ص ۶۷.

من الاسئله، التی تحتاج إلی جواب:

فمثلا: حول ذهاب الملک حینما کشفت خدیجه قناعها، و أدخلته صلی الله علیه و آله وسلم بین درعها و جلدها.

یرد سؤال: إنه هل کان الحجاب فی ذلک الوقت مفروضا تلتزم به النساء؟، و کیف؟ و هم یقولون: إن الحجاب قد فرض فی المدینه بعد الهجره؟ و بعد وفاه خدیجه (علیها السلام)؟! فکیف إذن أدرکت خدیجه أن الملک یذهب إذا کانت بلا قناع؟!.

و أیضا هل الملک مکلف بعدم النظر إلی نساء البشر؟! و هل للملک شهوه کشهوه الانسان لابد من الاحتراس منها؟ و من أین عرفت خدیجه کل ذلک.

إلی غیر ذلک من الاسئله الکثیره التی لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع و المفید.

و من الطعن فی النبوه أیضا:

و بالمناسبه، فان کل ما تقدم لم یکفهم، بل زادوا علیه قولهم: إنه قد کان للنبی صلی الله علیه و آله وسلم عدو من شیاطین الجن یسمی الابیض، کان یأتیه فی صوره جبرئیل، و لعله هو الشیطان الذی أعانه اللّه علیه فاسلم- کما یقولون (۱).

و شیطانه هذا الذی اسلم کان یجری منه مجری الدم (۲).٠

۱- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۵۳، و راجع: إحیاء علوم الدین ج ۳ ص ۱۷۱ و فی هامشه عن مسلم، و الغدیر ج ۱۱ ص ۹۱ عنه، و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۲۰۲، و مشکل الآثار ج ۱ ص ۳۰، و راجع حیاه الصحابه ج ۲ ص ۷۱۲ عن مسلم و عن المشکاه ص ۲۸۰ و راجع: المحجه البیضاء ج ۵ ص ۳۰۲/ ۳۰۳.

۲- مشکل الآثار ج ۱ ص ۳۰.

و كان يدعو اللّه بأن يخسأ شيطانه؛ فلما اسلم ذلك الشيطان ترك ذلك (۱).

و رووا انه عرض للنبى صلى الله عليه و آله وسلم فى صلاته قال: فأخذت بحلقه فخنقته فانى لأجد برد لسانه على ظهر كفى (۲).

و يروون أيضا: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد صلى بهم الفجر، فجعل يهوى بيديه قدامه، و هو فى الصلاه؛ و ذلك لأن الشيطان كان يلقى عليه النار؛ ليفتنه عن الصلاه (۳).

و نقول:

و نحن لا نشك فى أن هذا كله من وضع أعداء الدين؛ بهدف فسح المجال أمام التشكيك فى النبوه، و فى الدين الحق. و قد أخذه بعض المسلمين- لربما- بسلامه نيه، و حسن طويه، و بلا تدبر أو تأمل، سامحهم اللّه، و عفا عنهم.

و الغريب فى الأمر: اننا نجدهم فى مقابل ذلك يروون عنه صلى الله عليه و آله وسلم قوله لعمر: (و الذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا، إلا سلك فجا غير فجك (۴))، و قوله له: (إن الشيطان ليخاف او ليفرق منك يا۴.

۱- المصدر السابق.
۲- مسند أبى يعلى ج ۱ ص ۵۰۶ و ۳۶۰ و مسند أبى عوانه ج ۲ ص ۱۴۳ و السنن الكبرى ج ۲ ص ۲۶۴ و مسند أحمد ج ۲ ص ۲۹۸ و أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه، و ثمه مصادر كثيره أخرى و راجع الغدير ج ۸ ص ۹۵.
۳- المصنف ج ۲ ص ۲۴، و راجع: البخارى ط سنه ۱۳۰۹ ه ج ۱ ص ۱۳۷، و ج ۲ ص ۱۴۳.
۴- صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۱۵، و البخارى ط سنه ۱۳۰۹ ج ۲ ص ۱۴۴ و ۱۸۸، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۷۱ و ۱۸۲ و ۱۸۷. و الرياض النضره ج ۲ ص ۲۹۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۱۷۸ و الغدير ج ۸ ص ۹۴.

عمر (۱)) و قوله: (إن الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم إلاـ خر لوجهه (۲)) و عن مجاهد: كنا نتحدث، أو نحدث: ان الشياطين كانت مصفده فى اماره عمر، فلما أصيب بثّت (۳).

و صارع عمر الشيطان مرات، و فى كل مره يصرعه عمر (۴).

هذا عمر! و هذه حاله الشيطان معه! و ذلک هو نبى الاسلام الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، و تلک هى حالته مع الشيطان، عند هؤلاء، الذين تروق لهم مثل هذه الترهات، و يتقبلونها من اعداء الاسلام، و المتاجرين به بسذاجه هى إلى الغباء أقرب.

و لربما يكون الدافع لدى بعضهم أن يجد لأبى بكر الذى قال حين أصبح خليفه: إن له شيطانا يعتريه أن يجد له نظيرا، و لكن من مستوى لا يدانى و لا يجارى؛ فوقع اختياره على النبى الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، ليكون هو ذلک النظير؛ فانا للّه و إنا إليه راجعون.

ما هو الصحيح فى قضيه بدء الوحى:

و الذى نطمئن إليه هو أنه قد أوحى إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و هو فى غار حراء فرجع إلى أهله مستبشرا مسرورا بما اكرمه اللّه به، مطمئنا إلى۱.

۱- صحيح الترمذى كتاب ۴۶ باب ۱۷ و فيض القدير عنه و عن أحمد و ابن حبان. و راجع تاريخ عمر ص ۳۵. و الغدير ج ۸ ص ۹۶.

۲- عن فيض القدير ج ۲ ص ۳۵۲ عن الطبرانى و ابن منده، و أبى نعيم، و الإصابه ج ۴ ص ۳۲۶ عنهم.

۳- منتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج ۴ ص ۳۸۵/ ۳۸۶، عن ابن عساكر و حياه الصحابه ج ۳ ص ۶۴۷ عن المنتخب.

۴- حياه الصحابه ج ۳ ص ۶۴۶ عن مجمع الزوائد ج ۷ ص ۷۱ عن الطبرانى و صحح بعض طرقه، و عن أبى نعيم فى الدلائل ص ۱۳۱.

المهمه التی أوکلت إلیه- کما یرویه ابن اسحاق، و اشارت إلیه الروایه الأخیره التی تقدمت عند ذکر نصوص الروایات- و ان کان قد زید فیها مالا یصح- فشارکه أهله فی السرور، و اسلموا، و قد روی هذا المعنی عن أهل البیت (علیهم السلام).

فعن زراره أنه سال الامام الصادق (علیه السلام): کیف لم یخف رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فیما یأتیه من قبل اللّه: أن یکون مما ینزع به الشیطان؟.

فقال: إن اللّه إذا اتخذ عبدا رسولا، أنزل علیه السکینه و الوقار، فکان الذی یأتیه من قبل اللّه، مثل الذی یراه بعینه (۱).

و سئل (علیه السلام): کیف علمت الرسل انها رسل؟ قال: کشف عنهم الغطاء (۲).

و قال الطبرسی: (إن اللّه لا یوحی إلی رسوله إلا بالبراهین النیره، و الآیات البینه، الداله علی ان ما یوحی إلیه إنما هو من اللّه تعالی؛ فلا یحتاج إلی شی ء سواها، و لا یفزع و لا یفزع، و لا یفرق (۳)).

و قال عیاض: (لا یصح ان یتصور له الشیطان فی صوره الملک، و یلبّس علیه الامر، لا فی أول الرساله و لا بعدها. و الاعتماد فی ذلک علی دلیل المعجزه. بل لا یشک النبی ان ما یاتیه من اللّه هو الملک، و رسوله الحقیقی، إما بعلم ضروری یخلقه اللّه له، أو ببرهان جلی یظهره اللّه لدیه؛ لتتم کلمه ربک صدقا و عدلا، لا مبدل لکلمات اللّه (۴)).۲.

۱- التمهید فی علوم القرآن ج ۱ ص ۴۹ عن العیاشی ج ۲ ص ۲۰۱، و البحار ج ۱۸ ص ۲۶۲.
۲- التمهید ج ۱ ص ۵۰، و البحار ج ۱۱ ص ۵۶.
۳- مجمع البیان ج ۱۰ ص ۳۸۴، و التمهید ج ۱ ص ۵۰ عنه.
۴- التمهید ج ۱ ص ۵۰ عن رساله الشفاء ص ۱۱۲.

لماذا الكذب و الافتعال إذن؟!

و بعد كل ما تقدم؛ فإننا نرى أن افتعال تلك الاكاذيب يعود لأسباب، أهمها:

۱- إن حديث الوحى هو من أهم الأمور التى يعتمد عليها الاعتقاد بحقائق الدين و تعاليمه. و له أهميه قصوى فى اقناع الانسان بضروره الاعتماد فى التشريع، و السلوک، و الاعتقاد، و الاخبارات الغيبيه، و كل المعارف و المفاهيم عن الكون، و عن الحياه، على الرسل و الانبياء، و الائمه و الاوصياء، و له أهميه كبرى فى اقناعه بعصمه ذلک الرسول، و صحه كل مواقفه و سلوكه، و اقواله و افعاله.

فاذا أمكن أن يتطرق الشک فى نفسه الى الوحى، على اعتبار أنه إذا لم يستطع النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه أن يفرق بين الملاک و الشيطان، و الوسوسه، و الحقيقه، و هو يعاين و يشاهد؛ فان غيره و هو لا يتيسر له الاطلاع الحسى على شى ء من ذلک يكون أولى بالشک، و عدم الاعتماد.

و قد نقل الحجه البلاغى ان بعض أهل الكتاب قد نقض على المسلمين بذلک فقال: (الشيطان قرين محمد، و تشبث بنقله عن بعض المفسرين قولهم: إنه كان لرسول اللّه عدو من شياطين الجن، كان يأتيه بصوره جبرئيل. و انه يسمى الابيض (۱)).

و بعد هذا، فاننا نستطيع أن نعرف سر محاولات أعداء الاسلام الدائبه للتشكيک فى اتصال نبينا الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم باللّه تعالى، فافتعلوا الكثير مما رأوه مناسبا لذلک، من الوقائع و الأحداث التى رافقت الوحى فى مراحله الأولى، أو حرفوه و حوروه حسب أهوائهم، و خططهم، و مذاهبهم،۵.

۱- الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۶۹ عن كتاب الهدايه فى الرد على إظهار الحق، و السيف الحميدى ج ۳ ص ۵.

على اعتبار أنها فتره بعيده نسبيا عن متناول الايدى عاده، فلما فشلوا فى ذلك حاولوا ادعاء أن ما جاء به نبينا صلى الله عليه و آله وسلم كان نتيجه عبقريته و نبوغه، و عمق تفكيره، و معرفته بطرق استغلال الظروف، و انتهاز الفرص. و ليس لأجل اتصاله بالمبدأ الاعلى تبارک و تعالى.

و هكذا، فاننا نستطيع أن نتهم يد أهل الكتاب فى موضوع الاحداث غير المعقوله، التى تنسب زورا و بهتانا الى مقام نبينا الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم حين بعثته، و لا أقل من تشجيعهم لمثل هذه الترهات.

۲- كما أنه لابد أن يحتاج نبينا صلى الله عليه و آله وسلم إليهم لإمضاء صک نبوته، و تصديق وحيه، و يكون مدينا لهم، و على كل مسلم أن يعترف بفضلهم، و بعمق وسعه اطلاعهم، و معرفتهم بأمور لا يمكن أن تعرف إلا من قبلهم؛ فكان اختراع هذا الدور لورقه، و عداس، و بحيرا، و ناصح، و نسطور، و كلهم من أهل الكتاب!!.

۳- و اما سؤال: لماذا اختص نبينا الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم بكل تلک المصاعب و الأهوال، و بهذه المعامله السيئه من جبرائيل، حتى لقد صرح البعض: بأنه لم ينقل عن أىّ من الانبياء السابقين: أنه تعرض لمثل ذلک عند ابتداء الوحى، حتى عدّ ذلک من خصائص نبينا صلى الله عليه و آله وسلم (۱).

إن هذا السؤال لا يبقى له وقع، إذا لا حظنا: أن بعض الامور و الأحوال غير المعقوله، قد تسربت إلى بعض المسلمين من قبل أهل الكتاب، حتى أصبحت جزءا من التاريخ، و الفقه، و العقائد و الخ. و ذلک من أجل أن يكون لنبى المسلمين نفس الحالات التى تذكر لغيره من الانبياء فى كتب اهل الكتاب.۲.

۱- بهجه المحافل ج ۱ ص ۶۲، و فتح البارى ج ۸ ص ۵۵۲، و إرشاد السارى ج ۱ ص ۶۳، و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۲۴۲.

و إذن، فليس غريبا أن نجد ملامح هذه القصه موجوده فى العهدين، فقد جاء فى الكتابين الذين يطلق عليهما اسما التوراه و الانجيل: أن دانيال خاف و خر على وجهه، و زكريا اضطرب، و وقع عليه الخوف، و يوحنا سقط فى رؤياه كميت، و عيسى تغيرت هيئه وجهه، و بطرس حصلت له غيبوبه و اغماء، و هكذا الحال بالنسبه ليعقوب و ابراهيم و غيرهم (۱).

و لكن ذلك لا يعنى: أننا ننكر ثقل الوحى عليه صلى الله عليه و آله وسلم : فان ذلك بحث آخر (۲). و لكننا ننكر اضطرابه و خوفه صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى أراد أن يتردى من شواهق الجبال، و خاف على نفسه الجنون. و ننكر ما فعله به جبرئيل، حسب ما ذكرته الروايات المتقدمه، فان الظاهر ان ذلك قد تسرب من قبل أهل الكتاب إلى المحدثين الاتقياء. أو فقل: الاغبياء! الاشقياء، كما هو الحال فى كثير من نظائر المقام، حسبما يظهر للناقد البصير، و المتتبع الخبير.

۴- انک تجد فى العهدين أن الشيطان يتصرف بالانبياء و غيرهم حتى بابن الاله بزعمهم فيقولون: إن الروح أصعد المسيح إلى البريه أربعين يوما ليجرب من قبل ابليس، فأصعده الشيطان الى جبل عال، و أراه جميع ممالک المسکونه فى لحظه من الزمان، و قال له: أعطيک هذا السلطان کله و اسجد لى إلخ (۳).

و قال فى موضع آخر: و لما اکمل ابليس کل تجربه (أى معه.

۱- راجع فى ذلک کله: الهدى إلى دين المصطفى، للحجه البلاغى ج ۱ ص ۱۴.
۲- و قوله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْکَ قَوْلًا ثَقِيلًا) يرى المحقق السيد مهدى الروحانى أن معناه: أن مهمه دعوه الناس إلى الحق، و ترک عاداتهم و ما هم عليه حتى يزکيهم، من أثقل الأمور و أصعبها.
۳- إنجيل متى الإصحاح ۴ الفقره ۳- ۱۳ و الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۷۰ عنه.

المسیح) فارقه إلی حین (١).

و یقول بولس الرسول: و لئلا أرتفع بفرط الاعلانات اعطیت شوکه فی الجسد ملاک الشیطان لیلطمنی؛ لئلا أرتفع؛ من جهه هذا تضرعت إلی الرب ثلاث مرات أن یفارقنی (٢).

و فی موضع آخر: لذلک أردنا أن نأتی أنا و بولس مره و مرتین، و إنما عاقنا الشیطان (٣).

کما أن الانجیل یذکر: أن المسیح قد عبر عن بطرس بأنه شیطان (۴).

إلی غیر ذلک مما لا مجال لتتبعه (۵).

۵- و عدا عن ذلک کله. فاننا لا نستبعد: أن یکون الهدف من جعل تلک الترهات، هو الحط من کرامه النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم ، و الطعن فی قدسیته و مقامه فی نفوس الناس، و تصویره لهم علی أنه رجل عادی مبتذل، و لا أدل علی ذلک من إحتیاجه الی أبسط الناس حتی النساء لیرشده إلی طریق الهدی، و یدله علی الحق؛ مما یدل علی أنه قاصر محتاج باستمرار الی مساعده الآخرین؛ الذین هم أحسن تصرفا و أکثر تعقلا منه.

و قد أشرنا فی تمهید الکتاب إلی بعض ما یمکن أن یقال فی ذلک،٣.

١- الهدی إلی دین المصطفی ج ١ ص ١٧١ عن إنجیل لوقا ١٣.
٢- کورنتوش الثانیه الإصحاح ١٢ فقره ٧- ٩.
٣- تسالونیکی الأولی الإصحاح الثانی فقره ١٨. و الهدی إلی دین المصطفی ج ١ ص ١٧٢ عنه.
۴- إنجیل متی الإصحاح ١۶ فقره ٢٣، و الهدی إلی دین المصطفی ج ١ ص ١٧١.
۵- راجع: الهدی إلی دین المصطفی ج ١ ص ١۶٩- ١٧٣.

و قلنا: إن الظاهر هو أن تلك خطه السياسيين، الـذين يريـدون أن يرغموا أنوف بنى هاشم، و يبزّونهم سياسـيا، من أمثال: معاويه الذى أقسم على أن يدفن ذكر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و مع معاويه سائر الامويين و اعوانهم.

و من أمثـال عبـد اللّه بن الزبير، الـذى قطع الصـلاه على النبى صـلى الله عليه و آله وسـلم مـده طويله؛ لأـن له أهيل سوء إذا ذكر شمخت آنافهم (١).

۶- لقد كان الزبيريون يواجهون و ينافسون الامويين، و يعادون الهاشميين، و يحسدونهم على مالهم من شرف و سؤدد.

و اذا لا حظنا نصوص الروايه المتقدمه لقضيه ورقه بن نوفل، فإن عمده رواتها هم من الزبيريين و حزبهم،

كعروه بن الزبير، الذى اصطنعه معاويه ليضع أخبارا قبيحه فى على.

و كإسماعيل بن حكيم- مولى آل الزبير.

و كذلك وهب بن كيسان.

ثم أم المؤمنين عائشه خاله عبد اللّه بن الزبير.

ثم لا حظنا فى المقابل: أن خـديجه هى بنت خويلـد بن أسـد، و ورقه هو ابن نوفل بن أسـد، و الزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد. فتكون النسبه بين الجميع واضـحه المعالم (٢)- إذا لاـ حظنـا ذلك كله- فإننا نسـتطيع أن نعرف: أنه كان لابـد و أن يكون لأقارب عبد اللّه بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، و من ثم للزبيريين بشـكل عام، دور حاسم فى انبعاث الإسـلام، إذ لولاهم لقتل النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه، أو على الأقل لمه.

١- تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على حلف الفضول فراجع.

٢- لكن من الواضـح: أن كـون ورقه هو ابن عم خـديجه؛ يبعـد كون ورقه شـيخا كـبيرا، قـد وقع حاجبـاه على عينيه، كمـا تزعم النصوص المتقدمه.

يستطع أن يكتشف نبوه نفسه.

و إذا كان للزبيرّيين هـذا التاريخ المجيد، فليس للأمويين أن يفخروا عليهم بخلافه عثمان، و ليس للهاشـميين أن يفخروا بمواقف أبى طالب، و ولده على أمير المؤمنين (عليه السلام).

و إذن، فلا بد من دعوى: أن ورقه قد تنصر، و أنه كان يكتب من الإنجيل بالعبرانيه ماشاء، إلى آخر ما قيل و يقال فى ذلك.

النتيجه:

و هكـذا فإن النتيجه تكون هى: أن الأمويين يسـتفيدون من افتعال القصه على هـذا النحو، و يحققون أعز أهدافهم و أغلاها، كما أن الزبيريين أيضا يستفيدون منها، أما أهل الكتاب فيكون لهم منها حصه الأسد.

و بـذلك ينعقـد الإجمـاع من قبـل مسـلمه أهـل الكتـاب، الـذين لم يسـلموا و لكنهم إستسـلموا، إلى جانب منافقى هـذه الأمه و طلقائهـا، و طلاب الـدنيا، فأدخلوا فى الإسـلام من إسـرائيليات أولئک، و ترهات هؤلاء كل غريبه؛ و نسـبوا إلى نبى الإسـلام كل عجيبه، بعـد أن نجحوا فى إبعاد أهل البيت (عليهم السـلام) عن موقعهم الذى جعله اللّه سـبحانه لهم، ليحتل القصاصون و أذناب الحكـام محلهم، و كـانت هـذه الجريمه النكراء حينما التقت المصالـح و الأهواء، و اجتمعت على هـذا الأمر، فلماذا لا يـدلى كل بدلوه؟ أو كيف لا تشجع أمثال هذه الترهات و الأباطيل.

عصمنا اللّه من الزلل، فى القول و العمل.

الفصل الثالث: الدعوه فی مراحلها الاولی

اشاره

أول من أسلم:

إن أول من أسلم، و اتبع و صدق، و آزر و ناصر، هو أمير المؤمنين، و إمام المتقين، على بن أبى طالب صلوات اللّه و سلامه عليه و على أبنائه الأئمه الطاهرين.

و أورد العلامه الأمينى فى كتابه القيم (۱): أقولا عن العشرات من كبار الصحابه، و التابعين، و غيرهم من الأعلام، و عن العشرات من المصادر غير الشيعيه، تؤيد و تؤكد على ان أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول الأمه اسلاما.

و من هؤلاء الأعلام: ۱- على (عليه السلام) نفسه، ۲- الإمام الحسن (عليه السلام)، ۳- الإمام الباقر (عليه السلام)، ۴- عمر بن الخطاب، ۵- سلمان الفارسى، ۶- أنس بن مالك، ۷- إبن عباس، ۸- أبوذر، ۹- المقداد بن عمرو، ۱۰- خباب بن الارت، ۱۱- جابر بن عبد اللّه الأنصارى، ۱۲- أبو سعيد الخدرى، ۱۳- حذيفه بن اليمان،۹.

۱- راجع: الغدير ج ۳ ص ۹۵ و ۹۶ و ۹۹ و ۲۲۴- ۲۳۶ و ج ۱۰ ص ۱۵۶ و ۱۵۸ و ۱۶۴ و ۱۶۸ و ۲۹۰ و ۳۲۲ و ج ۹ ص ۱۱۵ و ۱۲۲ و راجع دلائل الصدق، و الأوائل للطبرانى ص ۷۸/ ۷۹.

۱۴- عبد اللّه بن مسعود، ۱۵- أبو أيوب الأنصارى، ۱۶- خزيمه بن ثابت (ذو الشهادتين)، ۱۷- عمرو بن العاص، ۱۸- سعد بن أبى و قاص، ۱۹- زيد بن أرقم، ۲۰- محمد بن أبى بكر، ۲۱- جرير بن عبد اللّه البجلى، ۲۲- بريده الأسلمى، ۲۳- عفيف الكندى، ۲۴- أبو رافع، ۲۵- أبو مرازم، ۲۶- هاشم المرقال، ۲۷- عبد اللّه بن حجل، ۲۸- ابو عمره (بشير بن محصن)، ۲۹- عبد اللّه بن خباب بن الارت، ۳۰- عبد اللّه بن بريده، ۳۱- مالك الأشتر، ۳۲- عدى بن حاتم، ۳۳- محمد بن الحنفيه، ۳۴- طارق بن شهاب الأحمسى، ۳۵- عبد اللّه بن هاشم المرقال، ۳۶- عمرو بن الحمق، ۳۷- سعيد بن قيس الهمدانى، ۳۸- عبد اللّه بن أبى سفيان، ۳۹- كعب بن زهير، ۴۰- ربيعه بن الحرث بن عبد المطلب، ۴۱- الفضل بن أبى لهب، ۴۲- أبو الأسود الدؤلى، ۴۳- جندب بن زهير، ۴۴- مالك بن عباده، ۴۵- زفر بن يزيد بن حذيفه الأسدى، ۴۶- النجاشى بن الحارث بن كعب، ۴۷- عبد اللّه بن حكيم، ۴۸- عبد الرحمن بن حنبل، ۴۹- عامر الشعبى، ۵۰- الحسن البصرى، ۵۱- قتامه، ۵۲- إبن شهاب الزهرى، ۵۳- محمد بن المكندر، ۵۴- أبو حازم سلمه بن دينار، ۵۵- ربيعه بن عبد الرحمن، ۵۶- محمد بن السائب الكلبى، ۵۷- جنيد بن عبد الرحمن، ۵۸- محمد بن إسحاق، ۵۹- الوليد بن جابر، و زاد العسقلانى: ۶۰- عبد اللّه بن فضاله المزنى، ۶۱- عمر بن مره الجهنى (۱).

بعض ما جاء فى سبق على الى الإسلام:

هذا كله، عدا عن الكثير من الروايات الوارده عن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و كلمات أمير المؤمنين نفسه، و عدا٨.

۱- الإصابه ج ۲ ص ۳۵۷/ ۳۵۸.

عن كلمات الصحابه و التابعين و أشعارهم، بل لقد ادعى البعض الإجماع عليه (١).

و لعل حصر ذلک متعذر على أى باحث و متتبع، و لذا فلا محيص لنا عن الإکتفاء بأمثله قصيره لتکون عنوانا و إشاره لغيرها من الکثير الطيب الذى لم نذکره. و نحيل القارى ء الى ما کتبه العلامه الأمينى (٢) فليراجعه إن أراد.

فإنهم يقولون:

لقد بعث النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يوم الإثنين، و أسلم على (عليه السلام) يوم الثلاثاء (٣).

و مما ورد عن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بسند صحيح قوله: أولکم ورودا على الحوض، أولکم إسلاما على بن أبى طالب (۴).

و عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): إنه لأول أصحابى إسلاما، أو أقدم أمتى سلما (۵).ن،

١- راجع: الصواعق المحرقه الفصل الأول، الباب التاسع، و معرفه علوم الحديث للحاکم ص ٢٢.
٢- راجع: الغدير ج ٣ ص ٢٢٠- ٢۴٣ و ج ١٠ ص ١۵٨- ١۶٢.
٣- راجع: الأوائل ج ١ ص ١٩۵.
۴- مستدرک الحاکم ج ٣ ص ١٣۶ و صححه، و تاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ٨١، و الاستيعاب هامش الإصابه ج ٣ ص ٢٨ و شرح النهج للمعتزلى و السيره الحلبيه، و السيره النبويه لدحلان، و مناقب الخوارزمى، و الغدير ج ٣ ص ٢٢٠ عنهم فراجعه، و الآحاد و المثانى، مخطوط فى مکتبه کوپر لى رقم ٢٣۵.
۵- الغدير ج ٣ ص ٩۵/ ٩۶ عن: مسند أحمد ج ۵/ ٢۶ و الاستيعاب ج ٣ ص ٣۶، و الرياض النضره، و مجمع الزوائد، و المرقاه، و کنز العمال، و السيره النبويه لدحلان،

و عنه أنه أخـذ بيـد على (عليه السـلام)، فقال: هـذا أول من آمن بى، و هذا أول من يصافحنى يوم القيامه، و هذا الصديق الأكبر (۱).

و عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): هذا أول من آمن بى، و صدقنى، و صلى معى (۲).

و عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): إن أول من صلى معى على (۳).

تصريحات أمير المؤمنين «عليه السلام» فى ذلك:

و على (۴) نفسه يصـرح فى كثير من المناسـبات بذلك؛ فيقول عن نفسه: إنه لم يسبقه أحد فى الصلاه مع رسول اللّه، و أنه أول من أسـلم مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أنه الصديق الأكبر (عليه السلام)، و أنه لا يعرف أحدا فى هذه الأمه عبد اللّه قبله غير النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و أنه صلى قبل أن يصلى الناس سبع سنين (۵).

و لعل المراد التعبد مع النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم) قبل البعثه بسـنتين، أو خمس سـنين؛ حيث بدأت إرهاصات النبوه، ثم يضم إليهاى.

۱- الغدير ج ۲ ص ۳۱۳ عن الطبرانى و البيهقى، و العـدنى، و مجمع الزوائـد و كفايه الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتى فى حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبى بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج ۱ ص ۳۹.
۲- شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۲۵.
۳- الغدير ج ۳ ص ۲۲۰ عن فرائد السمطين باب ۴۷ بأربعه طرق.
۴- الغدير ج ۲ ص ۳۱۳ عن الطبرانى و البيهقى، و العـدنى، و مجمع الزوائـد و كفايه الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتى فى حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبى بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج ۱ ص ۳۹.
۵- مصادر ذلك ستأتى بعد الهامش التالى.

ثلاث أو خمس سنين فتره الدعوه الإختياريه غير المفروضه بعد البعثه.

أو لعله عبد اللّه حقا مع رسول اللّه قبل البعثه سبع سنين إذا كان قد أسلم (ع) و هو إبن إثنى عشر سنه أو حتى عشر سنين. حيث كان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يتعبد قبل البعثه و كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على دين الحنيفيه، فكان على (عليه السلام) يعبد اللّه معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

إلّا أن يكون الصحيح فى الروايه هو ما ذكره إبن بطريق أنه قال:

صلت الملائكه علىّ و على على سبع سنين (۱).

و مهما يكن من أمر فإن الكلمات الداله على هذا الأمر كثيره، كما أنه، (عليه السلام) قد كتب هو نفسه بهذا الأمر الى معاويه، و ردده فى كلماته الكثيره المتضافره (۲).

دليل آخر:

و إن إحتجاجه (عليه السلام) بأنه أول من أسلم، و احتجاج أصحابهم.

۱- كشف الغمه للإربلى ج ۱ ص ۳۳۴.

۲- راجع هذه النصوص كلها عن أمير المؤمنين فى الغدير ج ۳ ص ۲۱۳ و ۲۲۱ و ۲۲۲ و ج ۱۰ ص ۱۵۸- ۱۶۴ و ج ۲ ص ۲۵- ۳۰ و ۳۱۴ عن: شرح النهج ج ۱ ص ۵۰۳ و ۴۰۴ و ۲۸۳ و ج ۲ ص ۱۰۲ و أبى داود بإسناد صحيح، و تاريخ بغداد للخطيب ج ۴ ص ۲۲۴، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۰۲ عن أبى يعلى، و أحمد، و البزار و الطبرانى فى الأوسط، و فرائد السمطين باب ۴۸، و الأوائل ج ۱ ص ۱۹۵ و وقعه صفين لنصر بن مزاحم ص ۳۵۵ و ۳۶۰ و ۱۳۲ و ۱۰۰ و ۱۶۸ و جمهره الخطب ج ۱ ص ۱۷۸ و ۵۴۲ و ۴۲۸ و جمهره الرسائل ج ۱ ص ۵۴۲، و مروج الذهب ج ۲ ص ۵۹، و تذكره سبط ابن الجوزى ص ۱۱۵، و مطالب السؤل ص ۱۱، و المحاسن و المساوى ج ۱ ص ۳۶ و تاريخ القرمانى هامش الكامل ج ۱ ص ۲۱۸. و ثمه مصادر أخرى فى الغدير ج ۱۰ ص ۳۲۲ فراجع.

من الصحابه و التابعین بهذه الکثره العجیبه علی خصومهم، فی صفین و غیرها و اهتمامهم الواضح بهذا الأمر لیدل علی ذلک دلاله واضحه.

و لم نجد أحدا من أعدائه (علیه السلام) حاول إنکار ذلک، أو التشکیک فیه، أو طرح إسم رجل آخر علی أنه هو صاحب هذه الفضیله دونه، رغم توفر الدواعی لذلک، و رغم أن الطرف المقابل لا یتورع حتی عن الإختلاق و الکذب علی الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، بل علی اللّه سبحانه و تعالی. فلو أنهم عرفوا: أن کذبتهم هذه تجوز علی أحد لکانوا لها من المبادرین. و لکن التسالم علی هذا الأمر کان بحیث لا یمکنهم معه التوسل بأیه حیله، فکل ذلک یدل علی أن ذلک قد کان أمرا مسلما به و مجمعا علیه، و لا یمکن إنکاره لأحد.

و کشاهد علی هذا التسالم نذکر هنا حادثه واحده فقط، جرت لسعد بن أبی و قاص، الذی کان منحرفا عن علی (علیه السلام)،- کما سیأتی فی معرکه أحد إن شاء اللّه تعالی- و نترک ما عداها و هو کثیر جدا.

و هذه الحادثه هی أنه:

سمع رجلا یشتم علیا، فوقف علیه و قرره بقوله: یا هذا، علاماتشتم علی بن أبی طالب؟ ألم یکن أول من أسلم؟ ألم یکن أول من صلی مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؟ ألم یکن أعلم الناس؟ إلخ (۱).

کما أن المقداد کان یتعجب من قریش لدفعها هذا الأمر عن أول المؤمنین إسلاما، یعنی علیا (۲).۰.

۱- مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۵۰۰، و صححه هو و الذهبی فی تلخیصه هامش نفس الصفحه، و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۵۱۴/ ۵۱۵. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۲ ۳۲۲ دلیل آخر: ..... ص : ۳۲۱

۲- الغدیر ج ۹ ص ۱۱۵ عن الیعقوبی ج ۲ ص ۱۴۰.

خاتمه المطاف:

و أظن أن ما ذكرناه كاف و واف فی هذا المجال، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعه إلى الكتب المعده لذلک.

و بعد هذا، فلا يصغى لقول النواصب و الحاقدين، الذين يهتمون فی طمس فضائله (عليه السلام) بكل وسيله، و لو عن طريق الدجل و التزوير، و منهم إبن كثير، الذی قال: (و قد ورد فی أنه أول من أسلم أحاديث كثيره، لا يصح منها شی ء (۱)).

لايا إبن كثير: لقد تجنيت على الحقيقه و على التاريخ كل التجنی، و لم تستطع أن تكتم ما يعتلج فی صدرک من إحن- فجرّک ذلک إلى المكابره، و إلى إنكار ما يكاد يلحق بالضروريات. فإن الروايات الصحيحه و الصريحه الداله على هذا الامر كثيره و كثيره جدا، كما يعلم بالمراجعه (۲).

القول بأن خديجه أول من أسلم:

و نجد فی مقابل ذلک قولا آخر مفاده: أن خديجه كانت هی السباقه إلى الإسلام و انها أول مخلوق آمن به. بل لقد ادعى البعض الإجماع على هذا القول (۳).

و لكنه قول مردود، لأن العديد من الروايات عن النبی (صلى اللّه ٠.

۱- البدايه و النهايه ج ۷ ص ۳۳۵.

۲- راجع الغدير ج ۳ و إحقاق الحق، قسم الملحقات، و غير ذلک.

۳- راجع: السيره الحلبيه ج ۱ ص ۲۶۷، و فی تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۱۸۲ نقل عن الثعلبی الاتفاق عليه. و قال ابن الأثير: إنها أول خلق اللّه إسلاما بإجماع المسلمين. راجع السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۹۰. و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ۱۴۸ و الأوائل للطبرانی ص ۸۰.

علیه و آله و سلم)، و عن علی (علیه السلام)، و عن الصحابه و التابعین تعبر بأن علیا أول من صلی، أو أول من آمن، أو أول الأمه أو الناس إسـلاما (۱)، و لاـ یمکن أن یکـون المقصـود بالأـمه أو النـاس خصـوص الرجـال بنـاء علی هـذا القول، و لاـ خصوص الصبیان، بناء علی قول آخر یأتی.

أبو بکر، و سبقه إلی الإسلام:

و بعد کل ما تقدم نعرف: أن ادعاء سـبق غیر أمیر المؤمنین (علیه السـلام) إلی الإسلام قد جاء متأخرا عن عهد الخلفاء الأربعه، و وضع بعـد وفـاه أمیر المؤمنین (علیه السـلام)، و لربما یکون قـد حصل ذلک حینما کتب معاویه إلی الأقطار یأمرهم أن لا یـدعوا فضیله لعلی إلا و یأتوه بمثلها لغیره من الصحابه (۲).

و من هنا، فإننا نعتقـد: بأن القول بأولیه إسـلام أبی بکر، و المروی عن: ۱- إبن عباس ۲- الشعبی ۳- أبی ذر ۴- عمرو بن عبسه ۵- ابراهیم النخعی ۶- حسان بن ثابت، الذی یروی عنه قوله:

إذا تذکرت شجوا من أخی ثقهفاذکر أخاک أبا بکر و ما فعلا

خیر البریه أتقاها و أعدلهاإلا النبی و أوفاها بما حصلا

و الثانی الصادق المحمود مشهده و أول الناس منهم صدق الرسلا

عاش حمیدا، لأمر اللّه متبعابهدی صاحبه الماضی و ما انتقلا (۳) ا.

۱- راجع: السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۹۱، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۶۸ و ۲۷۵ و مناقب المغازلی، و مناقب الخوارزمی، ص ۱۸- ۲۰ و الغدیر ج ۳ ص ۲۲۰- ۲۳۶ و ج ۱۰ ص ۱۶۸ و ۲۹۰ و ۳۲۲ و ج ۹ ص ۳۹۲ تجد الکثیر من التصریحات بذلک و کذا فی تاریخ بغداد ج ۴ ص ۲۳۳ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۶۶ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۳ ص ۴۰۷.

۲- راجع: النصائح الکافیه لمن یتولی معاویه من ۷۲ حتی ص ۷۴.

۳- دیوان حسان ص ۲۹ ط أوروبا.

نعم، إننا نعتقـد: أن ذلک کله موضوع فی وقت متأخر، تزلفا للأمويين، کما أن شـعر حسان هـذا لا يبعـد أن يکون منحولا، إذ لا يمکن أن يبادر إلی مخالفه ما کان متسالما عليه بين الأمه، و لا سيما الصحابه منهم.

کما أننا نلاحظ: أن البيتين الأخيرين، فيهما حشو ظاهر، و ليس لهما صياغه منسجمه (۱).

و لربما يقال: إنهما بعيدان عن نفس حسان، و عن شاعريته، و عن سبکه، و طريقته

و مما يدل علی عدم صحه ذلک بالإضافه الی ما تقدم:

أولاـ إنـه قـد تقـدم: أن إبن عبـاس، و الشـعبی، و أبـا ذر الـذين روی عنهم القـول بـأوليه أبی بکر هم أنفسـهم يقولـون: إن أمير المؤمنين (عليه السـلام) هو أول من أسـلم. و يقول الإسـکافی (۲): إن حـديثهم فی علی أقوی سـندا، و أشـهر من الحديث الآخر المنسوب إليهم فی أبی بکر.

و أمـا روايه أبی ذر، و عمر بن عبسه؛ فهی مضـطربه، لأنهـا تـذکر: أن أبـا ذر، و عمرو بن عبسه کلاهمـا ربع الإسـلام، و أن بلالا أسلم قبل أبی بکر، و لا تذکر عليا (عليه السلام)، و لا خديجه، و هذا يعنی: أن بلالا قد أسلم قبل خديجه و علی؛ مع أن العکس هو الصـحيح، فإذا کانت خـديجه رحمها اللّه و علی (عليه السـلام) و بلال، و عمرو بن عبسه قد أسـلموا أولا؛ فأين يکون إسـلام أبی بکر بعد هذا؟!

و ثانيا: إن عائشه نفسها تعترف بأن أباها کان رابعا فی الإسلام، و قده.

۱- فليلاحـظ مثلاـ: کلمه منهم فی الـبيت الثـالث. و قـوله فی الرابـع: (متبعـا بهـدی) و قوله: و مـا انتقلاـ إلی غير ذلـک من وجوه الضعف فی السبک و الصياغه.

۲- راجع، الغدير، و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۳، و آخر کتاب العثمانيه.

سبقه إلى ذلك خديجه، و زيد بن حارثه، و على (عليه السلام) (۱).

و ثالثا: قد تقدم: أننا لم نجد أحدا يعترض على الصحابه، و لا ـ على التابعين، و لا ـ على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى إحتجاجاتهم المتعدده على معاويه و غيره بأن عليا هو أول الأمه إسلاما- لم نجد أحدا يعترض، و يقول: بل أبو بكر هو الأول.

و ما روى من ذلك من أن أبا بكر قد احتج به، فقد فنّده العلامه الأمينى فى الغدير و اثبت أنه غير صحيح فليراجع (۲).

فإلى متى يدخرون هذه الحجه؟! و لماذا يدخرونها؟!

بل إننا لم نجد أبا بكر، و لا أحدا من أنصاره و محبيه يحتج له بأنه أول من أسلم، رغم احتياجاتهم الشديده إلى ذلك، و لا سيما فى السقيفه؛ حيث لم يجدوا ما يحتجون به من فضائله إلا كونه كبير السن، و صاحب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى الغار- كما احتج به صاحبه عمر، و غيره ثمه (۳)- و ستأتى الإشاره إلى إحتجاجاتهم تلك حين الحديث على قضيه الغار إن شاء اللّه تعالى.

هذا كله، عدا عن تصريح البعض بأن أبا بكر كان رابع أو خامس من أسلم (۴).۶.

۱- راجع: الأوائل ج ۱ ص ۲۰۲ و راجع ص ۲۰۶.
۲- راجع: الغدير ج ۷ ص ۹۱- ۹۴ و ۲۲۴ فما بعدها.
۳- مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۶۶، و سنن البيهقى ج ۸ ص ۱۵۳ و الغدير ج ۵ ص ۳۶۹ و ج ۷ ص ۹۲ و ج ۱۰ ص ۷ و ۱۳ عن عدد كبير من المصادر، و كنز العمال ج ۸ ص ۱۳۹ عن ابن أبى شيبه، و عن الكنز أيضا ج ۳ ص ۱۴۰. و لسوف نذكر طائفه من المصادر حين الكلام عن قضيه الغار.
۴- راجع: سير اعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۶.

و عدا عن قول أمير المؤمنين على (عليه السلام): أنا الصديق الأكبر، أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر (١).

و عدا عن الروايه التى تقول: إن العباس قد أخبر عفيفا بأنه لم يسلم سوى خديجه و على، فلو أن عفيفا أسلم حينئذ كان فى الإسلام ثانيا (٢).

و رابعا: إننا نقول: إن إسلام أبى بكر قد تأخر عن البعثه عده سنوات و يدل على ذلك- و نحن نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم- الأمور التاليه:

١- ما قالوه من أنه لما أسلم سماه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صديقا (٣) مع أن تسميته هذه- كما يدّعون- إنما كانت بعد الإسراء حين صدقه أبو بكر و كذبته قريش (۴).

أو حين الهجره فى الغار (و كلاهما لا يصح أيضا كما سيأتى فى حديث الغار إن شاء اللّه تعالى). و هم يدّعون: أن الإسراء كان بعد البعثه بإثنتى عشره سنه و إن كنا نحن نعتقد بخلاف ذلك. و أنه كان فى السنه الثانيه أو الثالثه، كما سيأتى فى الفصل الآتى.

٢- يروى البعض: أنه أسلم و آمن بعد الإسراء و المعراج فسمى يومئذ ب (الصديق) (۵) مع قولهم: أن الإسراء و المعراج كان قبل الهجره بقليل- كما سنرى-ر.

١- ستأتى مصادر ذلك فى أواخر الجزء الثانى من هذا الكتاب.

٢- راجع: لسان الميزان ج ١ ص ٣٩۵ و غير ذلك.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٧٣، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨.

۴- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٧٣.

۵- مجمع الزوائد ج ١ ص ٧۶ عن الطبرانى فى الكبير.

۳- لقد روی الطبری- بسند صحیح کما یقول الأمینی (۱)- عن محمد بن سعید، قال: قلت لأبی: أکان أبو بکر أولکم إسلاما؟ فقال:

لا، و لقد أسلم قبله أکثر من خمسین (۲).

و هذا یعنی: أنه قد أسلم بعد انتهاء الفتره الإختیاریه للدعوه، و بعد خروجه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من دار الأرقم، لأنهم قد خرجوا بعد أن تکاملوا أربعین رجلا، کما یقولون. و سیأتی ذلک إن شاء اللّه تعالی.

حین الکلام حول إسلام عمر بن الخطاب.

۴- و لسوف نذکر إن شاء اللّه فی أواخر حدیث الغار: أن أبا قحافه یذکر: أن إبن مسعود قد أسلم هو و جماعه قبل إسلام أبی بکر، و إبن مسعود قد أسلم قبل إسلام عمر کما ذکره النووی فی تهذیب الأسماء و اللغات.

۵- لقد ورد: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد بعث و أبو بکر غائب فی الیمن، قال أبو بکر، فقدمت مکه، و قد بعث النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فجاءنی صنادید قریش. إلی أن قال: (فقالوا: یا أبا بکر، أعظم الخطب، و أجل النوائب، یتیم أبی طالب یزعم أنه نبی. و لو لا أنت- أو: و لو لا انتظارک ما انتظرنا به؛ فإذ قد جئت فأنت الغایه و الکفایه (۳)).

و الذی عند أبی هلال، عن الشعبی، عن أشیاخه، منهم جریر، فی خبر طویل هو: (قال أبو بکر: فلما قدمت مکه استبشروا، و ظنوا أنه فتح علیهم بقدومی فتح، و اجتمعوا إلی، و شکوا أبا طالب، و قالوا: لولا۷.

۱- الغدیر ج ۳ ص ۲۴۰.

۲- تاریخ الطبری ج ۲ ص ۶۰ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۲۸ و التعجب للکراجکی ص ۳۴.

۳- الصواعق المحرقه ص ۱۴۸ ط سنه ۱۳۲۴ ه. و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۷۵، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۸۹، و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۸۷.

تعرّضه دونه لما انتظرنا به. قلت: و من تبعه على مخالفه دينكم؟ قالوا:

بنى أبى طالب (۱)).

و لكن لنا تحفظ على هذا النص الذى يعطى لأبى بكر منزله كبيره فى قريش، و هى منزله لا يؤيد التأريخ أن أبا بكر كان قد بلغها أصلا، كما سنشير اليه فى موضعه.

۶- و عن إبن اسحاق، قال: إن أبا بكر لقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد، من تركك آلهتنا، و تسفهيك عقولنا، و تكفيرك آباءنا إلخ. ثم ذكر إسلام أبى بكر (۲).

و ان كنا نشك فى صحه هذا النص الأخير، إذ أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يعبد تلك الآلهه قط، فما معنى سؤاله عن ذلك؟! إلا إذا قلنا إنه لم يكن يتجاهر برفضها، فصحّ أن يسأله عن ذلك.

و يؤيد ذلك ماروٰه المقدسى، قال: (إسلام أبى بكر- زعم بعض الرواه: أنه كان فى تجاره له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من مكه، و أمره باتباعه، فلما رجع سمع رسول اللّه يدعو الى اللّه، فجاء و أسلم (۳)).

و يؤيد ذلك أيضا قولهم: إن أبا بكر قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): فقدت من مجالس قومك، و اتهموك بالعيب لآبائها و أمهاتها.

فدعاه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى الإسلام فأسلم (۴).۹.

۱- الأوائل للعسكرى ج ۱ ص ۱۹۴.
۲- دلائل النبوه للبيهقى ج ۱ ص ۴۱۶/ ۴۱۷. و السيره النبويه لابن كثير ج ۱ ص ۴۳۲/ ۴۳۳. و سيره ابن إسحاق ص ۱۳۹.
۳- البدء و التاريخ ج ۵ ص ۷۷.
۴- البدايه و النهايه ج ۳ ص ۲۹/ ۳۰ و السيره النبويه لابن كثير ج ۱ ص ۴۳۹.

فكل ذلك يدل على أن إسلام أبى بكر كان بعد الفتره السريه و بتعبير أدق بعد (فتره الدعوه الإختياريه، و غير المفروضه) التى استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

و بعد أن أنذر عشيرته الأقربين، و بعد أن أمر بالصدع بالأمر، و دعوه الناس عامه.

و بعد تكفيره للآباء و الأمهات.

و بعد عرض قريش على أبى طالب أن يقنع ولده بالعدول عن هذا الأمر.

و بعد عرضهم عليه ولدا آخر على أن يخلى بينه و بينهم.

و بعد وقوع المواجهه بين قريش و بينه، ثم قيام أبى طالب دونه، و لو لا انتظارهم لأبى بكر ما انتظروا به. و كل ذلك يدل على أن إسلامه قد تأخر إلى السنه الرابعه أو الخامسه إن لم يكن بعد ذلك أيضا؛ فقد قال أبو القاسم الكوفى: إن أبا بكر قد أسلم بعد سبع سنين من البعثه (۱).

و لربما يكون ذلك صحيحا أو قريبا من الصحيح، إذا أخذنا بالروايات المتقدمه الداله على أنه قد أسلم بعد اشتداد المواجهه بين الرسول و بين المشركين، و قيام أبى طالب دونه، و بعد أكثر من خمسين رجلا، فلربما يكون المراد بالخمسين هو خصوص من أسلم بعد الإعلان بالدعوه. أو بعد الهجره الى الحبشه.

و هكذا يتضح أن القول بأن أبا بكر هو أول من أسلم لا يمكن إلا أن يكون من القول الجزاف، و الدعوى الفارغه، و من المختلقات التى افتعلت فى وقت متأخر.۱.

۱- الاستغاثه ج ۲ ص ۳۱.

طریق جمع فاشل:

و قال البعض: الأورع أن یقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بکر، و من الصبیان علی، و من النساء خدیجه، و من الموالی زید بن حارثه، و من العبید بلال (۱).

و هو کلام فارغ، بعد أن ثبتت أولیه علی (علیه السلام) علی کل احد.

و قولهم: إنه أول من أسلم من الصبیان عجیب، و ذلک لما یلی:

۱- إنه قد جاء عنه (علیه السلام)، و عن غیره القول: بأنه أول رجل أسلم (۲)، مما یعنی أنه کان حینئذ رجلا بالغا. و قد قلنا: إنه قد أسلم و عمره عشر سنوات أو إثنتا عشره سنه و من الواضح: أن الرجولیه و البلوغ لا ینحصر بالسن، فإن عمرو بن العاص- کما یقولون- کان یکبر ولده عبد اللّه بإثنتی عشره سنه فقط (۳). و الراشد باللّه قد وطأ جاریه و هو إبن تسع سنین، فحملت منه کما یدّعون (۴).

کما أن ثمه أقوالا کثیره فی سن علی (علیه السلام) حین إسلامه، و قد راینا الحافظ عبد الرزاق، و ابن ابی شیبه، و الکلینی، و الحسن البصری، و الاسکافی و غیرهم کثیر، یذکرون فی سن علی رقما یتراوح ما بین ۱۲ سنه الی ۱۶ سنه، و بعضهم یتجاوز ذلک ایضا، کما تقدم بیانه فی۹.

۱- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۷۵، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۹۰ و نزهه المجالس ج ۲ ص ۱۴۷ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۱۷ و ۲۶ و ۲۹.

۲- و فی سیره إبن إسحاق ص ۱۳۸: أول الرجال إسلاما. و فی مصادر أخری: أول أصحابی إسلاما: راجع السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۶۸.

۳- المعارف لابن قتیبه ص ۱۲۵ ط دار إحیاء التراث العربی سنه ۱۳۹۰ ه.

۴- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۶۹.

مبحث ولادته علیه السلام.

۲- قد ذکر غیر واحد: ان البلوغ قد حدد بعد الهجره، ای فی غزوه الخندق، فی قضیه ردّ ابن عمر و قبوله فی الغزو. اما قبل ذلک فقد کان المعتمد هو التمییز و الإدراک (۱)، و علیه یدور مدار التکلیف، و الدعوه الی الاسلام و الایمان و عدمه.

و لو لا ان امیر المؤمنین علیه السلام کان فی مستوی الاسلام و الایمان، لم یقدم النبی الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) علی دعوته الی الاسلام، ثم قبوله منه. و الا ـ لکان ذلک سفها، و لا یمکن صدور السفه من الرسول الاکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

۳- بل اننا نستطیع ان نستفید من دعوته الی الاسلام و هو صبی امتیازا له خاصا، یؤهله لأن یکون هو الوصی له (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، او لیس قد تکلم عیسی فی المهد صبیا. و یحیی ایضا قد أوتی الحکم صبیا کما نص علیه القرآن؟

۴- و أیضا، لو کان الأمر کما ذکروه؛ فلا یبقی معنی لقول النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) عنه: إنه أول من أسلم، أو: أولکم إسلاما؛ فإن معنی ذلک هو أن أولیته بالنسبه إلی النساء و الرجال و العبید و الأحرار علی حد سواء.

۵- و أخیرا، فإن هذا الورع المصطنع لم یوجد إلا عند هؤلاء المتأخرین، و لم نجد أحدا واجه احتجاج أمیر المؤمنین و الصحابه و التابعین بحجه من هذا القبیل، و لعله لم یکن لدیهم ورع یبلغ ورع هؤلاء الغیاری علی أبی بکر و علی فضائله!!.ی.

۱- راجع إسعاف الراغبین بهامش نور الأبصار ص ۱۴۹ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۶۹. و الکنز المدفون ص ۲۵۶/ ۲۵۷ عن البیهقی.

هدف الورعين من الجمع بين الروايات.

و نستطيع أن نرجح: أن هدف أولئك الورعين من هذا الجمع بين الروايات هو إظهار: أن إسلام غير على (ع) كان أفضل من إسلامه، لأن إسلام ذلك الغير كان عن تدبر و تعقل، و نظر و تبصر. أما أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد كان إسلامه عن طيش و تقليد، كما هو شأن الصبيان كما ذكره الجاحظ (١).

و لا نريد أن نفيض فى الرد على هذه المزعمه، فإن إسلام على (عليه السلام) كان عن تدبّر و تعقّل، و عن تفكير و تأمل و قد أسلم استنادا الى فكره و رأيه، و لم يستشر حتى أباه رضوان اللّه تعالى عليه (٢).

و قد أجاب الإسكافى و إبن طاووس عن كلام الجاحظ بما فيه الكفايه، فليراجع (٣).

تنبيه:

و بالمناسبه فإن من الملاحظ: أن عمر بن الخطاب كان يعتبر البلوغ بالشبر؛ فمن بلغ سته أشبار أجرى عليه الأحكام، و من نقص عنها و لو أنمله تركه. و كذلك كان رأى إبن الزبير أيضا (۴).

و على ذلك جرى العباسيون من بعد، فقد أمر ابراهيم الإمامط.

١- راجع: العثمانيه ص ۶ و ٧.

٢- الفصول المختاره ص ٢٢٧.

٣- راجع شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ حينما يورد كلام الإسكافى و راجع أيضا: بناء المقاله الفاطميه، الصفحات الأولى من الكتاب، و البحار ج ٣٨ ص ٢٨۶.

۴- المصنف ج ١٠ ص ١٧٨ و عن خصوص عمر راجع: الغدير ج ۶ ص ١٧١ عن كنز العمال ج ٣ ص ١١۶ عن ابن أبى شيبه و عبد الرزاق، و مسدد، و ابن المنذر فى الأوسط.

العباسی أبا مسلم الخرسانی: أن یقتل فی خراسان کل من یتهمه، إذا کان قد بلغ خمسه أشبار (۱).

و نحن لا نرید التعلیق علی هذا، و نکل ذلک إلی القاری ء نفسه؛ لیحکم حسبما یقتضیه ضمیره و وجدانه.

مقارنه، و هدف:

و جدیر بالملاحظه هنا: أن البعض یذکر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قال لعلی: (أدعوک إلی ترک (أو الکفر ب) اللات و العزی (۲)).

و نحن نجزم بعدم صحه هذا القول عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؛ إذ لم یسبق لعلی (علیه السلام) إیمان بها، لیدعوه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی ترکها (۳). کیف و قد تربی فی حجر الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و تلقی التوحید، و کل المکارم و الفضائل عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و لنقارن بین هذا و بین ما یذکره البعض عن أبی بکر من أنه لم یسجد لصنم قط (۴)، رغم أنه کان حین أسلم قد بلغ الأربعین أو تجاوزها؟!

فأبو بکر إذن قد ضارع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی عدم۲.

۱- راجع حیاه الإمام الرضا للمؤلف ص ۱۲۲ عن: الطبری ط لیدن ج ۹ ص ۱۹۷۴ و ج ۱۰ ص ۲۵، و الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۲۹۵، و البدایه و النهایه ج ۱۰ ص ۲۸ و ۶۴ و الإمامه و السیاسه ج ۲ ص ۱۱۴، و النزاع و التخاصم للمقریزی ص ۴۵، و العقد الفرید ط دار الکتاب ج ۴ ص ۴۷۹، و شرح النهج للمعتزلی ج ۳ ص ۲۶۷ و ضحی الإسلام ج ۱ ص ۳۲.
۲- السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۶۸، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۹۱.
۳- الامتاع للمقریزی ص ۱۶.
۴- السیره النبویه لدحلان ط دار المعرفه ج ۱ ص ۳۹ و ۹۲.

السجود للأصنام.

و لكننا لا نـدرى لماذا ترك دين قومه؟، و كيف لم يشـتهر هـذا الأمر عنه، فى زمن الصـحابه و التابعين؟ و بقى هكذا مخفيا الى زمان متأخر جدا، حتى اكتشفه هؤلاء؟

و كيف غفل عنه الصـحابه و منافسوه منهم، و غفل عنه هو نفسه و أنصاره يوم السـقيفه، فلم يحتج و لا احتجوا به على اسـتحقاقه للخلافه، رغم أنهم احتجوا بكبر سنه، و ما شاكل ذلك، مما لا يجدى و لا يسمن و لا يغنى من جوع؟!.

من أسلم بدعايه أبى بكر:

و يذكرون أن عددا من كبار الصـحابه قد أسـلموا على يد أبى بكر، و اسـتجابه لدعوته، منهم: (طلحه، و الزبير، و سـعد بن أبى و قـاص، و عبـد الرحمن بن عوف، و أبو عبيـده الجراح، و خالـد بن سـعيد بن العاص، و أبوذر، و عثمان بن عفان، و أبو سـلمه بن عبد الأسد، و الأرقم بن أبى الأرقم (۱)).

قال الجاحظ: (و قالت أسـماء بنت أبى بكر: ما عرفت أبى إلا و هو يدين بالدين. و لقد رجع الينا يوم أسـلم فدعانا إلى الإسـلام، فما دمنا حتى أسلمنا، و أسلم أكثر جلسائه (۲)).

و لكن ذلك كله محل شك و ريب و ذلك للأمور التاليه:۱.

۱- راجع: البدايه و النهايه ج ۳ ص ۲۹، و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۹۴- و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۲۷۶ و تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۱۸۲، و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۷۸.

۲- شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۷۰ و عثمانيه الجاحظ ص ۳۱.

۱- إنه قد تقدم ما يدل على أن إسلام أبى بكر قد كان بعد الخروج من دار الأرقم، و بعد اشتداد الأمر بين النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قريش، و قيام أبى طالب دونه ينافح عنه و يكافح. و هؤلاء قد أسلم أكثرهم قبل ذلک، و ذلک لأنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قبل نزول قوله تعالى:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ لم يكن مأمورا بدعوه أحد. بل كان من يسلم إنما يسلم باختياره. ثم أمر (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بدعوه عشيرته، ثم أمر بإنذار أم القرى و من حولها، حتى انتهى الأمر بإنذار كافه الناس.

و لكنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لما أسلم معه من أسلم و خشى حصول بعض الصدامات لهم مع قريش اختار دار الأرقم ليصلى أصحابه فيها، و بعد شهر اعلن بالأمر، فلم تكن هناک سرّيه فى دار الأرقم بالمعنى الدقيق للكلمه.

و أما الذين أسلموا قبل المواجهه مع قريش، فنذكر منهم:

زيد بن حارثه الذى أسلم ثانيا، و فى نفس الوقت أسلم خالد بن سعيد بن العاص، و سعد بن أبى و قاص، و عمرو بن عبسه، و عتبه بن غزوان، و مصعب بن عمير (۱) أما الأرقم ابن أبى الأرقم فكان سابعا (۲)، و قصه إسلام أبى ذر معروفه، و كان إسلامه على يد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه، و على هو الواسطه، و سيأتى ذلک بعد صفحات يسيره.

و من الأولين أيضا: جعفر بن أبى طالب، و بلال، و خباب بن الأرتّ، و الزبير بن العوام، و كل هؤلاء اسلم قبل أبى بكر- على حد تعبير الاسكافى فى نقض العثمانيه (۳)، و يرى المقدسى: أن الزبير أسلم رابعا،۱.

۱- تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۳۲ و سيره ابن هشام ج ۱ ص ۲۶۴ و غير ذلک.

۲- الإصابه، ترجمه الأرقم ج ۱ ص ۲۸.

۳- شرح النهج ج ۱۳ ص ۲۲۴، و العثمانيه فى أواخرها حيث ينقل كلام الإسكافى ص ۲۸۶ و الغدير ج ۳ ص ۲۴۱.

أو خامسا.

۲- و عدا عما تقدم، فان ابا اليقظان خالد بن سعيد بن العاص، كان هو نفسه يزعم: أنه أسلم قبل أبی بكر (۱)

و عليه فلا يصغی لما حكاه البيهقی من أنه رأی فی منامه النار، ثم لقی أبا بكر فأخذه الی النبی (صلی اللّه عليه و آله و سلم)، فاسلم (۲) فان أبا اليقظان نفسه يكذب ذلك و ينكره. و هو أعرف بنفسه من كل أحد.

و أما عثمان فقد اشترط لإسلامه أن يزوجه الرسول (صلی اللّه عليه و آله و سلم) رقيه، ففعل، فأسلم (۳) فأين هی دعوه أبی بكر له، و الحاله هذه؟!.

و يروی المدائنی عن عمر بن عثمان: أن عثمان قال: إنه دخل علی خالته أروی بنت عبد المطلب يعودها، فدخل رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله و سلم)، فجعل ينظر إليه، و قد ظهر من شأنه يومئذ شی ء؛ فجری له معه (صلی اللّه عليه و آله و سلم)، حديث، و قرأ عليه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) بعض الآيات، ثم قام (صلی اللّه عليه و آله و سلم) فخرج. قال عثمان: فخرجت خلفه فأدركته، و أسلمت (۴). فإذا أخذنا بهذه الروايه ايضا لم يكن لأبی بكر فی اسلام عثمان يد و لا نصيب.

و أما سعد بن أبی وقاص ف (كان سبب اسلامه: أنه رأی فی المنام قال: كأنی فی ظلام، فأضاء قمر، فاتبعته، فإذا أنا بزيد و علی قد سبقانی۵.

۱- البدء و التاريخ ج ۵ ص ۹۶.
۲- مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۴۸، و البدايه و النهايه ج ۳ ص ۳۲ و طبقات ابن سعد ج ۴ ص ۶۷/ ۶۸ و الاستيعاب ج ۱ ص ۴۰۱/ ۴۴۲ و الإصابه ج ۱ ص ۴۰۶ و مع ذلك فإن الروايه لا تدل علی أنه أسلم بدعوه أبی بكر بل هی فی ضد ذلك أظهر.
۳- مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۲۲.
۴- الاستيعاب ج ۴ ص ۲۲۵.

إليه، و روى: فاذا أنا بزيد و أبى بكر، قال: ثم بلغنى: أن رسول اللّه يدعو الى الاسـلام مستخفيا، فلقيته بأجياد، فأسلمت، و رجعت الى أمى إلخ (۱)).

و عن اسلام طلحه يقولون: انه كان فى بصرى، فسمع خبر خروج نبى اسمه أحمد فى ذلک الشهر من راهب، فلما قدم مكه سمع النـاس يقولون: تنبىّ محمـد بن عبـد اللّه، فـأتى إلى أبى بكر، فسأله فأخبره، ثم أدخله على رسول اللّه فاسـلم، فأخـذهما نوفل بن خويلد و قرنهما بحبل، فسميا القرينين (۲).

و لكن هذه الروايه كما ترى، لا تدل على أنه اسـلم بدعوه ابى بكر إياه، بل هى فى خلاف ذلک أظهر كما هو واضح، كما أنهم يذكرون روايه أخرى مفادها: أن طلحه ذهب بنفسه إلى رسول اللّه فأسلم (۳). و أما أن أبا بكر و طلحه قد سميا القرينين فسيأتى أنه لا يصح أيضا، و ذلک ضعف آخر فى هذه الروايه.

بل لقـد كـذّب على (عليه السـلام) أن يكون أحد من قريش قد عذّب كما سـنرى فكيف يكون طلحه و ابو بكر قد عذّبا، و قرن احدهما الى الآخر؟!

۳- يقول الاسـكافى هنا ما ملخصه: إن أبا بكر قـد عجز عن إدخال أبيه، مع أنه معه فى بيت واحد، و ابنه الوحيد عبد الرحمن فى الاسلام، و بقيا على شركهما إلى عام الفتح، و كذا الحال فى أخته أم فروه، و زوجته نمله- أو قتيله- بنت عبد العزى، التى فارقها حين نزل قوله تعالى: و لا۲.

۱- البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۴/ ۸۵.
۲- مستدرک الحاكم ج ۳ ص ۳۶۹، و البـدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۲ و البـدايه و النهايه ج ۳ ص ۲۹ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۱ ص ۴۱۹.
۳- البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۲.

تمسکوا بعصم الکوافر، بعد الهجره بعده سنین.

و یمضـی الاسکافی هنا فیقول: کیف استطاع أبو بکر أن یهیمن علی سعد، و الزبیر، و طلحه، و عبد الرحمن و غیرهم و هم لیسوا من أترابه، و لا من جلسائه، و لا کان له معهم صداقه أو موده، و لم یستطع أن یقنع عتبه و شیبه ابنی ربیعه، و هما من جلسائه، بل و اکبر منه سنا، و یأنسان إلی حدیثه و طرائفه- کما یزعم أنصاره-؟! و ماله لم یدخل جبیر بن مطعم فی الاسلام، و هو الذی أدبه و علمه، و عرفه أنساب العرب، و قریش و طرائفها و أخبارها کما یدعون؟!.

و کیف لم یقبل منه عمر بن الخطاب الـدخول فی الاسـلام فی تلک الفتره، و کان صـدیقه و أقرب الناس شـبها به، و بحالاته. و لئن رجعتم إلی الانصاف لتعلمن بأن اسلام هؤلاء لم یکن إلا بدعاء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و علی یدیه (۱).

۴- و أما ما تقدم نقله عن اسـماء، فهو یقتضـی أن تکون اسماء و أهل بیت أبی بکر أسبق الناس إلی الاسلام، و قد عد ابن هشام ممن اسلم فی الفتره الأولی من الدعوه بحیث یعد من السابقین الأول اسماء و عائشه ابنتی أبی بکر (۲)، و عند النووی و غیره: أن عائشه قد اسلمت بعد ثمانیه عشر إنسانا و أختها أسماء أسلمت بعد سبعه عشر (۳).ط.

۱- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۳ ص ۲۷۱ عن الإسـکافی. و لا یردّ علی الإسکافی بامرأه نوح و ولده؛ حیث لم یکونا مؤمنین، فإن الإسـکافی یرید أن یقول: إن المسـتفاد من القرائن العامه هو أن أبا بکر لم یکن یملک المؤهلات و الکفاءات التی تعطیه القدره علی أن یقنع أحدا بالدخول فی الإسلام.

۲- سیره ابن هشام ج ۱ ص ۲۷۱.

۳- تهـذیب الأسـماء و اللغات ج ۲ ص ۳۲۹ و ۳۵۱ عـن ابن أبی خیثمه فی تـاریخه عن ابن إسـحاق، و الإصـابه ج ۴ ص ۲۲۹ بالنسبه لأسماء فقط.

و لكن قد فات هؤلاء: أن كل ما تقدم يكذب هذا الذى ذكروه هنا.

أضف الى ذلك: أن عمر اسماء كان حين البعثه أربع سنين على أبعد التقادير. أما عمر عائشه فنحن نقول: إنها أيضا كان عمرها قريبا من هذا (۱). و لكن نفس اولئك يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثه بخمس سنين (۲)، فكيف تكونان قد اسلمتا بعد ثمانيه عشر انسانا؟ مع أن الفتره السريه أو فقل الدعوه الاختياريه، و عدم الاعلان، قد انتهت باسلام اربعين؟! و أما جلساؤه و أهل بيته فقد تكلمنا عنهم، و لم يبق الا ولده محمد، و هو إنما ولد بعد مبعث النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بثلاث و عشرين سنه، أى قبل وفاته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بقليل.

سر التأكيد على دور أبى بكر:

و أما سر التأكيد على دور أبى بكر فقد أوضحه لنا الجاحظ، حين قال: (و لذلك قالوا: إن من اسلم بدعاء أبى بكر اكثر ممن اسلموا بالسيف. و لم يذهبوا فى ذلك إلى العدد، بل عنوا الكثره فى القدر، لأنه اسلم على يديه خمسه من أهل الشورى، كلهم يصلح للخلافه، و هم اكفاء على (عليه السلام) و منازعوه فى الرياسه و الامامه، فهؤلاء اكثر من جميع الناس (۳)).

نعم يا جاحظ: لقد تجاوز أبو بكر كل التوقعات، حتى لقد بز النبى نفسه، و لم يستطع و هو الرسول الاعظم أن يجاريه فى تلك الفضائل ۱.

۱- وعد المقدسى عائشه مع الذين أسلموا فى السنوات الأولى من البعثه فى الفتره السريه قبل أن يدخل صلى الله عليه و آله وسلم دار الأرقم و قال: انها كانت صغيره فراجع البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۴۶.

۲- سيأتى بعض الكلام فى ذلك، فى فصل: حتى بيعه العقبه.

۳- العثمانيه للجاحظ ص ۳۱/ ۳۲ و شرح النهج ج ۱۳ ص ۲۷۰/ ۲۷۱.

المجعوله- كما قدمنا- و لا ندرى لماذا غلط جبرئيل و نزل عليه دونه!.

و حسبنا هنا ما ذكرناه حول هذا الموضوع؛ فان استقصاء الكلام فيه يحتاج إلى جهد مضن و وقت طويل.

هل عمير بن أبى و قاص من السابقين؟!

و يذكر ابن هشام هنا: أن عمير بن أبى و قاص كان من جمله السابقين إلى الاسلام (۱).

و لكن ذلك لا يصح؛ لأنهم يقولون: إن عميرا قد قتل فى بدر، و له سته عشر عاما. فيكون عمره حين البعثه سنه واحده (۲)؛ فكيف يكون من السابقين إذن؟!.

اسلام أبى قحافه:

و فى روايه: أنه لما نبّى ء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و هو ابن أربعين سنه، صدّقه أبو بكر و هو ابن ثمانيه و ثلاثين سنه، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنه، قال: (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت على و على والدى (۳)). و استجاب اللّه له فاسلم والداه و أولاده كلهم.

و لكن هذه الروايه لا تصح، و ذلك.۲.

۱- سيره ابن هشام ج ۱ ص ۲۷۲.
۲- تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۳۹ و الإصابه ج ۳ ص ۳۶.
۳- فتح القدير ج ۵ ص ۱۱۸ و الغدير ج ۷ ص ۳۲۷ عنه و عن الكشاف ج ۳ ص ۹۹، و تفسير القرطبى ج ۲ ص ۱۹۳/ ۱۹۴ و الرياض النضره ج ۱ ص ۴۷، و مرقاه الأصول ص ۱۲۱، و تفسير الخازن ج ۴ ص ۱۳۲، و تفسير النسفى بهامشه ج ۴ ص ۱۳۲.

أولا: لما تقدم من أن أبا بكر إنما اسلم بعد عده سنوات من البعثه.

و كان عمره حينئذ حوالى خمس و أربعين سنه.

و ثانيا: إن أبا قحافه إنما اسلم سنه ثمان عام الفتح (۱) و أم أبى بكر أسلمت- كما قالوا- سنه ست من البعثه (۲)، و أولاد أبى بكر حالهم معلوم، حتى إن احدهم قد طلب مبارزه أبيه- أبى بكر- يوم أحد أو بدر، كما سيأتى، فكيف يقول: انه قد أنعم اللّه عليه و على والديه بعد النبوّه بسنتين، و يطلب من اللّه أن يوفقه لشكر هذه النعمه؟!.

و ثالثا: إن الآيه المذكوره هى التى فى سوره الاحقاف رقم ۱۵، لأنها هى التى ذكرت الأربعين سنه، دون الآيه التى فى سوره النمل رقم ۱۹.

و على هذا نقول: الأحقاف قد نزلت فى المدينه، لا فى مكه.

و اسلام ابى بكر كان فى مكه قبل عده سنوات.

الدعوه فى مراحلها، التى اجتازتها:

و يرى البعض: أن الدعوه قد مرت بمراحل أربع:

الأولى: المرحله السريه، و استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

الثانيه: الإعلان بالدعوه إلى اللّه بالقول فقط، دون اللجوء إلى العنف، و استمرت حتى الهجره.

الثالثه: مرحله الدفاع عن الدعوه بالسيف. و استمرت إلى صلح الحديبيه.۴.

۱- أسد الغابه ج ۵ ص ۲۷۵ و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ۴ ص ۱۶۲ و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۱۶۶ عن المعارف لابن قتيبه.
۲- راجع الغدير ج ۷ ص ۳۲۴.

الرابعه: قتال کل من وقف فی سبیل الإسلام، من الوثنیین و المشرکین، و غیرهم، و هو ما استقر علیه أمر الدعوه و حکم الجهاد (۱)

المرحله السریه:

و لکننا لا نوافق علی إستعمال مصطلح (الفتره السریه) هنا إذ أن الظاهر هو أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یکن حینما بعث مأمورا بدعوه عموم الناس کما قدمنا، و لکنه کان یعرض هذا الدین بصوره طوعیه و عفویه، و بدون أن یوجه الأنظار الی ذلک. فکان هناک أفراد یسلمون تباعا.

و قد کان هذا الأسلوب فی تلک الفتره ضروریا من أجل الحفاظ علی مستقبل الدعوه، حتی لا تتعرض لعمل مسلح یقضی علیها فی مهدها، حیث لا ـ بد من إیجاد ثله من المؤمنین، و من مختلف القبائل یحملون هذه العقیده و یدافعون عنها، حتی لا یبقی مجال لتصفیتهم السریعه و الحاسمه من قبل أعدائهم الأشرار.

کما أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أراد أن لا تهدر الطاقات، و تذهب الجهود سدی، و ینتهی الأمر الی تمزق، و توزع فی الثله المؤمنه، ثم الی ضیاع مدمّر.

و أیضا، فقد کانت هذه الفتره بمثابه إعداد نفسی، و تربیه عقیدیه و روحیه لتلک الصفوه المؤمنه بربها، و برساله نبیه الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، تمکنهم من الصمود فی وجه التحدیات التی تنتظرهم.

و إذا کان (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یرید: أن یقود عملیه تغییر شامله، فلا بد له من إتاحه الفرصه لتهیئه و إعداد القوی، التی تستطیع أن تحقق هدفا کبیرا کهذا، و تتمکن من الحفاظ و الإحتفاظ بالوجود الفعال۱.

۱- فقه السیره للبوطی ص ۹۱.

و المؤثر فی بقاء ذلک الهدف.

دخول النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» دار الأرقم:

قال المؤرخون: و لما صار عدد المسلمین ثلاثین رجلا- کما قیل- و صار بعض المسلمین یخرجون الی الشعاب و الجبال خارج مکه لأداء الفرائض، و إقامه الشعائر، و صار بعض المشرکین یترصدونهم، و یتعمدون إیذائهم، و حصلت صدامات فردیه لهم معهم، و منها أنه کما یقولون:

خرج جماعه من المسلمین الی شعاب مکه للصلاه، فظهر علیهم نفر من قریش کانوا یرصدونهم، و یتبعون آثارهم، و هم یصلون؛ فناکروهم، و عابوا علیهم ما یصنعون، حتی قاتلوهم، فضرب سعد ابن أبی و قاص- و العهده علی الراوی- یومئذ رجلا من المشرکین بلحی بعیر، فشجه، فکان أول دم اهریق فی الإسلام (۱).

و لکن قد قال الزبیر (أی إبن بکار): و طلیب أول من دمیّ مشرکا فی الإسلام؛ بسبب النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فإنه سمع عوف بن صبره السهمی یشتم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فأخذ له لحی جمل، فضربه فشجه الخ (۲).

و مره أخری تعقب مشرکان مسلمین، خرجا للصلاه فی أحد الشعاب، فباطشاهما (۳).

فهذه الحوادث الجزئیه- علی ما یظهر- قد دفعت بالنبی (صلی اللّه۷.

۱- تاریخ الطبری ج ۲ ص ۶۲ و سیره ابن هشام ج ۱ ص ۲۸۲، و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۳۷، و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۸۳، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۹۹.

۲- الإصابه ج ۲ ص ۲۳۳.

۳- أنساب الأشراف للبلاذری ج ۱ ص ۱۱۷.

علیه و آله و سلم) الی اختیار دار الأرقم (۱)، الواقعه علی الصفا لیجعلها مرکزا لدعوته، و محلا لاجتماع أصحابه به، ثم الإبتعاد عن أنظار المشرکین فی عبادتهم و شعائرهم، بدلا من الخروج الی الشعاب من أجل الصلاه.

فکانت هذه الدار هی مرکز حرکته و نشاطاته و بقی فیها شهرا (۲) و لم یخرج منها حتی تکامل المسلمون أربعین رجلا کما قیل (۳). و قیل: أکثر.

و قیل: أقل. و حینئذ خرج (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لیعلن دعوته، و لیبدأ مرحله جدیده هی أصعب مرحله، و أخطرها، و أکثر عنفا، و أشد بلاء.

هذا، و لکن بعض المحققین (۴)، یحتمل أن یکون (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد دخل دار الأرقم مره أو مرات، و لکن ید السیاسه قد طوّرت هذا الأمر؛ لتکون دار الأرقم فی مقابل شعب أبی طالب، بل یدعون: أنها دعیت دار الإسلام (۵).

لکننا فی المقابل لا نری أن دار الأرقم کانت لها هذه الأهمیه، و لا هذا الدور، و لذلک تجد ابن اسحاق و هو من نعرف- لا یشیر إلی دار الأرقم لا من قریب و لا من بعید- کما أن البلاذری یذکرها بصوره عابره، دون أیه أهمیه.۸.

۱- أسلم سابع سبعه، أو بعد عشره کما فی الإصابه ج ۱ ص ۲۸ و الاستیعاب هامش الإصابه ج ۱ ص ۱۰۷.

۲- و قیل: أربع سنین. راجع السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۸۳ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۹۹.

۳- الإصابه ج ۱ ص ۲۸ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۸۵ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۹۹ و الاستیعاب هامش الإصابه ج ۱ ص ۱۰۸.

۴- هو العلامه السید مهدی الروحانی حفظه اللّه.

۵- التراتیب الإداریه ج ۱ ص ۴۰۸.

و الـذی یهتم بـدار الأرقم و یبرزها علی انها مفصل تاریخی هو الواقـدی بالدرجه الأولی. فلعل المسـلمین ترددوا علی هذه الدار مرات، فعظمت السـیاسه ذلک و طورته، حتی دعیت هذه الدار دار الإسـلام، للتعتیم علی شـعب أبی طالب حسبما تقدم، و ذلک عن منطق السیاسه الذی عرفناه و ألفناه غیر بعید.

قریش لا تهتم لمرحله ما قبل الإعلان:

کـان المشـرکون قـد عرفوا بتنبؤ النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) من أول الأـمر، و لکنهم لم یهتموا کثیرا بالأمر- بادی ء ذی بدء- ربما لأنهم اعتبروا أن القضـیه لیست بذات أهمیه کبیره؛ إلّا من وجهه قبلیه بالدرجه الاولی، و لکنهم ظلوا یتنسمون الاخبار، و یستطلعونها و کانوا یقولون: ان فتی عبد المطلب لیکلّم من السماء.

اسلام ابی ذر رحمه اللّه:

و فی هذه الفتره کان اسـلام ابی ذر (رحمه اللّه) الذی کان رابع، او خامس من اسلم (۱)، حیث انه سمع بمبعث النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فارسل اخاه لیستقصی له الخبر، فرجع الیه، و لم یشف له غلیلا.

فذهب هو بنفسه الی مکه؛ فکره ان یسأل عن النبی (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم) علانیه و رآه علی (علیه السـلام) مضـطجعا فی ناحیه المسجد۳.

۱- دلائل النبوه للبیهقی ج ۱ ص ۴۵۸، طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۱۶۴، و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۱۵۷. و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۳۴۲، و الاستیعاب هامش الإصابه ج ۱ ص ۳۱۳، و الإصابه ج ۴ ص ۶۳، و أسد الغابه ج ۵ ص ۱۸۶، و الغدیر ج ۸ ص ۳۰۸- ۳۰۹ عن بعض من تقدم و عن شرح الجامع الصغیر للمناوی ج ۵ ص ۴۲۳.

الحرام، فعرف انه غریب، فاستضافه ثلاثه ایام لا یسأله عن شی ء، ثم سأله ابوذر عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فاخذه الیه بصوره سریه؛ حیث امره ان یتبعه، فان رأی ما یخاف منه عطف کأنه یرید أن یقضی حاجه، او یصلح نعله.

و بعد ان أسلم أبوذر خرج الی المسجد الحرام؛ فنادی باعلی صوته: أشهد ان لا إله إلا اللّه، و ان محمدا رسول اللّه، فقام الیه المشرکون فضربوه حتی اضجعوه، فاتی العباس؛ فاکبّ علیه، و قال:

و یحکم، الستم تعلمون: أنه من غفار، و ان طریق تجارتکم الی الشام؛ فترکوه، و لکنه عاد فی الیوم الثانی الی مثل ذلک، فخلصه العباس (۱).

و ثمه نصوص اخری لا مجال لذکرها هنا.

و لما ضرب أبوذر جاء الی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فقال:

یا رسول اللّه، اما قریش فلا ادعهم حتی أثأر منهم، ضربونی.

فخرج حتی اقام بعسفان، و کلما اقبلت عیر لقریش، یحملون الطعام، ینفّر بهم علی ثنیه غزال؛ فتلقی احمالها؛ فجمعوا الحنط، و یقول ابوذر لقومه: لا یمسّ احد حبه حتی تقولوا: لا إله إلا اللّه. فیقولون: لا إله إلا اللّه، و یأخذون الغرائر (۲).

و حسب نص آخر: کان ابوذر رجلا شجاعا یتفرد وحده بقطع الطریق، و یغیر علی الصرم فی عمایه الصبح علی ظهر فرسه، أو علی۴.

۱- هذا ملخص ما فی البخاری ج ۲ ص ۲۰۶- ۲۰۷ ط سنه ۱۳۰۹. و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۳۴، و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۱۵۹، و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۳۳۹، و الغدیر ج ۸ ص ۳۰۹- ۳۱۰ عن بعض من تقدم و صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۵۶ و الاستیعاب هامش الإصابه ج ۴ ص ۶۳ دلائل النبوه لأبی نعیم ج ۲ ص ۸۶، و طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۱۶۱- ۱۶۲ و ۱۶۴- ۱۶۵ و الإصابه ج ۴ ص ۶۳.

۲- طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۱۶۴.

قدمیه کانه السبع ... إلی أن قال: (فکان یعترض لعیرات قریش، فیقطعها، فیقول: لا أرد الیکم منها شیئا، حتی تشهدوا: أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه: فکان علی ذلک حتی هاجر رسول اللّه، و مضی بدر، و أحد، ثم قدم فأقام بالمدینه (۱)).

و اسلم علی یده نصف قبیلته غفار، و وعده الباقون بأن یسلموا إذا قدم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) المدینه.

و کان أبوذر یتأله فی الجاهلیه، و یقول: لا إله إلا اللّه، و لا یعبد الاصنام، و یقال: إنه صلی قبل مبعث النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) عده سنوات (۲).

ما یستفاد من حدیث اسلام أبی ذر:

أولاـ إن عدم عباده أبی ذر للاصنام، لیس إلا من أجل منافرتها لحکم العقل، و للفطره السلیمه، حین لا تطغی علی الانسان أی من العوامل الخارجیه التی تجعل علی قلبه و بصره غشاوه.

و یلاحظ: أن القرآن ما زاد فی مقاومته لعباده الاصنام، و التوجیه إلی اللّه تعالی علی أن نبه العقل، و أثاره، و ارشد إلی ما تقتضیه الفطره السلیمه فی هذا المجال. و کل من یستعرض الآیات القرآنیه یری کیف أن القرآن یهتم فی الارجاع إلی الفطره، و حکم العقل، و یعتبر أن، لهما وحدهما الحق فی الحکم فی هذا المجال.

و ثانیا: إن اسلوب علی (علیه السلام) فی المحافظه علی عنصر۷.

۱- و (۲) طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۱۶۳، و راجع تاریخ الإسلام للذهبی ج ۲ ص ۱۰۰.
۲- طبقات ابن سعد ج ۴ ق ۱ ص ۱۶۳. و لاـ بأس بمراجعه ما کتبناه حول أبی ذر فی مقال لنا فی کتاب: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام. و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۱۵۷.

السریه، حتی لا یلتفت المشرکون إلی طبیعه تحرکاته و أهدافه، و اسلوبه فی ایصاله أباذر إلی الرسول الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- و هو لم یبلغ الحلم بعد- إن دل علی شی ء؛ فانما یدل علی درایه و رویه، و تبصر و تدبر بالأمور، مما یؤکد امتیازه علیه السلام علی غیره، ممن عاش و مارس الامور.

کما أن اتکال ابی ذر رجل الحکمه و التبصر علی دعوه علی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) له، و استجابته لدعوته و نزوله ضیفا علیه، یدل علی أنه کان یری فی علی من الحکمه و الرویه ما لا یراه فی غیره. مهما کان فارق السن بینه و بین ذلک الغیر کبیرا.

و لقد کان (علیه السلام) یهدف الی الحفاظ علی أبی ذر من جهه، و علی ان لا یلفت نظر المشرکین الی أنه یقوم بنشاط من أجل إدخال الناس فی هذا الدین الجدید من جهه اخری. و هذا الثانی هو الاهم بالنسبه الیه.

فانه لا یمکن أن یتخلی عن الدعوه فی سبیل الشخص، و لکن الشخص هو الذی یضحی بنفسه و بکل ما لدیه فی سبیل الحفاظ علی الدعوه و بقائها. و لکن هذه التضحیه لابد أن تکون فی وقت الحاجه إلیها، و حین یکون لابد منها و لا غنی عنها. و إلا فلربما یکون ضررها اکثر من نفعها، أو علی الأقل یکون هدرا لطاقات، و اتلافا لقدرات ربما تکون الدعوه فی یوم مّا بامسّ الحاجه إلیها.

ثالثا: ما فعلته قریش بأبی ذر لم یکن بسبب أن المواجهه کانت قد وقعت بینها و بین النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؛ فان هذه المواجهه لم تکن حصلت حینئذ، و إنما رأت فی تصرف أبی ذر هذا تحدیا لها، و اعتداء علی شرفها، و کبریائها، و لا یقصد منه إلاـ تحقیرها و إذلالها، من دون مبرر ظاهر تراه و تتعقله لتصرف کهذا سواه. و لعلها أرادت من بطشها بهذا الرجل الغریب و الوحید ردع الآخرین، و ارهابهم، و منعهم من الإقبال علی الدخول فی الإسلام، أو من التظاهر به.

رابعـا: انتقام أبى ذر من قريش على ذلك النحو قـد أثر فيها نفسيا، و روحيا إلى حـد بعيـد، و عرفها: أنها لا يمكن أن تتعامل مع الآخرين، كما يحلو لها، و على حسب ما تشتهى، لأن الآخرين يملكون من الوسائل الفعاله للضغط عليها مالا تجد معه حيله، و لا تستطيع سبيلا.

خامسـا: إن نجـاح أبى ذر فى دعوته قومه من قبيلـتى غفـار و أسـلم، حـتى إنه يسـتغل تشوقهم للحصول على غرائز الحنطه لطرح الخيار النهائى عليهم- إن نجاحه هـذا- ليـدل على أنه كان بعيـد الهمه و النظر عاقلا لبيبا أريبا، يـدرك أهداف الرساله السـماويه الحقه التى اعتنقها خير إدراك، و يدرک واجباته تجاهها، ثم هو ينفذ مهمته، و يقوم بواجباته على النحو الاكمل و الامثل.

سادسـا: إن محاولات أبى ذر الجاده للتعرف على صـدق النبى (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم) فى دعواه، و ارساله أخاه أولا، ثم ذهابه هو بنفسه، و بقاؤه ثلاثه أيام يبحث عن النبى الاكرم (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم)، إنما كانت بدافع ذاتى ينبع من داخله، يدفعه إلى البحث عن الحق، و العمل من أجله، و فى سبيله.

و هـذا يؤيـد القول بأن العقل هو الـذى يحكم و يدفع إلى تعلم ما ينفع، و ما يضـر، للالتزام بذاک، و الابتعاد عن هذا. بل هو امر فطرى مغروس فى فطره الانسان و طبيعته و سـجيته، حتى انک تجـد الطفل الـذى يحس بألم النار ليس فقط لا يحاول بعـد ذلک الاقتراب منها، و انما هو يجهد بكل ما أوتى من قوه و حول فى الابتعاد عنها.

سابعـا: ان موقف على (عليه السـلام) من أبى ذر ليعكس لنا: أن هـذا الشاب الـذى ربما لم يكن قـد بلغ الحلم آنـذاک؛ لأنه إنما أسـلم و عمره عشـر أو اثنا عشـره سنه- إن هذا الشاب- الناشى ء كان يعتز بنفسه، و يثق بها، فيدعو أباذر ليكون ضيفه ثلاثه أيام، ثم هو يساعده على الوصول إلى

النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بشکل ذکی و حذر. ثم هو یترکه ثلاثه أیام لا یسأله عن أمره حتی لا یشعر هذا الضیف بأن مضیفه ربما یکون قد ضاق به ذرعا، أو ملّ وجوده؛ و لیکون قد أتاح له الفرصه لیستأنس فی هذا البلد الذی یراه غریبا علیه، و یألفه، و یرتاح إلیه نفسیا، کما ارتاح جسدیا؛ و لیکون أنفذ بصیره، و اکثر اطمینانا فی بیان حاجته التی جاء من أجلها.

و ثامنا: ان جهر أبی ذر باسلامه، و تعریضه نفسه للضرب و الاهانه من قبل المشرکین، إنما یعکس لنا مدی اعتزاز أبی ذر باسلامه هذا، و مدی استعداده للتضحیه فی سبیله. ثم هو یعکس مدی حنق قریش و رعونتها فی مواجهه الدعوه إلی اللّه تعالی، حتی إنها تنسی: أن من تبطش به ربما یکون فی المستقبل سببا فی عرقله تجاراتها إلی الشام، و مضایقتها اقتصادیا. نعم، تنسی ذلک، و تهجم علیه لتضربه، ثم ترتد عنه لا بدافع انسانی، و لا عن قناعه فکریه، و إنما لدوافع اقتصادیه دنیویه، تعکس أنانیتها، و مستوی تفکیرها أولا و أخیرا. و لا شی ء أخطر علی الانسان من الانانیه التی ربما تضع علی عینیه غشاوه؛ فلا یبصر الحق الابلج، و لا یهتدی سواء السبیل.

و تاسعا: لعل أباذر قد اراد کسر شوکه اعداء الاسلام، و فتح ثغره فی هذا الجبروت. ثم کسر حاجز الخوف لدی المسلمین، لیتشجعوا علی مواجهه الأخطار، و ضرب المثل الحی لهم فی مجال التضحیه من اجل الدین و الحق، کما أن ذلک لسوف یؤثر علی من یمیلون الی هذا الدین و یتعاطفون مع المسلمین، و یثیر إعجابهم بصوره کبیره.

و أخیرا، فلسوف نری: أن ثمه محاولات لنسبه موقف أبی ذر الشجاع و الجری ء، و الفذ هذا تجاه قریش إلی غیره من الصحابه، کابی بکر تاره، و عمر أخری.

و لکن کل ذلک لا یمکن أن یصح، کما سنذکره حین الحدیث عن إسلام عمر، و هجره ابی بکر.

ص: ۳۵۴

الفهارس

اشاره

الدليل الاجمالی للکتاب:

الدليل التفصيلى للكتاب:

ص: ۳۶۰

ص: ۳۶۲

و الحمد للّه و الصلاه و السلام علی محمد و آله و سلم

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.
وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام
تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة
تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات
توسیع عام لفکرة المطالعة
تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:
مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة
العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز القائمية اصبهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹